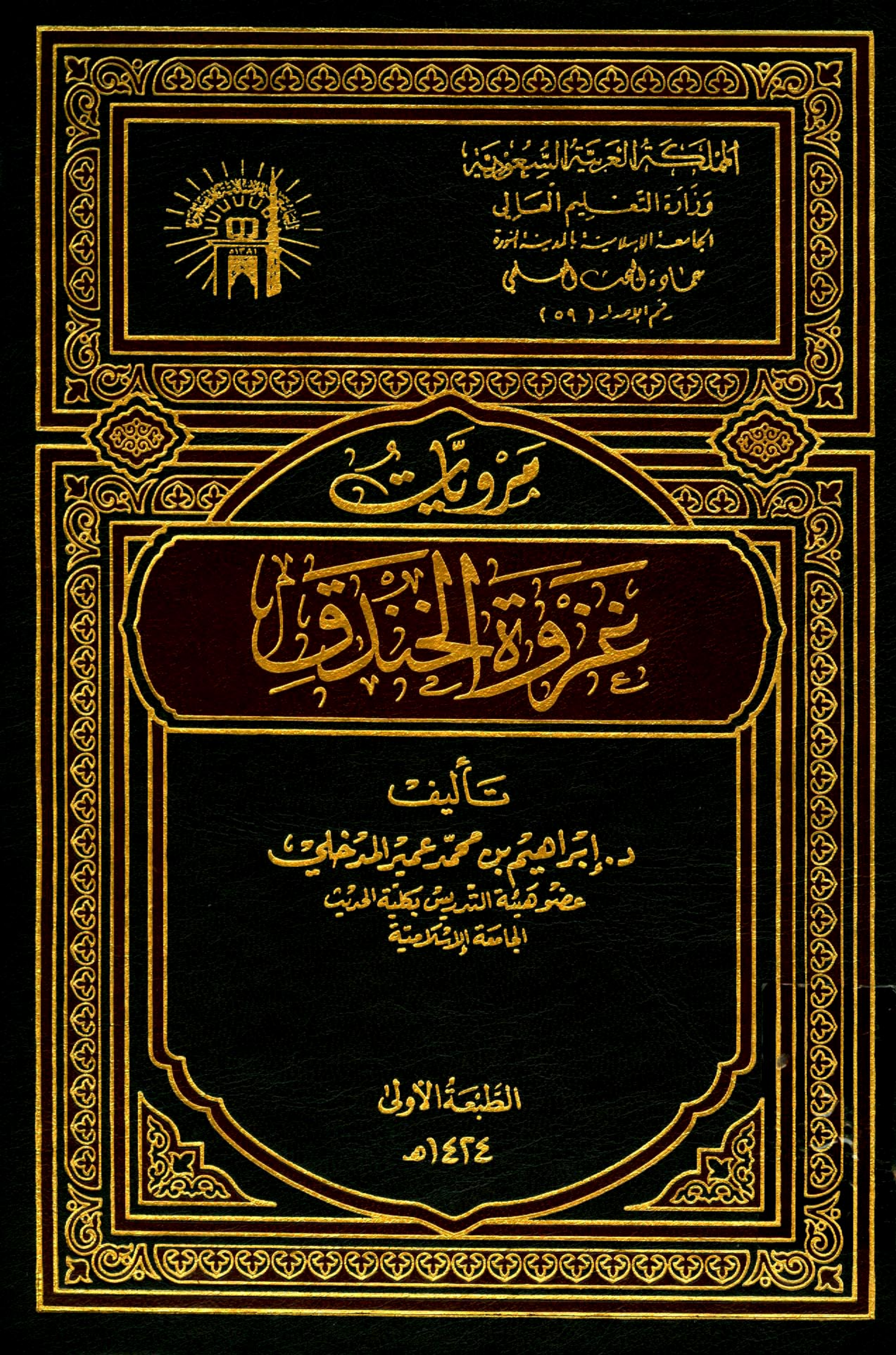


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٥٩)
مرويات
غزوة الخندق
تأليف
د. إبراهيم بن محمد عمير المدخلي
عضو هيئة التدريس بكلية الحديث
الجامعة الإسلامية
الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٥٩)

مرويات غزوة الخندق

تأليف
د. إبراهيم بن محمد عمير المدخلي
عضو هيئة التدريس بكلية الحديث
الجامعة الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ح الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٤هـ
فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر
المدخلي، إبراهيم بن محمّد
مرويّات غزوة الخندق
إبراهيم بن محمّد المدخلي
– المدينة المنوّرة، ١٤٢٤هـ
٥٢٥ ص، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك: ٨- ٤٢٨ – ٠٢ - ٩٩٦٠
١-غزوة الخندق أ- العنوان
ديوي ٢٣٩,٤ ١٤٢٤/٢٥٠٣
رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٥٠٣
ردمك: ٨- ٤٢٨ – ٠٢ - ٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة معالي مدير الجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أشرف ما تتجه إليه الهمم العالية هو طلب العلم، والبحث والنظر فيه، وتنقيح مسائله، وسلوك طريقه، لأن ذلك هو الذي يوصل إلى السعادة، كما قال الرسول ﷺ: « **من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة** ». وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾.

وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ هو وحي الله إليه بالعلم ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾. وقال تعالى يخاطبه ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك... ﴾. وقال تعالى ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾.

وما قامت به الحياة السعيدة في الحياة الدنيا والآخرة إلا بالعلم النافع.

ولذا كان التعليم هو الهدف الأعظم لمؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز رحمه الله، ولأبنائه كذلك من بعده، ففي عهد خادم الحرمين الشريفين، أول وزير للمعارف بلغت مسيرة التعليم مستوى عالياً، وازدهر التعليم العالي وارتقت الجامعات، ومن هذه الجامعات العملاقة، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فهي صرح شامخ، يشرف بأن يكون إحدى المؤسسات العلمية والثقافية، التي تعمل على هدي الشريعة الإسلامية، وتقوم

بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي والدراسات العليا، والنـــهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر، وخدمة المجتمـــع في نطـــاق اختصاصها.

ومن هنا، فعمادة البحث العلمي بالجامعة تضـــطلع بنشـــر البحـــوث العلمية، ضمن واجباتها، التي تمثل جانباً هاماً من جوانب رسالة الجامعة ألا وهو النهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر.

ومن ذلك كتاب « مرويات غزوة الخندق » تأليف : د. إبراهيم بن محمد عمير المدخلي.

نفع الله بذلك ونسأله سبحانه أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصـــالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد بـــن عبـــد الله وعلـــى آلـــه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

معالي مدير الجامعة الإسلامية

د/ صالح بن عبد الله العبود

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد ...

فقد مّن الله علي بالانتهاء من إعداد هذه الرسالة فالشكر لله وحده أولاً وأخيراً على نعمه وتوفيقه.

ثم إني أرى من الواجب علي - اعترافاً بالجميل لأهله - أن أتقدم بشكري الجزيل وبالغ تقديري لفضيلة شيخي الفاضل الشيخ عبد المحسن ابن حمد العباد المشرف على الرسالة والذي لم يدخر جهدا في إبداء توجيهاته وإرشاداته فجزاه الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء وبارك في عمره.

كما أتقدم بالشكر لفضيلة الدكتور أكرم ضياء العمري رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة فقد كان له عظيم الأثر في توجيهي لهذا البحث أيام الدراسة وإرشاداته القيمة أيام التحضير. كما أشكر فضيلة الشيخ حماد الأنصاري[١] لفتحه صدره ومكتبته لطلاب العلم . كما أشكر

(١) توفي - رحمه الله - عام ١٤١٨هـ.

فضيلة الدكتور محمود ميره فقد كان كريماً بالمعلومات وإرشاد من يسأله لطيف المعاملة لتلاميذه.

وأخيراً فإني أشكر كل من مد لي يد العون أياً كان من الأساتذة الأفاضل والأصدقاء والزملاء وهم كثير وأخص منهم الأخ الكريم مصطفى عبد الجليل، أمين مكتبة الدراسات العليا بالجامعة فجزى الله الجميع كل خير ووفقهم لما يحبه ويرضاه.

ثم إني في الختام أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد :

فإن علم التاريخ علم جليل القدر عظيم الفوائد ذلك لأنّ به يقف الإنسان على حقائق ماضية من أخبار وحوادث لشخصيات أو قبائل أو أمم ، وهو علم اهتم به القرآن الكريم حيث إنه ورد كثير من قصص الأمم الماضية فيه من ذلك قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾[1] .

وقصص الأمم الماضية وتاريخها يكسب الأجيال المتلاحقة خبرة وفهماً لتلك الأحداث.

(١) سورة طه، الآية ٩٩.

كما يحصل بها الاتعاظ للأجيال المتعاقبة على مدى الأزمان قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[١] .

ولله در الشاعر حيث قال :

ليس بإنسان ولا عالم من لم يع الأخبار في صدره
ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً إلى عمره[٢]

وإذا كان علم التأريخ من الأهمية بمكان؛ فذروة سنامه تاريخ سيرة سيد البشر محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

فهو علم شريف لشرف النبي ﷺ ولأنه مع ذلك ينقل إلينا أفعاله ﷺ ونحن مأمورون باتباعه والاقتداء به قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴾ الآية[٣].

وذلك تشريف من الله سبحانه وتعالى له فلقد شرفه وأعلى مكانته وأنزله المترلة الكريمة التي يستحقها فأوكل إليه مهمة ما في القرآن الكريم من إجمال وشرح ما يحتاج إلى تفصيل قال تعالى: ﴿ ...وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ

(١) سورة ق، الآية ٣٧.

(٢) الدر الثمين ١٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾[١]. وقد وعد الله مسبقاً بحفظ كتابه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢].

وهذا الحفظ يشمل السنة المطهرة، ولتحقيق هذا الوعد القاطع الصادق كان كل ما قامت به الأمة الإسلامية من جهود عظيمة واهتمام بالغ لا يعرف الأقل منه لأمة من الأمم ولا لدين من الأديان وذلك بحفظ القرآن الكريم في الصدور والمصاحف وتلاوته أناء الليل وأطراف النهار. وذلك لقيامه ﷺ بما أوكل إليه من واجب خير قيام بأقواله وأفعاله وأحواله وجهاده العظيم وسيرته العطرة حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ونتيجة لذلك حظيت السنة المطهرة بحظها الوافر من وعد الله بالحفظ لتنزيله وذكره، فإنها والقرآن من مشكاة واحدة.

إذاً فالسنة داخلة في ذلك الوعد الصادق بالحفظ والضمان الأكيد. فكان من مظاهر تنفيذ ذلك ما نراه ونلمسه من جهود بذلت لحفظها وصيانتها والذود عنها.

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩.

فكان من آثار ذلك ما تفخر به المكتبات الإسلامية من مؤلفات قيمة مختلفة المناهج والموضوعات متحدة الغاية والأهداف وهي خدمة السنة المطهرة.

وقد شملت تلك الجهود جزءاً كبيراً من السيرة النبوية الشريفة وذلك بجمع مادها دون التفات من كثير منهم إلى تنقيتها من الشوائب وإزالة ما علق بها من تحريف وزيادة أو كذب وافتراء كما فعل الجهابذة من المحدثين الذين عنوا بجمع الصحيح دون غيره كالبخاري ومسلم - رحمهما الله تعالى - .

وإن من أجل مهام المؤسسات العلمية في هذا العصر العناية بسيرة الرسول ﷺ ومغازيه وجمع الآثار الواردة فيها وتمحيصها وهي حاجة ملحة في الوقت الحاضر يتمنى كل مسلم غيور أن تتحقق .

وفي طليعة تلك المؤسسات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، التي اتجهت لتحقيق هذه الغاية وذلك بتسجيل موضوعات في مختلف جوانب السيرة النبوية وغزوات الرسول ﷺ .

وقد رغبت المشاركة في جانب من هذه الجوانب فاخترت مرويات (غزوة الخندق) موضوعاً لرسالتي التي أعدها لنيل درجة العالمية الماجستير من شعبة السنة في هذه الجامعة المباركة .

سبب اختياري لهذا الموضوع

لقد كان الدافع لي على اختيار هذا الموضوع (مرويات غزوة الخندق) جمعاً ودراسة أمور أهمها:

١- إن الاشتغال بسيرة الرسول ﷺ محبب إلى النفوس لأنها سيرة صاحب الرسالة محل الأسوة والقدوة فتجعل الإنسان يعيش جل وقته مع رسول الله ﷺ يصلي ويسلم عليه ويدفعه ذلك على الحرص والمتابعة.

٢- بما أن اليهود كان لهم الدور المباشر في هذه الغزوة وهم الذين كانوا وما زالوا يكيدون للإسلام وأهله وهم يعيدون ما فعلوه بالأمس من شن الحروب على الإسلام ويحاولون إقصاءه عن الحياة العامة بشتى الأساليب لمعرفتهم أن ذلك من أهم أسباب انهيار الإسلام والمسلمين فعمدوا لدعم هذه المحاولة إلى الدس الرخيص وإدخال الروايات الموضوعة أو ما لا أصل له ضد الإسلام وهم بالنسبة لرسول البشرية صلوات الله وسلامه عليه أشد حقداً وأكثر كيداً.

لذلك تأكد بأن الحاجة ماسة إلى مزيد عناية بسيرته العطرة وغزواته المباركة وذلك بتمحيص رواياتها وبيان صحيحها من سقيمها وكشف حقد اليهود على الإسلام فكان لزاماً علي أن أسهم بجهد المقل في خدمة سيرته ﷺ .

٣- الرغبة في وصل السلسلة التي أوشكت على الانتهاء التي إتجه إلى تنفيذها قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في إيجاد بحوث تخصصية في مختلف جوانب السيرة النبوية .

٤- إظهار آخر معركة فاصلة غزيت بها المدينة في بحث خاص بها تناول النصوص الواردة فيها.

وأخيراً فقد كان لفضيلة الدكتور أكرم العمري رئيس قسم الدراسات العليا اليد الطولى في توجيهي إلى هذا البحث واختياره فجزاه الله عني خير الجزاء.

لهذه الأمور اخترت هذا البحث فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان سائلاً المولى - عز وجل - التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه والله على ما أقول وكيل.

منهجي في البحث

١- أورد الحديث ثم أترجم لرجاله من بعض كتب التراجم المعروفة، وإذا كان هناك حديث آخر يؤيده أو بمعناه فإني أورده أيضاً.

٢- أقوم بالحكم على الحديث الذي أهمل النقاد الحكم عليه و لم يوجد في الصحيحين بما تمليه تلك الدراسة صحة وضعفاً، وذلك بعد التأكد من دراسة التراجم، والاتصال في الأسانيد وانعدام العلة والشذوذ مع الاستعانة بتصحيح العلماء إن وجد.

٣- إذا لم يرد حديث للقصة فأبدأ بإيراد كلام ابن إسحاق - لاتفاقهم بأنه إمام أهل المغازي - ثم أسوق كلام أهل المغازي بعد ذلك.

٤- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أترجم لرجاله من باب التعريف بهم وذلك باقتضاب.

٥- أترجم للأعلام الذين يأتي ذكرهم في غير الأسانيد.

٦- أشير للسورة ورقم الآية بالنسبة لما جاء من أدلة من كتاب الله -عز وجل -.

٧- وضعت عدة فهارس بدءاً بالمصادر وانتهاءً بالموضوعات.

خطة البحث

هذا البحث يقع في مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فقد اشتملت على ضرورة العناية بسيرة المصطفى ﷺ، وأما التمهيد فيشتمل على الإشارة إلى الظروف والملابسات التي سبقت الغزوة.

الباب الأول اشتمل على فصلين :

الأول: في أسباب الغزوة .

الثاني: في تاريخها .

وأما الباب الثاني : فقد اشتمل على فصلين أيضاً:

الأول: في دور اليهود في هذه الغزوة وتحته مباحث:

الأول: في بيان الحقد اليهودي على البشرية منذ القدم.

الثاني: الوفد اليهودي المحرض.

الثالث: القبائل التي أغراها اليهود على قتال المسلمين.

الثاني: في بيان دور المنافقين في هذه الغزوة.

وأما الباب الثالث : فهو في بيان موقف المسلمين من هذه التحركات، وقد اشتمل على أربعة فصول :

الأول: في مشاورة الرسول ﷺ لأصحابه حول حفر الخندق.

الثاني: تواضعه ﷺ ومباشرته الحفر بنفسه.

الثالث: تغلب المسلمين على العقبات التي واجهتهم (الكدية) .

الرابع: مكان الخندق وسرعة إنجازهم لحفره مع بيان المدة التي استغرقوها في الحفر حسب أقوال أهل المغازي.

وأما الباب الرابع: فهو في وصول الأحزاب إلى مشارف المدينة وتحته فصول:

الفصل الأول: في بيان عدد الجيوش وتحته مبحثان:

الأول: في عدد جيش المشركين وبيان قواده.

الثاني: في عدد جيش المسلمين.

الفصل الثاني: في بيان تواطؤ اليهود مع المشركين وعزمهم على ضرب المسلمين من الخلف.

الفصل الثالث: تخذيل المنافقين للصف الإسلامي.

وأما الباب الخامس: فهو في وصف ما دار في غزوة الأحزاب من مناوشات بين المسلمين والكفار وتحته فصول:

الفصل الأول: في اقتحام المشركين الخندق وتصدي المسلمين لهم وتحته مباحث:

الأول: في الحصار الذي لحق بالمسلمين.

الثاني: المبارزة.

الثالث: القتلى من الجانبين.

الفصل الثاني: في اشتداد المعركة يمنع المسلمين من الصلاة.

الفصل الثالث: في دور سعد بن معاذ في هذه الغزوة وبلائه فيها.

الفصل الرابع: في دور نعيم بن مسعود الأشجعي في هذه الغزوة.

الفصل الخامس: في دور حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

الفصل السادس: في حصول النـــزاع بين الأحزاب وانهـــزامهم وتحتـــه مبحثان:

الأول: في هبوب الريح.

الثاني: نتائج الغزوة.

أما الخاتمة فهي في العبر والأحكام المستفادة من الغزوة.

بحث تمهيدي يتضمن

الأحداث التي وقعت بين غزوتي أحد والخندق

بالتتبع والرجوع إلى غزوات الرسول ﷺ يتبين أنه قـد حـدثت أحداث بين هاتين الغزوتين أحد والأحزاب.

ذلك أنه بعد غزوة أحد وبعد تلك الهزيمة التي كان سـببها -والله أعلم- عدم طاعة الرماة لرسول الله ولقائدهم ولحكمة أراد الله - تعالى - ذلك.

بيد أن تلك الهزيمة[١] في أول الأمر لم تفـتّ في عضـد الرسـول صلوات الله وسلامه عليه و لم تضعف أولئك الجنود الأشاوس فقد ضمدوا جراحاتهم وواصلوا المسير حتى بلغوا حمراء الأسد[٢].

---

(١) ينفي اللواء محمود شيت خطاب أن تكون هزيمة حيث قال: " لقد أجمع المؤرخون على اعتبار نتيجة أحد نصراً للمشركين وعقب قائلاً ولكن الحقائق العسـكرية لا تتفق مع ما أجمع عليه المؤرخون. الرسول القائد ١٢٦.

(٢) حمراء الأسد: هي من المدينة على بعد ثمانية أميال عن يسار الطريـق إذا أردت ذا الحليفة... كذا في معجم ما استعجم للبكري ٢/٤٦٨ إلا أن ذا الحليفـة أقـرب فالذاهب لحمراء الأسد يبدأ بذي الحليفة لأنها تبعد عن المدينـة حـوالي عشـرة كيلوات، وقال ياقوت: موضع على ثمانية أميال من المدينة وإليه انتهى رسـول الله ﷺ يوم أحد في طلب المشركين. معجم البلدان ٢/٢٠١.

قال ابن إسحاق[١] فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة[٢] ، وقد كان لمعبد الخزعي[٣] دور كبير في تخذيل أبي سفيان ومن معه في هذه الحملة. قال محمود شيت خطاب: وكان لابد للمسلمين من أن يقوموا بالتطهير العام في المدينة وخارجها حتى يستعيدوا قوهم.

لقد استطاعوا أن يجعلوا من المدينة قاعدة آمنة للإسلام قبل غزوة (أحد) ولكن هذه الغزوة أحدثت لهم مشاكل داخلية وخارجية[٤] .

أما المشاكل الداخلية فقد كانت من اليهود الذين هم أشد عداوة للذين آمنوا في السراء والضراء وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وذلك مصداقاً لقوله – تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا... ﴾ [٥].

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم المدني. نزيل العراق ، إمام في المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر من صغار الخامسة . مات سنة ١٥٠هـ، ويقال بعدها . روى له (خت ٤) التقريب ٢٩٠، وتهذيب التهذيب ٣٨/٩.

(٢) السيرة النبوية ١٠٢/٢.

(٣) معبد بن أبي معبد الخزاعي قال ابن القيم إنه أسلم ذلك الوقت ، وقيل إنه عندما خذل كان مشركاً. انظر: الزاد ١٢١/٢، البداية والنهاية ٤٩/٤، سيرة ابن هشام ١٠٢/٢.

(٤) الرسول القائد ١٢٦.

(٥) سورة المائدة، الآية ٨٢.

وداخلية أيضاً من المنافقين الذين تظاهروا بالإسلام خبثاً ومكراً فانكشفت نواياهم قبيل معركة أحد وبعدها عندما رأوا الخطر محدقاً بالمسلمين، ومشاكل خارجية من قريش بالدرجة الأولى، إذ أخذت تشن حرب دعاية ضد المسلمين لتظهر نتائج غزوة (أحد) بمظهر يرفع من قيمتها وبالمقابل يحط من قيمة المسلمين .

وخارجية أيضاً من القبائل المجاورة حيث إنهم طمعوا بالمسلمين وظنوا أنهم أصبحوا في متناول أيديهم غنيمة باردة(١) .

ونتيجة لذلك بلغ الرسول ﷺ بعد شهرين من غزوة أحد أن طليحة وسلمة ابني خويلد الأسدي يحرضان قومهما بني أسد لغزوة المدينة ونهب أموال المسلمين فيها.

فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث أبي سلمة(٢) على رأس مائة وخمسين

---

(١) الرسول القائد ١٢٩.

(٢) أبو سلمة هو: عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ، أخو النبي ﷺ من الرضاعة وابن عمته برة بنت عبد المطلب. كان من السابقين إلى الإسلام، وممن هاجر إلى الحبشة، شهد بدراً ومات في جمادى الآخرة سنة أربع. وذلك عند رجوعه من تأديب بني أسد على أثر جرح جرحه في أحد فانفتق عليه بعد رجوعه من ديار نجد فمات، وتزوج رسول الله ﷺ بعده زوجه أم سلمة. انظر ذلك في: البداية والنهاية ٦٢/٤، أسد الغابة ١٩٥/٣- ١٩٦ .

رجلاً ليباغت القوم في ديارهم قبل أن يقوموا بغارهم(١) .

فلما انتهى أبو سلمة إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعماً كثيراً لهم من الإبل والغنم فأخذ ذلك كله وأسر منهم ثلاثة مماليك وأقبل راجعاً بهم إلى المدينة(٢) .

وفي شهر صفر(٣) من السنة الرابعة(٤) كانت غزوة الرجيع(٥) ،

---

(١) قد يتساءل البعض فيقول هل يجب إنذار العدو أم لا؟ والجواب:

أ- ذهب بعض العلماء إلى وجوب الدعوة إلى الإسلام مطلقاً سواء أكان عندهم علم بالإسلام أم لا، وإليه ذهب ملك وجماعة من العلماء.

ب- المذهب الثاني أنه لا يجب مطلقاً.

جـ- ذهب أكثر العلماء إلى التفصيل بين من بلغتهم الدعوة وعلموا بها فلا يجب في حقهم الإنذار وبين من لم تبلغهم الدعوة ولا علموا بها فيجب الإنذار في حقهم. انظر ذلك في: نيل الأوطار ٢٦٢/٧.

(٢) البداية والنهاية ٦٢/٤.

(٣) جميع المؤرخين يذكرون أنها كانت في صفر إلا أنهم يختلفون بالنسبة للسنة، فبعضهم يقول أنها كانت في سنة ثلاث وبعضهم يقول أنها كانت سنة أربع. انظر: السيرة النبوية ١٦٩/٢، جوامع السيرة ١٧٦ .

(٤) البداية والنهاية ٦٢/٤ وقد نص ابن كثير على أنها سنة أربع نقلاً عن الواقدي.

(٥) الرجيع: بفتح الراء، وكسر الجيم هو في الأصل اسم للروث بتشديد الراء، وسكون الواو، وهو الموضع الذي غدرت فيه عضل والقارة بالسبعة النفر الذين بعثهم رسول الله ﷺ . معجم البلدان ٢٩/٣. ==

وذلك أن رهطاً من عضل[١] والقارة[٢] قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فبعث معهم ستة من أصحابه[٣] .

(=) قال ابن سعد والرجيع هو ماء لهذيل بصدور الهدة والهدة على سبعة أميال منها. والهدة على سبعة أميال من عسفان جهة مكة. وبه قال الحافظ. الطبقات الكبرى ٥٥/٢، السيرة النبوية ١٧٠/٢، فتح الباري ٣٧٩/٧.

وقال ياقوت: قال ابن إسحاق والواقدي والرجيع ماء لهذيل بين مكة والطائف . انظر: معجم البلدان ٩٢/٣

(١) عضل بفتح المهملة ثم المعجمة بعدها لام بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس من مضر ينسبون إلى عضل بن الديس بن محكم من العدنانية. معجم قبائل العرب ٧٨٧/٢.

(٢) القارة: بفتح القاف وتخفيف الراء بطن من الهون أيضاً إلا أن ابن دريد ذكر أن القارة أكمة سوداء فيها حجارة كأنهم نزلوا عندها فسموا بها ويضرب بهم المثل في إصابة الرمي. قال الشاعر: قد انصف القارة من راماها. فتح الباري ٢٧٩/٧.

(٣) عدهم بن إسحاق فقال هم:

مرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد الليثي، عاصم بن ثابت، خبيب، وزيد بن الدثنة، عبد الله بن طارق، وزاد ابن سعد ، ومعتب بن عبيد . وقال موسى بن عقبة ابن عوف بدل ابن عبيد.

انظر: الطبقات الكبرى ٥٥/٢، السيرة النبوية ١٦٩/٢. وقد ذكر ياقوت أنهم سبعة وذكر فهم شعراً لحسان. معجم البلدان ٢٩/٣.

أما البخاري فقال: إنهم كانوا عشرة[١] معتمداً على حديث صحيح في ذلك[٢] ، وبقوله قال ابن سعد إلا أنه لم يذكر سوى سبعة[٣] ، وبقوله قال ياقوت الحموي[٤] .

قال الحافظ :

وكذا سمى موسى بن عقبة السبعة المذكورين لكنه قال معتب بن عوف[٥] ، وكان أميرهم كما قال ابن إسحاق[٦] مرثد بن أبي مرثد الغنوى من قيس عيلان[٧] .

هذا ما قاله ابن إسحاق وبعكس قوله قال البخاري ، وقد أورد الحديث الصحيح الدال صراحة على أن الأمير كان عاصم بن ثابت[٨].

---

(١) صحيح البخاري ٥/٤٠.

(٢) قال السهيلي وهو أصح. الروض الأنف ٣/٢٣٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٥٥.

(٤) معجم البلدان ٣/٢٩.

(٥) فتح الباري ٧/٣٨٥.

(٦) السيرة النبوية ٢/١٦٩.

(٧) انظر ترجمته في: أسد الغابة ٤/٣٤٤- ٣٤٥ .

(٨) انظر: معجم البلدان ٣/٢٩. وقد ذكر ياقوت شعراً لحسان يفيد ذلك فليرجع إليه.

قال البخاري[١] رحمه الله:

حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري[٢] عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال بعث النبي ﷺ سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ فاقتصوا أثرهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد[٣] وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب

---

(١) صحيح البخاري ٥/٨٦- ٨٧ كتاب المغازي.

(٢) محمد بن مسلم المعروف بابن شهاب الزهري أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته واتقانه . مات سنة ١٢٥هـ، وقيل قبل ذلك . روى له الجماعة. التقريب ٣١٨.

(٣) فدفد بفائين مفتوحتين ومهملتين الأولى ساكنة، وهي الرابية المشرفة وقال ابن الأثير هو الموضع المرتفع.

انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/٤٢٠، ٤٢١، والفتح ٧/٣٨١.

وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار[١] قسيهم فربطوهم بها . فقال الرجل الثالث[٢] الذي معهما هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة ... الخ[٣] .

وهكذا كان مصير هذه السرية الصغيرة سواء كانوا عيناً كما في الحديث أو معلمين كما في قول ابن إسحاق[٤] وغيره من العلماء[٥] كان مصيرهم الاستشهاد في سبيل الله ونعم المصير.

أما بالنسبة لعددهم فالصحيح كما قاله البخاري وهم عشرة ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار وكان أميرهم عاصم بن ثابت قال الحافظ: كذا في الصحيح وفي السيرة أن الأمير عليهم مرثد بن أبي مرثد وما في الصحيح أصح[٦] .

---

(١) الأوتار حبال مشدودة بالقسي والقسي أعواد يجعلون فيها الأوتار ليدفعوا بها النبال.

(٢) الرجل الثالث هو: عبد الله بن طارق. كما في رواية ابن إسحاق. قاله الحافظ في الفتح ٣٨١/٧.

(٣) فتح الباري ٣٧٨/٧.

(٤) السيرة النبوية ١٦٩/٢.

(٥) كابن القيم في الزاد ٢٤٦/٣، وابن حزم في جوامع السيرة ١٧٦.

(٦) فتح الباري ٣٨٠/٧.

أما بالنسبة لمهمة هذه السرية فقد رأينا الاختلاف في ذلك.

فبعضهم يقول إنهم كانوا معلمين وبعضهم قال إنهم كانوا عيناً ويؤيد كونها عيناً الرواية التي أوردها الحافظ عن أبي الأسود[١] عن عروة[٢] (بعثهم عيوناً إلى مكة ليأتوه بخبر قريش) [٣] .

قال ابن سعد:

وذكر الواقدي أن سبب خروج بني لحيان عليهم هو قتل سفيان الهذلي ، وأن الهذليين اتفقوا مع عضل والقارة أن يأتوا النبي ﷺ ويطلبوا منه معلمين حتى يثأروا لمقتل زعيمهم سفيان بن خالد الهذلي[٤] .

---

(١) هو: محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي أبو الأسود المدني يتيم عروة – ثقة – من السادسة مات سنة بضع وثلاثين (٤). التقريب ٣٠٨.

(٢) عروة بن الزبير بن العوام ثقة. فقيه مشهور من الثانية. مات سنة ٩٤ على الصحيح. روى له الجماعة. التقريب ٢٣٨.

(٣) فتح الباري ٧/٣٨٠.

(٤) سفيان الهذلي زعيم بني لحيان . وقد بلغ الرسول ﷺ أنه يجمع الجموع له ﷺ فبعث إليه عبد الله بن أنيس سرية ليقتله فمشى معه عبد الله بن أنيس ، وحدثه حتى استحلى حديثه ولما تفرق الناس وناموا قتله وأخذ رأسه وعاد مظفراً – رضي الله عنه وأرضاه – فقد دافع عن الإسلام وعن رسوله . الطبقات الكبرى ٢/٥٠.

أما بالنسبة لتاريخ هذه الوقعة فالصحيح مع القائلين أنها كانت سنة أربع[1] ذلك لأن أحداً كانت في شوال سنة ثلاث وهذه في صفر سنة أربع .

أما ابن حزم فقد ذكر أنها كانت في صفر في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة[2] .

قلت: وهذا غير موافق لما جرت عليه العادة من أن التاريخ أو السنة الجديدة تبدأ بالمحرم أما صفر فيأتي بعده فكيف يكون هو في آخر السنة ؟ إلا أن يكون قصده الحساب من مقدم الرسول ﷺ المدينة حيث قدم في ربيع الأول فيكون صفر في آخر السنة فعلاً كما أشار والله أعلم .

وفي نفس السنة ونفس الشهر كانت الفاجعة الأليمة التي راح ضحيتها سبعون رجلاً من القراء تلك الفاجعة التي وقعت في مكان يسمى بئر معونة[3] .

---

(١) منهم ابن القيم في الزاد ٣/٢٤٦، وابن كثير في البداية والنهاية ٤/٦٢.

(٢) جوامع السيرة ١٧٦.

(٣) بئر معونة: معونة بفتح أوله وضم ثانيه وهو ماء لبني عامر بن صعصعة وهي على أربع مراحل من المدينة قبل نجد.

قال الحافظ:

وقد أوضح ذلك ابن إسحاق حيث قال: حدثني أبي[١] عن المغيرة[٢] ابن عبد الرحمن وغيره قال: قدم أبو براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة[٣] على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فلم يسلم و لم يبعد وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا لك وأنا جار لهم فبعث المنذر بن عمرو[٤] في أربعين رجلاً من خيار المسلمين.

---

(١) هو: إسحاق بن يسار المدني أبو محمد صاحب المغازي - ثقة - من الثالثة. روى له أبو داود في المراسيل. التقريب ٣٠.

(٢) المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أبو هاشم أو هشام، أخو أبي بكر ثقة جواد من الخامسة. مات سنة بضع ومئة. التقريب ٣٤٥، وانظر: تهذيب الكمال ٦٨١/٧. حيث أثبت رواية إسحاق بن يسار عنه.

(٣) سمي بملاعب الأسنة لقوله يخاطب أخاه: فارس قرزل ، وكان قد فر عنه في حرب كانت بين قيس وتميم:

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا

يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

انظر: السيرة النبوية ١٨٤/٢.

(٤) المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة الأنصاري الخزرجي الساعدي، وهو عقبي بدري استشهد يوم بئر معونة ، وكان يلقب - المعنق ليموت - . انظر: الإصابة ٤٦٠/٣- ٤٦١.

قال وكذلك:

أخرج هذه القصة موسى بن عقبة عن ابن شهاب نحوه لكن لم يسم المذكورين، قال: ووصله الطبري من وجه آخر عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن كعب[١] .

قلت: لكنه وصلها في تاريخه من طريق آخر غير التي ذكرها الحافظ[٢] .

قال الحافظ:

ووصلها أيضاً ابن عايذ[٣] من حديث ابن عباس لكن بسند ضعيف[٤] . إلا أن هناك أحاديث صحيحة تدل على أنهم كانوا سبعين.

لذلك قال البخاري - رحمه الله - :

حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه قال : (بعث النبي ﷺ سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء

---

(١) فتح الباري ٣٨٦/٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣٠/٢- ٣١.

(٣) هو: محمد بن عايذ بتحتانية الدمشقي - أبو أحمد وأبو عبد الله - صاحب المغازي، صدوق رمي بالقدر من العاشرة. مات سنة ٢٣٣هـ، وله ثلاث وثمانون سنة. ولد عام ١٥٠. من آثاره: ملح النوارد، وتصانيف في مغازي رسول الله ﷺ. انظر: التقريب ٣٠٣، معجم المؤلفين ١١٧/١٠

(٤) فتح الباري ٣٨٦/٧.

فعرض لهم حيان[١] من بني سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة ... الخ[٢].

قال الحافظ:

ويمكن الجمع بأن الأربعين كانوا رؤساء وبقية العدة أتباعاً ووهم من قال كانوا ثلاثين فقط[٣].

قال الحافظ[٤]: وذكر بني لحيان في هذه القصة وهم وإنما كان بنو لحيان في قصة خبيب في غزوة الرجيع التي قبل هذه ، وكانت نتيجة هذه السرية أن غدر بهم عامر بن الطفيل وقد أسف الرسول ﷺ والمسلمون على هذه النخبة من المؤمنين ومكث ﷺ شهراً يدعو على رعل وذكوان[٥]

(١) حيان تثنية وهو القبيلة من القوم.

(٢) صحيح البخاري ٤١/٥، كتاب المغازي.

(٣) فتح الباري ٣٨٧/٧ قلت: وفي نفسي من هذا الجمع شيء لأنه لا يعقل أن يكون الرؤساء بهذا العدد، إذاً لاضطرب الأمر، مع سابق علمنا بغزوات رسول الله ﷺ وسراياه، ولم نر أنه أرسل أكثر من أمير في أي من ذلك، والله أعلم.

(٤) فتح الباري ٣٨٧/٧.

(٥) رعل بكسر الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون إلى رعل بن مالك بن عوف قبيلة من سليم بن منصور من العدنانية. اللباب في تهذيب الأنساب ٣١/٢، معجم قبائل العرب ٤٣٧/٢.

وذكوان: بطن كبير من سليم بن منصور من قيس عيلان من العدنانية – المصدر السابق.

وهم الغادرون بأصحاب بئر معونة[١] .

وعلى أثر هذه السرية كانت غزوة بني النضير[٢] .

وفي شهر جمادى الأولى من السنة الرابعة خرج صلى الله عليه وسلم بنفسه في غزوة ذات الرقاع[٣] يريد بني محارب وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري وقيل عثمان بن عفان ، وخرج في أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة فلقي جمعاً من غطفان فتواقفوا[٤] ولم يكن بينهم قتال إلا أنه صلى بهم يومئذ صلاة الخوف.

هكذا قال ابن إسحاق وجماعة من أهل السير والمغازي في تاريخ هذه الغزوة وصلاة الخوف بها وتلقاه الناس عنهم قال ابن القيم[٥] وهو مشكل جداً.

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في: فتح الباري ٧/٣٨٥- ٣٩١، السيرة النبوية ٣/١٨٢، البداية والنهاية ٤/٧١- ٧٢- ٧٣، زاد المعاد ٣/٢٤٥.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في: السيرة النبوية ٣/١٩٩، الطبقات الكبرى ٣/٥٧، تاريخ الأمم والملوك ٣/٣٦.

(٣) سميت ذات الرقاع لأنهم رقعوا راياتهم فيها. قال ابن هشام: ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع. السيرة النبوية ٢٠٢٠٤، الزاد ٣/٢٥٠

(٤) عند ابن إسحاق (فتقارب الناس). السيرة النبوية ٢/٢٠٤.

(٥) زاد المعاد ٢/١٢٣.

والإشكال يأتي إذا ثبت أن غزوة ذات الرقاع وقعت قبل غزوة الخندق كما هو ترتيب ابن إسحاق وغيره من أصحاب المغازي. فإنه قد صح أن المشركين حبسوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى غابت الشمس.

وفي السنن ومسند أحمد والشافعي - رحمهما الله - أنهم حبسوه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعاً وذلك قبل نزول صلاة الخوف والخندق بعد ذات الرقاع سنة خمس[١] .

ومما ينبغي ذكره في هذه العجالة أن أبا سفيان قال عند انصرافه من أحد: موعدكم معنا العام القابل[٢] ببدر فقال النبي ﷺ: قولوا نعم قد فعلنا قال أبو سفيان: فذلكم الموعد ثم انصرف، فلما كان شعبان وقيل ذو القعدة من العام القابل . وهي السنة الرابعة لأن أُحداً كانت في شوال سنة ثلاث وعليه جمهور أهل العلم ، وغزوة بدر الموعد كانت في الرابعة على هذا الأساس خرج رسول الله ﷺ لموعده في ألف وخمسمائة وكانت الخيل عشرة أفراس وحمل لواءه علي بن أبي طالب ، واستخلف على المدينة ابن

---

(١) زاد المعاد ١٣٢/٢. انظر حبسه عن الصلاة بدائع المنن في ترتيب مسند الشافعي والسنن ١/٥٥، مسند أحمد ١/١٤٤، ١٥١.

(٢) البداية والنهاية ٤/٨٧، الطبقات الكبرى ٢/٩٥، الزاد ٢/١٠٢.

رواحة[١] ، فانتهى إلى بدر فأقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين.

وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً فلما انتهوا إلى مر الظهران[٢] قال لهم أبو سفيان: أن العام عام جدب وقد رأيت أني راجع بكم فانصرفوا راجعين وأخلفوا الموعد[٣] ، وكان تأخر المشركين عن الموعد مما أعاد القوة والهيبة للمسلمين وقد محت غزوة بدر الآخرة كل أثر سيء لمعركة أحد داخل المدينة وخارجها على حد سواء[٤] .

قال ابن إسحاق:

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولي تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل[٥] .

---

(١) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر أحد السابقين شهد بدراً، واستشهد بمؤته، وكان ثالث الأمراء بها وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان. الإصابة ٢/٣٠٦.

(٢) موضع على مرحلة من مكة جهة المدينة والمرحلة تقدر بأربعين كيلاً على أرجح الأقوال وتقديره بالمرحلة هو قول ياقوت في معجم البلدان ٥/١٠٤، وابن منظور في لسان العرب٧/١٧.

(٣) زاد المعاد ٢/١٢٥، السيرة النبوية ٢/٢١٣.

(٤) الرسول القائد ١٣٨.

(٥) دومة بضم الدال وبينها بين المدينة خمس عشرة ليلة. قال ياقوت سميت بدوم ابن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. معجم البلدان ٢/٤٨٧.

قلت: وهي على بعد ٨٥٠كم شمال المدينة مما يلي الشام.

قال ابن هشام:

في شهر ربيع الأول من سنة خمس واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة[١] .

قال ابن القيم:

وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً يريدون أن يدنوا من المدينة فخرج في ألف من المسلمين ومعه دليل من بني عذره .. يقال له مذكور[٢] فلما دنا منهم إذا هم مغربون[٣] فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً فأقام بها أياماً وبث السرايا وفرق الجيش

---

(١) السيرة النبوية ٢١٣/٢، سباع بن عرفطة الغفاري قد استعمله النبي ﷺ على المدينة لما خرج إلى خيبر ودومة الجندل وقد جاء في ترجمة مذكور العذري الآتية أنه قال - أي ابن الأثير - ولم يسر اليهابل جهز جيشاً بقيادة خالد. فراجعه في أسد الغابة ٢٥٩/٢، ٣٤٣/٤ عند ترجمة (مذكور).

(٢) مذكور العذري له صحبة شهد مع النبي ﷺ غزوة دومة الجندل، وكان دليله إليها. انظر: أسد الغابة ٣٤٣/٤، الإصابة ٣٩٦/٣.

(٣) هذه الكلمة قال فيها صاحب القاموس في القاموس ١٠٩/١. الغرب: المغرب الذّهاب والتنحي. وهذا أقرب.

فلم يصب منهم أحداً فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وفي تلك الغـزوة وادع عيينة بن حصن[١] رغم أن ابن إسحاق قال :

ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها و لم يلق كيداً بها[٢] .

أما ابن الأثير فقد نفى غزو الرسول ﷺ لدومة وأثبت ذلك لخالـد فقط[٣] .

والجمع بين القولين هو قول ابن إسحاق (رجع قبل أن يصل إليها، و لم يلق كيداً) ثم غزاها خالد - رضي الله عنه - وفتحتها عنوة .

وفي شهر شعبان من السنة نفسها بلغ الرسول ﷺ أن الحارث بـن أبي ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليـه مـن العـرب يريدون حرب رسول الله ﷺ فبعث النبي ﷺ بريدة[٤] بن الحصيب ليجس النبض فأتاهم ولقي الحارث وكلمه.

---

(١) زاد المعاد ٥٨٣/٣.

(٢) السيرة النبوية ٢١٣/٢.

(٣) أسد الغابة ٩٥/٢.

(٤) بريدة: بالتصغير بن الحصيب بمهملتين أبو سهل وقيل: أبو الحصيب، والمشهور أبو عبد الله الأسلمي، أسلم قبل بدر وقدم المدينة بعد أحد وأخباره كـثيرة، ومناقبـه مشهورة، وكان غزا خراسان في زمن عثمان ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية قال ابن سعد مات سنة ٦٣هـ. انظـر: أسـد الغابـة ١٧٥/١، الإصابة ١٤٦/١.

ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم . فندب ﷺ أصحابه فخرجوا مسرعين وانتهى رسول الله ﷺ إلى المريسيع[١] وهو ماء لهم فأصاب أموالهم وسبى نساءهم[٢] .

وهكذا فقد حاول المشركون والمنافقون على حد سواء أن ينالوا بدعاياتهم الخبيثة من المسلمين بعد أن عجزوا من النيل منهم في ساحات القتال .

لقد حاول المشركون أن يؤثروا على معنويات المسلمين كي لا يطمئنوا إلى إرسال دعاتهم خارج المدينة وبذلك يجعلون الدعوة تنحصر في محيط ضيق لا يتسع لآمالها القريبة والبعيدة.

فقد غدر بنو عضل والقارة بمعاونة هذيل بستة من الدعاة في الرجيع مع أنهم هم الذين طلبوا من الرسول ﷺ إرسال بعض دعاته إليهم ليعلموهم الإسلام. وغدر عامر بن الطفيل من بني عامر مع بعض

---

(١) المريسيع بالضم ثم الفتح وياء ساكنة ثم مهملة مكسورة وياء أخرى وآخره عين مهملة في الأشهر وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل . معجم البلدان ١١٨/٥.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في: غزوة بني المصطلق رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أعدها الشيخ إبراهيم بن إبراهيم القريبي.

الأعراب بسبعين من دعاة الإسلام ، وذلك في بئر معونة قبل نجد وقضى عليهم جميعاً إلا رجلاً[١] واحداً عاد يحمل أخبار الكارثة[٢] .

فهل أثرت هذه الخسائر على معنويات المسلمين ؟.

إن استشهاد الدعاة لم يؤثر على معنويات النخبة المؤمنة لأنهم استمروا في إرسال دعاتهم وخرجوا لأخذ ثارات أولئك الدعاة حتى لا يعود المشركون إلى الغدر مرة أخرى.

وتتابعت السرايا في كل ناحية حتى عاد للمسلمين عزهم وعادت هيبتهم في قلوب المجاورين وغيرهم.

وحاول المنافقون التأثير كذلك على معنويات المسلمين بأسلوب آخر هو من الذلة والحقارة بمكان فاختلقوا حديث الإفك بعد غزوة بني المصطلق و لم ينجح هذا الأسلوب أيضاً بالتأثير على معنويات المؤمنين .

---

(١) الرجل الذي بقي من الدعاة يقال: إنه كعب بن زيد - رضي الله عنه -. عاش حتى قتل يوم الخندق هذا كلام ابن إسحاق. فراجعه في السيرة النبوية ١٨٥/٢ بيد أنه قول انفرد به هو فقط و لم يذكر كعب بن زيد هذا في قتلى الخندق، والله أعلم.

(٢) أما الذي عاد يحمل أخبار الكارثة فهو عمرو بن أمية الضمري حيث كان من الرعاة القريبين من مكان الحادث و لم يدلهم على ذلك إلا الطير حينما رأوها تحوم في ذلك المكان.

فلم يبق إذا أمام المشركين والمنافقين واليهود إلا أن يحشدوا كل طاقاتهم ويجمعوا كل قواهم في صعيد واحد لمحاولة القضاء على الإسلام وأهله ماديا ومعنوياً كما سنرى ذلك في غزوة الخندق إن شاء الله تعالى[١].

(١) الرسول القائد ١٤٥، السيرة النبوية ٢/١٨٤.

الباب الأول

أسباب الغزوة وتاريخها

الفصل الأول

سبب الغزوة

الباب الأول: أسباب الغزوة وتاريخها

الفصل الأول: سبب الغزوة

يبدو أن أصحاب المغازي ومن جاء بعدهم من العلماء متفقون على أن سبب هذه الغزوة هو إجلاء يهود بني النضير من المدينة حيث إن الحسد والحقد قد تمكنا من قلوبهم مما جعلهم يضمرون العداء ويتحينون الفرص للتشفي ممن طردهم - وما طردهم إلا بسبب ما ارتكبوه ضد المسلمين - أو التحريش ضده وكانوا لا يستطيعون تنفيذ الأول وهو التشفي وحده ، وهذا طبعهم الذي أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم في أكثر من آية منها على سبيل المثال قولهم لنبيهم موسى عليه السلام : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (١).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل بجلاء على جبنهم ، وخبث نفوسهم ، وعلى عدم طاعتهم لنبيهم بعكس أمة محمد ﷺ حيث كان حسناً ما أجاب به الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم في قتال كفار قريش حيث كان آخر ما قالوه « فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا

(١) سورة المائدة الآية (٢٤) .

رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصُبُر في الحرب صدق في اللقـــاء لعل الله أن يريك منـــا ما تقر به عينك فسر بنا على بركـــة الله»(١). كما رواه البخاري(٢) في كتاب التفسير .

وعندما لم يستطع يهود خيبر - وخاصة بني النضـــير(٣) - مجاهـــة المسلمين لجأوا إلى الأسلوب الثاني وهو أسلوب المكر والتحـــريش فقـــد روى ابن إسحاق قال:

حدثني يزيد بن رومان(٤) عن عروة ومن لا أتهم عن عبيد الله(٥) بن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨/٢-٣٩، والسيرة النبوية ٦١٥/٢.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٢٨٧/٧ كتاب المغازي.

(٣) ذلك لأنهم خسروا الكثير من مناطق نفوذهم وسلطانهم فهم موتورون، وأكثر حقداً وتحمساً من غيرهم.

(٤) يزيد بن رومان الأسدي أبو روح المدني مولى آل الزبير - ثقة - من الخامسة مات سنة ثلاثين وروايته عن أبي هريرة مرسلة روى لـــه الجماعـــة ، التقريـــب ٣٨٢، وتهذيب التهذيب ٣٥/١١.

(٥) عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري - ثقة - من الثالثة روى لـــه (خ م د س) التقريب ٢٢٧.

كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب[١] القرظي[٢] ، والزهري ، وعاصم[٣] بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر[٤] ، وغيرهم من علمائنا ، وبعضهم يحدث مالا يحدث بعض قالوا :

أنه كان من حديث الخندق[٥] أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي

---

(١) محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة وكان ابوه من سبي قريظة - ثقة - عالم من الثالثة ولد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال ولد في عهد النبي ﷺ فقد قال البخاري أن أباه كان ممن لم ينبت من سبي قريظة مات محمد سنة ١٢٠، وقيل قبل ذلك روى له الجماعة، تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩، التقريب ٣١٦.

(٢) القرظي: بضم القاف وفتح الراء، وفي آخرها ظاء معجمة هذه النسبة إلى قريظة وهم اسم رجل نزل أولاده حصناً بقرب المدينة وقريظة والنضير إخوان من أولاد هارون عليه السلام، والمنتسب إلى قريظة جماعة منهم كعب بن سليم القرظي المدني يروي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - روى عنه ابنه محمد بن كعب وابنه محمد بن كعب القرظي أبو حمزة يروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وابن عمر - رضي الله عنهما - وغيرهما وكان من فضلاء المدينة. انظر في ذلك اللباب في تهذيب الأنساب ٢٦/٣

(٣) عاصم بن عمر بن قتادة ابن النعمان الأوسي الأنصاري أبو عمرو المدني - ثقة - عالم بالمغازي من الرابعة مات بعد العشرين ومائة روي له الجماعة ، تهذيب التهذيب ٥٣/٥، والتقريب ١٥٩.

(٤) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني القاضي - ثقة - من الخامسة مات سنة (١٣٥)، وهو ابن سبعين سنة روى له الجماعة ، التقريب ١٦٩، وتهذيب التهذيب ١٦٤/٥.

(٥) الخندق: حفير حول أسوار المدن معرب (كندة) وهي الحفرة، وخندق حفرة. ترتيب القاموس ١١٦/٢.

الحقيق النضري[١] ، وحيي بن أخطب النضري[٢] ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق[٣] ، وهوذة بن قيس الوائلي[٤] ، وأبو عمار[٥] الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ .

خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن

---

(١) سلام بن أبي الحقيق أبو رافع قتله الصحابة من الخزرج، وذلك بقيادة عبد الله بن عتيك الخزرجي الأنصاري، وكان أبو رافع عدواً لله ولرسوله، وكان قتله في خيبر بعد وقعة بني قريظة ذلك لأن الأوس قتلوا كعب بن الأشراف وكانت الطائفتان الأوس والخزرج تتسابقان في الخيرات. السيرة النبوية لابن حزم ٢/٢٧٤.

(٢) حيي بن أخطب النضري ستأتي ترجمته في الحقد اليهودي قريباً.

(٣) كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق هو أحد اليهود من بني النضير، وكان قد خلف على صفية بعد سلام بن مسلمة القرظي، وقد جيء به إلى الرسول ﷺ أيام خيبر وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه فجحده فأتى رجل من يهود إلى رسول الله ﷺ فقال إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فأنكر وحفرت تلك الخربة فوجد بعض كنزهم، وأخيراً دفعه إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. السيرة النبوية ٤/٣٣٦، والمعارف لابن قتيبة ١٣٨.

(٤) هوذة بن قيس الوائلي لم أجد له ترجمة في غير هذا المكان. السيرة النبوية ٣/١٤، وتفسير القرآن العظيم، وهو هناك هودة ١/٥١٣.

(٥) أبو عمار الوائلي لم أجد له ترجمة.

ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه.

فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾[1].

قال ابن إسحاق : فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له.

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤا غطفان[2] فدعوهم إلى حرب النبي ﷺ ، وأنهم يكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على

---

(١) سورة النساء الآية ٥٠، وانظر ذلك في السيرة النبوية ٢/٢١٤-٢١٥، والبداية والنهاية ٤/٩٤، وتاريخ الطبري ٢/٥٦٥، والطبقات الكبرى ٢/٦٥، وعيون الأثر ٢/٥٥.

(٢) غطفان بن سعد بطن عظيم متسع كثير الشعوب والأفخاذ من قيس عيلان من العدنانية، وهم بنو غطفان بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كانت منازلهم بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طيء ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية، واستولت عليها قبائل طيء ، وتنقسم إلى ثلاثة أفخاذ عظيمة هي:

أ – أشجع بن ريث بن غطفان .

ب – عبس . ج – ذبيان . ==

ذلك ، واجتمعوا معهم فيه[١] . وقد أورد الطبري[٢] هذا الأثر في تفسيره عن محمد بن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق بهذا الإسناد .

كما أورده ابن كثير[٣] عن ابن إسحاق أيضاً . وكذا ذكره جميع أصحاب المغازي والسير والتفاسير[٤] . وقد نقل الحافظ[٥] هذا القول من مغازي موسى بن عقبة مما يؤيد ويقوي حديث الباب.

وبالنظر إلى سند هذا الأثر:

نجد أن رجاله كلهم ثقات ، وأن الذي قال فيه ابن إسحاق (ومن لا أتهم) في قوله (عن عروة ومن لا أتهم) .

لا يؤثر عدم تسميته لأنه مع عروة وعروة ثقة .

(=) وقد حاربوا رسول الله ﷺ في غزوة الخندق، وجاءوا من بلادهم لذلك وكانوا أكثر الجموع في الأحزاب ثم ارتدوا بعد موته ﷺ فحاربهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه- وبعث إليهم خالد بن الوليد - رضي الله عنه - فقتل منهم كثيراً وتشتت شملهم.

معجم قبائل العرب ٣/٨٨٨، والمعارف لابن قتيبة ٨٢.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢١٤، وسائر كتب المغازي.

(٢) جامع البيان ٢١/١٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٤٧٠، والبداية والنهاية ٤/٩٤.

(٤) مثل ابن إسحاق ، وابن سعد ، وابن جرير ، وابن حزم، والسهيلي، وابن سيد الناس، وابن كثير.

(٥) فتح الباري ٧/٣٩٣.

وهذا الإسناد ينتهي إلى هؤلاء التابعين وحكايتهم لشيء حصل في زمن رسول الله ﷺ فيه حذف للواسطة الذي شاهد ذلك وهو الصحابي ويحتمل أن يكون سقط قبل الصحابي تابعي فهو يعتبر منقطعاً[١] .

ويظهر أن للقصة أصلاً ، ولذلك أوردها المفسرون عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾[٢] .

فقد قال ابن كثير – رحمه الله – :

وقال ابن إسحاق حدثني محمد بن أبي عدي[٣] ، عن داود[٤] ، عن

---

(١) المنقطع: قال السيوطي: الصحيح الذي ذهب إليه الفقهاء والخطيب، وابن عبد البر وغيرهم من المحدثين أن المنقطع هو ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي.
وقيل: هو ما اختل منه رجل قبل التابعي محذوفاً أو مبهماً. تدريب الراوي ٢٠٧/١، أما الصنعاني فقد قال: المشهور أن المنقطع ما سقط من رواته راو واحد غير الصحابي إذا لو كان الساقط الصحابي لكان مرسلاً. ثم قال:
وحكى الحاكم وغيره من أهل الحديث أنه ما سقط منه قبل الوصول إلى التابعي شخص واحد. انظر توضيح الأفكار ٣٢٤/١.

(٢) سورة النساء الآية ٥٠.

(٣) محمد بن إبراهيم بن أبي عدي، وقد ينسب لجده وقيل هو إبراهيم أبو عمرو البصري – ثقة – من التاسعة مات سنة أربع وتسعين ومائة على الصحيح روى له (ع)، التقريب ٢٨٨.

(٤) داود بن أبي هند القشيري مولاهم أبو بكر أو أبو محمد البصري – ثقة متقن – كان يهم بأخرة من الخامسة مات سنة أربعين ومائة وقيل قبلها روى له (خت م)، التقريب ٩٧.

عكرمة[١] أو عن سعيد[٢] بن جبير عن ابن عباس[٣] ، قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان ، وبني قريظة حيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وأبو رافع ، والربيع بن أبي الحقيق ، وأبو عامر، ووحوح بن عامر ، وهوذة بن قيس . فأما وحوح وأبو عامر وهوذة فمن بني وائل[٤] ، وكان سائرهم من بني النضير[٥] ، فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأول فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه ، وممن اتبعه فأنزل الله - عز وجل - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ... ﴾[٦] .

---

(١) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري - ثقة ثبت - عالم بالتفسير و لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا يثبت عنه بدعة من الثالثة مات سنة سبع ومائة وقيل قبل ذلك روى له (ع) التقريب ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي - ثقة ثبت فقيه - من الثالثة وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين و لم يكمل الخمسين روى له (ع) التقريب ١٢٠.

(٣) عبد الله بن عباس الصحابي الجليل - مشهور - .

(٤) الوائلي نسبة إلى عدة قبائل ، و لم يذكرهم ابن الأثير هنا . انظر اللباب في تهذيب الأنساب ٣٥١/٣.

(٥) النضري بفتح النون والضاد وبعدها راء هذه النسبة إلى بني النضير وهم جماعة من اليهود. اللباب ٣١٤/٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٥١٣/١.

والحديث بهذا السند يعتبر حسنا لذاته والشك في قوله عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير لا يضر فكلاهما ثقتان.

ومن طريق ابن إسحاق أخرجه كذلك الطبري[١] .

قال عبد الرزاق[٢] عن الزهري في حديثه عن ابن المسيب مطــولاً فيه:

وكان حيي بن أخطب استجاش المشركين على رسول الله ﷺ ... الخ الحديث[٣] . ودرجة حديث عبد الرزاق:

إسناده ضعيف لأن عبد الرزاق أخرجه عن ابن المسيب مرسلاً وبين عبد الرزاق والزهري راوٍ لم يذكر ، ويحتمل أن يكون الــذي بينــهما (معمراً) ، لأن عبد الرزاق غالباً ما يأخذ عن معمر عن الزهري ، علمــاً بأن مراسيل ابن المسيب أصح المراسيل ، قد اتفق النقاد من المحدثين على ذلك.

---

(١) جامع البيان ١٣٥/٥.

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري - بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفــتح المثناة التحتية - مولاهم أبو بكر الصنعاني - ثقة حافظ - مصنف شهير عمــي في آخر عمره فتغير وكان يتشيع من التاسعة مات سنة إحدى عشرة ومــائتين ولــه خمس وثمانون روى له (ع) التقريب ٢١٣.

(٣) مصنف عبد الرزاق ٣٧١/٥.

والذي يظهر أن القصة مشهورة وممن ذكرها:

ابن سعد ، وابن القيم ، وابن حجر

قال ابن سعد : مشيراً إلى جم غفير من العلماء الذي نقل عنهم شيخه الواقدي ، قالوا: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير ساروا إلى خيبر فخرج نفر من أشرافهم ووجوههم إلى مكة ، فألبوا قريشاً ، ودعوهم إلى الخروج إلى رسول الله ﷺ وعاهدوهم وجامعوهم على قتاله ووعدوهم لذلك موعداً ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسُليماً ففارقوهم على مثل ذلك[١] .

وما ذكره ابن سعد يعتبر ضعيفاً لأنه من طريق الواقدي[٢] وهو متروك .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أُحد وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين فخرج لذلك ثم رجع للعام المقبل فقد خرج أشراف اليهود إلى قريش بمكة يحرضوهم على

---

(١) الطبقات الكبرى ٦٥/٢.

(٢) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المدني القاضي نزيل بغداد متروك مع سعة علمه من التاسعة مات سنة سبع وثمانين ومائة وله ثمان وستون روى له ابن ماجه . التقريب ٢١٢-٢١٣.

غزو رسول الله ﷺ وحربه[١] . وكان القرشيون قد جربوها واكتووا بنارها فصاروا يتهيبونها ويزهدون فيها . فزينها الوفد اليهودي وهون أمرها وقالوا: إنا سنكون معكم حتى نستأصله.

أما الحافظ فقال:

وذكر موسى بن عقبة[٢] في المغازي قال خرج حيي بن أخطب بعد قتل[٣] بني النضير إلى مكة يحرض قريشاً على حرب رسول الله ﷺ ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في غطفان ، ويحثهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف ثمر خيبر فأجابه عيينة بن حصن الفزاري إلى ذلك وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل إليهم طليحة بن خويلد بمن أطاعه ، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش فنزلوا بمر الظهران فجاءهم من أجابهم من بني سليم مدداً لهم فصاروا في جمع عظيم فهم الذين سماهم الله - تعالى - الأحزاب[٤] .

---

(١) زاد المعاد ٣/٢٧٠.

(٢) موسى بن عقبة أبي عياش بتحتانية ومعجمة الأسدي مولى آل الزبير - ثقة فقيه - إمام من المغازي ، من الخامسة لم يصح أن ابن معين لينه مات سنة إحدى وأربعين ومائة، وقيل قبل ذلك روى له (ع) التقريب ٣٥٢.

(٣) لم يقتل بنو النضير ، ولكنهم أُجلوا وقد صرح القرآن الكريم بذلك كما في سورة الحشر، والذين قتلوا هم بنو قريظة.

(٤) فتح الباري ٧/٣٩٣.

وما ذكره الحافظ نقلاً عن موسى بن عقبة لا نستطيع الجزم بضعفه أو صحته لعدم اطلاعنا على مغازي موسى بن عقبة .

ويتبين مما أوردناه من الآثار السابقة أن يهود بني النضير الذين أجلوا إلى خيبر كانوا هم السبب المباشر في وقوع هذه الغزوة وقد ثبت ذلك بطرق تكون بمجموعها صالحة للاحتجاج بها.

وهكذا نرى اتفاق علماء المغازي والسير ، وغيرهم من المفسرين على أن سبب هذه الغزوة المباشر هو حقد اليهود ، وأملهم في القضاء على الإسلام والمسلمين ليشفوا الغيظ الذي أحرق قلوبهم نتيجة طردهم (من حوالي المدينة[1]) رغم أن إجلاءهم كان نتيجة نقضهم للعهود وتلاعبهم بالمواثيق . لذلك قال أبو الحسن الندوي:

وتمت الاتفاقية العسكرية والتي كان قريش وغطفان واليهود من أهم أعضائها واتفقوا على شروط من أهمها :

١- أن تشارك غطفان في جيش الاتحاد بأكبر عدد ممكن .

٢- أن يدفع اليهود لقبائل غطفان كل تمر خيبر لسنة كاملة.

---

(١) تاريخ الخميس ١/٤٨٠، ولا يفهم من هذا أنهم خارج المدينة بل كانوا فيها.

وأسندت قيادة الجيش لأبي سفيان بن حرب[١] . وقد شذ صاحب العقد الثمين[٢] فقال: وكان المشركون عشرة آلاف عليهم الحارث بـــن عوف النضري[٣] .

(١) السيرة النبوية للندوي ١٩٨.

(٢) وهو الإمام محمد بن أحمد الحسني المكي ت ٨٣٢هـــ .

(٣) لعله يريد الحارث بن عوف المري زعيم بن مرة ولكنه مخالف لما ذكره أهل المغازي.

الفصل الثاني
تاريخ الغزوة

الفصل الثاني : تاريخ الغزوة

أما بالنسبة لتحديد زمن هذه الغزوة فقد اختلف العلماء في ذلك وانحصرت أقوالهم فيها فيما بين السنة الرابعة والخامسة للهجرة النبوية الشريفة، وقد شذ اليعقوبي[١] فقال: إنها كانت في السنة السادسة بعد مقدم رسول الله ﷺ بخمسة وخمسين شهراً[٢] .

وهذا التحديد يبدو أنه خطأ بدليل التفصيل بعده بالأشهر ولأن الخمسة والخمسين شهراً تأتي أقل من خمس سنوات فلينظر.

وسأذكر فيما يلي رأي كل فريق مع أدلته وترجيح ما يظهر بالدليل بعد المناقشة والتحليل حسب الإمكان:

أ- القائلون بأنها كانت سنة أربع:

---

(١) هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر ابن وهب بن واضح العباسي، ويعرف بابن واضح وباليعقوبي واليعقوبي - مؤرخ - من مؤلفاته التاريخ - توفي سنة ٢٨٤، معجم المؤلفين ١/١٦١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠.

الزهري ثم تابعه موسى بن عقبة صاحب المغازي قال ابن كثير[١]:

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال: ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع ، وكذلك قال الإمام مالك بن أنس فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى[٢] بن داود عنه[٣] .

وقد ذكر البخاري رأي موسى بن عقبة في صحيحه فقال:

قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع هكذا رواه تعليقاً وبه قال[٤] أثبت ذلك الحافظ حيث قال:

ومال المصنف إلى قول موسى بن عقبة[٥].

---

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصروي ثم الدمشقي المعروف بابن كثير - عماد الدين أبو الفداء - محدث مؤرخ مفسر فقيه ولد عام ٧٠٠ وتوفي ٧٧٤.

انظر معجم المؤلفين ٢/٢٨٣.

(٢) موسى بن داود هو الضبي، أبو عبد الله الطرسوسي نزيل بغداد، ولي قضاء طرسوس الخلقاني بضم المعجمة وسكون اللام بعدها قاف - صدوق فقيه - له أوهام من صغار التاسعة مات سنة (٢١٧) روى له (م د س ق) التقريب ٣٥٠.

(٣) البداية والنهاية ٤/٩٣.

(٤) صحيح البخاري ٥/٤٤.

(٥) فتح الباري ٥/٢٧٨ و ٧/٣٩٣.

وقد تابع هؤلاء في ذلك ابن قتيبة[١] والفسوي[٢] وابن حزم[٣] والنووي[٤] وابن خلدون[٥].

(١) المعارف ٧٠ ، وابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد عالم مشارك في أنواع العلوم كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه والأخبار وأيام الناس وغير ذلك. سكن بغداد وحدث بها ولي قضاء الدينورت ٢٧٦هـ. تاريخ بغداد ١٧٠/١٠، انظر السير ٢٩٦/١٣.

(٢) المعرفة والتاريخ ٢٥٨/٣ تحقيق أكرم العمري والفسوي هو: يعقوب بن سفيان الفارسي أبو سفيان - ثقة حافظ - من الحادية عشرة مات سنة سبع ومائتين، روى له (س ق) التقريب ٣٨٦.

(٣) جوامع السيرة ١٨٥ وابن حزم هو : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي الأندلسي القرطبي اليزيدي - أبو محمد - فقيه أديب أصولي محدث حافظ متكلم مشارك في التاريخ والأنساب واللغة والشعر ولد بقرطبه وتوفي عام (٤٥٦) تذكرة الحفاظ ١١٤٦/٣، السير ١٨٤/١٨.

(٤) في تهذيب الأسماء واللغاب ٢٠/١، والروضة ٢٠٧/١٠، والنووي هو: محي الدين أبو زكريا يحى بن شرف بن مرى الحزامي الحوراني صاحب التصانيف النافعة ولد سنة (٦٣١) وتوفي (٦٧٦هـ) انظر في ذلك تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤-١٤٧٤.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢٩/٢، وابن خلدون هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد الحضرمي الأشبيلي التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون ولي الدين أبو زيد عالم أديب مؤرخ توفي (٨٠٨)، انظر الضوء اللامع للسخاوي ١٤٥/٤، ومعجم المؤلفين ١٨٨/٥.

كما قال به النسفي[١]. أمّا خليفة[٢] بن خياط فلم توجد الغزوة في تاريخه[٣] ويبدو أنها سقطت منه[٤].

وذكر ابن العربي[٥] أن ابن وهب[٦] وابن القاسم[٧] قالا بـــذلك[٨] ولذلك قال ابن حزم:

---

(١) مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل ١٥٦/٤ والنسفي هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي حافظ الدين أبو البركات فقيه أصولي مفسر متكلم توفي في ايـــزخ قـــرب أصبهان ت (٧١٠هـــ) معجم المؤلفين ٣٢/٦.

(٢) خليفة بن خياط بن خليفة العصفري التميمي البصري الملقب - شـــباب - بفـــتح المعجمة وموحدتين الأولى خفيفة صدوق ربما أخطأ وكان اخبارياً علامـــة مـــن العاشرة مات سنة أربعين ومائتين وقد روى له البخاري. انظر التقريب ٩٤.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص ٧٧.

(٤) قاله محقق الكتاب الدكتور أكرم العمري.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله المعـــافري الأندلسي الأشبيلي المالكي المعروف بابن العربي أبو بكر عالم مشارك في الحـــديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ وغير ذلك توفي (٥٤٣). تذكرة الحفاظ ١٢٩٤/٤.

(٦) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه ثقـــة حـــافظ عابد من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائة ، وله اثنتان وسبعون سنة ، روى له (ع) التقريب ١٩٣.

(٧) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي بضم المهملة وفتح المثناة بعـــدها قاف، أبو عبد الله البصري الفقيه صاحب مالك (ثقة) من كبار العاشرة مات سنة إحدى وتسعين ومائة روى له (خ مد س) التقريب ٢٠٨.

(٨) أحكام القرآن ١٥١/٣.

والثابت أنها في الرابعة بلا شك مستدلاً بحديث ابن عمر الآتي. ثم عقب قائلاً فصح أنه لم يكن بينهما - أي بين أحد والخندق - إلا سنة واحدة فقط[١].

والقائلون بأنها كانت سنة أربع جميعهم يستدلون بحديث ابن عمر وهذا سياقه . قال البخاري رحمه الله :

حدثنا يعقوب بن إبراهيم[٢] حدثنا يحيى بن سعيد[٣] عن عبيد الله[٤] قال أخبرني نافع[٥] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عرضه يوم

---

(١) جوامع السيرة ١٨٥.

(٢) هو الدروقي - حافظ فقيه - من العاشرة روى له (ع) ت (٢٥٢) التقريب ٣٨٦، وتهذيب التهذيب ٣٨١/١١.

(٣) يحى بن سعيد القطان ثقة متقن حافظ إمام قدوة من كبار التاسعة روى له (ع) ت (١٩٨) التقريب ٣٧٥.

(٤) هو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني - أبو عثمان ثقة ثبت - وهو أحد الفقهاء السبعة من الخامسة روى له (ع) ت (١٤٧) تهذيب التهذيب ٣٨/٧.

(٥) نافع هو أبو عبد الله الفقيه مولى عبد الله بن عمر أصابه ابن عمر في بعض مغازيه ثقة ثبت فقيه مشهور من الثالثة روى له (ع) مات سنة (١١٧) أو بعد ذلك، تهذيب التهذيب ٤١٢/١٠.

أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه[١].

الحديث رواه أيضا مسلم[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] وابن ماجه[٦] وأحمد[٧] وأبو عوانه[٨] والبيهقي[٩].

هذا الحديث مخرج في الصحيحين كما هو مبين وفي غيرهما من كتب السنة وقد أورده القائلون بأن هذه الغزوة كانت سنة أربع دليلاً لهم.

---

(١) صحيح البخاري ٥/٨٩ كتاب المغازي باب غزوة الخندق.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب سن البلوغ. حديث رقم (١٨٦٨)

(٣) سنن أبي داود ٢/١٢٤ كتاب الخراج والفي باب متى يفرض للرجل في المقاتلة، ٢/٤٥٣ كتاب الحدود باب في الغلام يصيب الحد.

(٤) سنن الترمذي ٢/٤٠٧ باب ما جاء في حد بلوغ الرجل والمرأة، ٣/١٢٧ باب ما جاء في حد بلوغ الرجل ومتى يفرض له.

(٥) سنن النسائي ٦/١٢٧ كتاب الطلاق باب متى يقع طلاق الصبي.

(٦) سنن ابن ماجه ٢/٨٥٠ كتاب الحدود باب من لا يجب عليه الحد.

(٧) مسند أحمد ٣/١٧.

(٨) مسند أبي عوانة ٤/٥٣-٥٤.

(٩) دلائل النبوة ٣/٣٩٥.

والزهري من القائلين بهذا القول وقد مر أن موسى بن عقبة روى عنه أنه قال: ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع[١].

ومع ذلك فقد صرح في موضع آخر بأن الخندق بعد أحد بسنتين[٢] وأحد كانت في السنة الثالثة[٣] وهو قول الجمهور.

ب - القائلون بأن هذه الغزوة كانت في شوال سنة خمس:

أما الذين قالوا بأنها كانت سنة خمس فهم كثيرون وهم الجمهور كما قال ابن كثير[٤]. ويتقدمهم أمام أهل المغازي ابن إسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة[٥] والبيهقي[٦] وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً[٧].

---

(١) البداية والنهاية ٩٣/٤، أحكام القرآن ١٥١٠/٣.

(٢) البداية والنهاية ٩٣/٤، أحكام القرآن ١٥١٠/٣.

(٣) وهو قول جل أهل المغازي والسير.

(٤) البداية والنهاية ٩٤/٤.

(٥) قتادة بن دعامة السدوسي (أبو الخطاب) البصري (ثقة) ثبت يقال ولد أكمه وهو رأس الطبقة الرابعة ت (١١٧) أو (١١٨) روى له (ع) . التقريب ٣٨١، وتهذيب التهذيب ٣٥١/٨.

(٦) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي البيهقي الخراساني أبو بكر محدث فقيه ولد عام ٣٨٤هـ، وتوفي عام ٤٥٨، وعمل كتباً كثيرة لم يسبق إلى تحريرها.

تذكرة الحفاظ ١٣٢/٣.

(٧) البداية والنهاية ٩٣/٤.

وممن قال به أيضا الواقدي وكاتبه ابن سعد[١] لكنهما قالا: إنها كانت في ذي القعدة وتابعهما في ذلك المقريزي[٢]. حيث قال: وكان من خبرها أن رسول ﷺ عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذي القعدة سنة خمس[٣].

أما ابن هشام[٤] فقد قال بأنها كانت في شوال وفي سنة خمس متابعاً في ذلك ابن إسحاق[٥].

---

(١) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم البصري نزيل بغداد كاتب الواقدي صدوق فاضل من العاشرة توفي سنة (٣٠) وهو ابن اثنتين وستين ، روى له أبو داود فقط. التقريب ٢٩٨ ، وانظر مغازي الواقدي ٢/٤٤٠ ، والطبقات الكبرى ٢/٦٥.

(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد المحيوي الحسيني ت (٨٤٥) انظر الضوء اللامع ٢/٢١.

(٣) الامتاع ١/٢١٦.

(٤) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري الذهلي السدوسي المعافري البصري (أبو محمد) أخباري نسابة أديب لغوي نحوي قدم مصر وحدث بها وتوفي فيها سنة (٢٦٣) . انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٤٢٨.

(٥) السيرة النبوية ٢/٢١٤.

وقال به أيضاً البلاذري[١] والطبري[٢] والمسعودي[٣] وابن عبد البر[٤] والخطيب[٥].

---

(١) أحمد بن يحى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري أديب شاعر مؤرخ من أهل بغداد سمع بدمشق وبإنطاكية وهو صاحب التصانيف وسمع من ابن سعد والدولابي قال ابن عساكر بلغني أنه كان أديباً راوية وأنه مدح المأمون وجالس المتوكل وتوفي في أيام المعتمد وشوش في آخر أيامه وكانت وفاته (٢٧٩) لسان الميزان ٣٢٢/١، وتذكرة الحفاظ (٢٩٣).

(٢) محمد بن جرير الطبري أحد الأعلام وصاحب التصانيف من أهل آمل طبرستان، أكثر التطواف وسمع محمداً بن عبد الملك بن أبي الشوارب وأبا همام السكوني وغيرهما ت ٣١٠هـ، انظر تذكرة الحفاظ ٧١٠/٢، وقال ذلك في كتابه تاريخ الأمم والملوك ٤٣/٢.

(٣) قاله في التنبيه والإشراف ص ٢١٦ ، والمسعودي هو: علي بن الحسين بن علي المسعودي أبو الحسن أخباري صاحب تصانيف ذكر بعضها ابن حجر في اللسان ٢٢٤/٤، وذكره ابن دحية في كتاب صفين فقال مجهول لا يعرف ونكره لا يتعرف كذل قال و لم يصب. قال الحافظ وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً توفي (٣٤٥) لسان الميزان ٢٢٤/٤-٢٢٥، ومعجم المؤلفين ٨٠/٧.

(٤) ابن عبد البر قال الذهبي هو الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ولد سنة (٣٦٨) قال أبو الوليد الباجي لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث ، وقال ابن حزم التمهيد لصاحبنا أبي عمر لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه ت (٤٦٣) . تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣.

(٥) قال الذهبي هو : الحافظ الكبير الإمام محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدى البغدادي صاحب التصانيف ولد سنة (٣٩٢هـ) كان والده خطيب قرية درزيجان من سواد العراق. سمع وقرأ القرآن على الكتاني فحرص على ولده هذا وأسمعه في الصغر سنة ثلاث وأربع مائة ثم أُلهم طلب هذا الشأن ورحل فيه إلى الأقاليم وبرع وصنف وجمع وسارت بتصانيفه الركبان قال ابن ماكولا كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظاً واتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وقال ذلك في تاريخه ١٧٠/١. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١١٣٥/٣-١١٤٦.

ومن قال بهذا القول أيضا السهيلي[١] وابن الأثير[٢] والنـــويري[٣] حيث حكاه عن ابن إسحاق وممن قال به من المشـــاهير ابـــن كـــثير[٤] والسمهودي[٥].

---

(١) انظر: الروض الأنف ٢٥٨/٣، والسهيلي هو: الحافظ العلامة البارع أبو القاسم أبو زيد أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن أصبع بن حسين بن سعدون ولد الخطيب أبي محمد بن الأمام الخطيب أبي عمر الخثعمي الأندلسي المالقي الضرير صـــاحب التصانيف المؤنقة . ولد عام ٥٠٨هـــ. وتوفي عام ٥٨١هـــ . انظر: تذكرة الحفاظ ١٣٤٨/٤.

(٢) قال ذلك في الكامل ١٢٢/٢، وابن الأثير هو: أبو الحسن علي ابن الأثير أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المحدث اللغـــوي ، صاحب التاريخ ومعرفة الصحابة والأنساب وغير ذلك. ولد عام ٥٥٥هـــ، وتوفي ٦٣٠هـــ. تذكرة الحفاظ ١٣٩٩/٤ قال ذلك في الكامل ١٢٢/٢.

(٣) هو: أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكـــري النـــويري (شهاب الدين) أبو العباس . مؤرخ أديب مشارك في علوم كثيرة من تصانيفه نهاية الأدب. ولد عام ٦٧٧هـــ، توفي عام ٧٣٣هـــ. انظر قوله في كتابه نهايـــة الأرب ١٦٦/١٧.

(٤) البداية والنهاية ٩٤/٤.

(٥) هو علي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن عيسى بن محمد بن عيسى الحسني نـــور الدين أبو الحسن. مؤرخ فقيه. ولد بسمهود ونشأ بها وتوفي بالمدينة. من تصـــانيفه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. ولد عام ٨٤٤هـــ، توفي عام ٩١١هـــ. انظـــر قوله في وفاء الوفاء ١١٢/١٠، وانظر ترجمته في الضوء اللامع ٢٤٥/٥.

ومن قال به من المعاصرين محمد محمد أبو شهبه[١]، وعماد الدين خليل[٢]، ومصطفى السباعي[٣].

وهكذا يتبين أن الكثرة الكاثرة هم القائلون بأنها كانت سنة خمس. قال الذهبي[٤] وهو المقطوع به، وقال ابن القيم[٥] وهو الأصح، وقال الحافظ[٦] وهو المعتمد حكى ذلك كله القسطلاني[١]. وقد أجابوا عن

---

(١) السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة ٢/٢٢٨.

(٢) دراسة في السيرة ٢١٦.

(٣) السيرة النبوية دروس وعبر ٨٨.

(٤) الذهبي هو: محمد بن أحمد بن عثمان قايماز. انظر: معجم المؤلفين ٨/٢٨٠.

(٥) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حرير الزرعي. نسبة إلى بلدة أزرع ثم الدمشقي. أبو عبد الله شمس الدين. كان رضي الله عنه من أجلة العلماء، وكذلك كان أبوه فقد كان قيماً على الجوزية (مدرسة في دمشق ولذلك عرف بابن القيم الجوزية). ولد عام ٦٩هـ في شهر صفر، وتوفي عام ٧٥١هـ. وله مصنفات قيمة مثل زاد المعاد ، وأعلام الموقعين، وغيرهما ، شذرات الذهب ٦/١٦٨، والدبر الطالع ١/١٤٣.

(٦) هو: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة . ويعرف بابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل، محدث مؤرخ أديب شاعر . ولد عام ٧٧٣هـ، وتوفي عام ٨٥٢هـ. زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنفاً منها: فتح الباري ، الإصابة في تمييز الصحابة، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، وغير ذلك. انظر: الضوء اللامع ٢/٣٦ ترجمة ١٠٤.

حديث عرض ابن عمر المتقدم مؤلين له وقالوا:

يحتمل أنه عرض في أحد في أول الرابعة عشرة، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة، وهذا هو جواب البيهقي[٢].

وعقب ابن كثير[٣] على قول ابن حزم المتقدم، والثابت أنها في الرابعة بلا شك بقوله:

هذا الحديث مخرج في الصحيحين، وليس يدل على ما ادعاه ابن حزم، لأن مناط إجازة الحرب كان عنده ﷺ خمس عشرة سنة، فكان لا يجيز من لم يبلغها، ومن بلغها أجازه. فلما كان ابن عمر يوم أحد ممن لم يبلغها لم يجزه. ولما كان قد بلغها يوم الخندق أجازه.

وليس ينفي هذا أن يكون قد زاد عليها بسنة أو سنتين أو ثلاث أو أكثر من ذلك فكأنه قال: وعرضت عليه يوم الخندق، وأنا بالغ أو من أبناء الحرب.

---

(١) المواهب اللدنية ١٠٣/٢، والقسطلاني هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي القسطلاني الأصل المصري. ==

(=) شهاب الدين . أبو العباس ، محدث مؤرخ فقيه ومقرئ. ولد بمصر عام ٨٥١هـ. وتوفي عام ٩٢٣. من تصانيفه إرشاد الساري علي صحيح البخاري، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، فتح الداني في شرح الأماني ، منهاج الابتهاج وغيرها.

(٢) دلائل النبوة ٣٩٥/٣.

(٣) الفصول في سيرة الرسول ص ٥٦، البداية والنهاية ٩٤/٤.

وقال البيهقي ولا اختلاف بينهم في الحقيقة لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس[١].

وقد أورد ابن حجر هذا الجواب عن البيهقي ومفاده:

بأن قول ابن عمر (عرضت يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة) أي دخلت فيها، وأن قوله عرضت يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة، أي تجاوزها فألغى الكسر في الأولى، وجبره في الثانية، وهو شائع مسموع في كلامهم.

وبه يرتفع الإشكال المذكور، وهو أولى من الترجيح[٢].

وقد روى الطبراني[٣] بسنده عن ابن إسحاق أثراً يعتبر شاهداً لأصحاب هذا الرأي حيث قال:

---

(١) دلائل النبوة ٣/٣٩٥.

(٢) فتح الباري ٥/٢٧٨، التلخيص ٤/٨٩- ٩٠.

(٣) المعجم الكبير ٦/١٦، والطبراني هو: كما قال الذهبي فيه.

الحافظ الإمام العلامة الحجة (بقية الحفاظ) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي بمفتوحة وسكون الخاء المعجمة نسبة إلى لخم وهو مالك بن عدي - المغني ٦٧. الشامي الطبراني مسند الدنيا . ولد سنة ٢٦٠هـ، وتوفي ٣٦٠هـ. وقال الحافظ لا ينكر له التفرد في سعة ما روى. لينه الحافظ أبو بكر بن مردويه لكونه غلط أو نسي:

==

حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي[١] ثنا محمد بن محمد بن عبد الله ابن نمير[٢] ثنا يونس بن بكير[٣] عن محمد بن إسحاق قال لما كانت[٤]

(=) فمن ذلك أنه وهم وحدث بالمغازي عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي، وإنما أراد عبد الرحيم أخاه فتوهم أن شيخه عبد الرحيم اسمه أحمد واستمر على هذا يروي عنه ويسميه أحمد. وقد مات أحمد قبل دخول الطبراني مصر بعشر سنين أو أكثر وإلى الطبراني المنتهى في كثرة الحديث وعلوه. ومن تصانيفه المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، الدعاء في مجلد كبير، دلائل النبوة ، كتاب الأوائل ، وتفسير كبير.

تذكرة الحفاظ ٩١٢/٣، لسان الميزان ٧٣/٣، معجم المؤلفين ٢٥٣/٤.

(١) محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الحافظ مطّين بفتح المثناة التحتية . قال صاحب المغني هو لقب أبي جعفر محمد بن عبد الله قال وبكسرها (المثناة) لقب عبد الله بن محمد. قال الحافظ هو محدث الكوفة، وقد وثقه الناس. قال الذهبي سئل عنه الدارقطني فقال: ثقة جبل . قال: وبكل حال فمطين ثقة مطلقاً. ولد ٢٠٢هـ، وتوفي عام ٢٩٧هـ.

انظر: لسان الميزان ٢٣٣/٥- ٢٣٤، تذكرة الحفاظ ٦٦٢/٢، المغني في أسماء الرجال ٧٢.

(٢) محمد بن عبد الله بن نمير الهمذاني بسكون الميم الكوفي أبو عبد الرحمن ، ثقة حافظ، فاضل من العاشرة . مات سنة أربع وثلاثين أي ٢٣٤هـ. وروى له (ع). التقريب ٣٠٦.

(٣) يونس بن بكير بن واصل الشيباني أبو بكر الحمال الكوفي، صدوق يخطئ من التاسعة. مات سنة ١٩٩. روى له (خت م ت ق). قال الذهبي هو حسن الحديث. التقريب ٣٩٠، ميزان الاعتدال ٤٧٨/٤.

(٤) كذا في المطبوعة ولما هنا زائدة.

الخندق في شوال سنة خمس وفيها مات سعد بن معاذ -رضي الله عنه-. وهذا الأثر يعتبر على ضوء هذا السند حسناً إلى ابن إسحاق منقطعاً بعده والله أعلم.

وكذا أورد هذا الأثر البيهقي حيث قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ(١) حدثنا أبو العباس(٢) محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار(٣) العطاردي حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق به(٤).

---

(١) أبو عبد الله الحافظ الكبير إمام المحدثين محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع . صاحب التصانيف قال الحافظ: إمام صدوق ولكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة فيكثر من ذلك فما أدري هل خفيت عليه فما هو ممن يجهل ذلك، وإن علم فهو خيانة عظيمة ثم هو شيعي مشهور بذلك من غير تعرض للشيخين . مات ٤٠٥هـ. لسان الميزان ٢٣٢/٥، تذكرة الحفاظ ١٠٣٩/٣، والمترجم له هو: الحاكم.

(٢) هو الإمام المفيد الثقة محدث المشرق (أبو العباس) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي مولاهم المعقلي النيسابوري ، وكان يكره أن يقال له الأصم . قال الحاكم : وإنما ظهر به الصمم بعد مجيئه من الرحلة ت ٢٨٤هـ. تذكرة الحفاظ ٨٦٠/٣.

(٣) أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زراره التميمي العطاردي أبو عمر الكوفي. قال مطين : كان يكذب ، وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالقوى عندهم تركه ابن عقدة، وقال الحافظ ضعيف وسماعه للسيرة صحيح من العاشرة و لم يثبت أن أبا داود أخرج له. مات سنة ٢٧٢هـ.
تهذيب التهذيب ٥١/١

(٤) دلائل النبوة ٣٩٥/٣.

كما أورده الهيثمي[١] عن ابن إسحاق، وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وقال الحافظ :

ويؤيد قول ابن إسحاق أن أبا سفيان قال للمسلمين لما رجع من أحد: موعدكم العام المقبل ببدر فخرج النبي ﷺ من السنة المقبلة إلى بدر فتأخر مجيء أبي سفيان تلك السنة للجدب الذي كان حينئذ، وقال لقومه إنما يصلح الغزو في سنة الخصب فرجعوا بعد أن وصلوا عسفان أو دونها.

ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي.

وعقب[٢] على ذلك بقوله وقد بين البيهقي سبب هذا الاختلاف، وهو أن جماعة من السلف كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلقون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، وعلى ذلك جرى يعقوب بن سفيان في تاريخه فذكر أن غزوة بدر الكبرى كانت في السنة الأولى، وأن غزوة أحد كانت في السنة الثانية، وأن الخندق كانت في الرابعة، وهذا عمل صحيح على ذلك البناء، ثم قال: ولكنه بناء واهٍ مخالف

---

(١) مجمع الزوائد ٦/١٤٢.

قلت : حكم الهيثمي على هذا السند جيد لأن يونس بن بكير أكثرهم على توثيقه ومن هؤلاء ابن معين خلافاً لما توصل إليه الحافظان الذهبي وابن حجر فيما تقدم.

(٢) أي الحافظ ابن حجر.

لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة، وعلى ذلك تكون بدر في الثانية، وأحد في الثالثة، والخندق في الخامسة وهو المعتمد[1].

أما ابن العربي فقد قال:

إن الخندق بعد مضي أربع سنين وعشرة أشهر وخمسة أيام من الهجرة[2]، وهذا موافق لأصحاب الرأي القائل بأنها كانت في الخامسة، وموافق لابن سعد حيث قال بأنها كانت في الخامسة، وفي شهر ذي القعدة، وذلك بناءً على التاريخ من بداية المحرم. وأخيراً نعرج على كلام البيهقي لنراه يقول:

قلت: لا اختلاف بينهم في الحقيقة، وذلك لأن رسول الله ﷺ قاتل يوم بدر لسنة ونصف من مقدمه المدينة في شهر رمضان ثم قاتل يوم أحد من السنة القابلة لسنتين ونصف من مقدمه المدينة في شوال، ثم قاتل يوم الخندق بعد أحد بسنتين على رأس أربع سنين ونصف من مقدمه المدينة

(١) فتح الباري ٧/٣٠٣.

(٢) عارضة الأحوذي ٧/١٧٣.

فمن قال سنة أربع أراد أربع سنين، وقبل بلوغ الخمس، ومن قال سنة خمس أراد بعد الدخول في السنة الخامسة، وقبل انقضائها[١] والله أعلم.

هذا نص كلام البيهقي وهو توجيه حسن أخذ به كثير من العلماء لفك الإشكال، أما ابن سيد الناس[٢] فقد نقل كلا القولين، و لم يرجح أحدهما على الآخر[٣].

الخلاصة:

استعرضنا أدلة الفريقين، وتبين من ذلك أن الحق مع القائلين بوقوع هذه الغزوة في سنة خمس لما يأتي:

١- احتمال حديث ابن عمر لتأويلهم.

٢- اطباق أهل المغازي والسير والمؤرخين والعلماء من بعدهم على هذا الرأي.

---

(١) دلائل النبوة ٣/٣٩٥.

(٢) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى اليعمري الأندلسي الأشبيلي المصري المعروف بابن سيد الناس ، فتح الدين أبو الفتح ، محدث حافظ مؤرخ فقيه ناظم ناشد نحوي أديب ، وهو من شيوخ الذهبي . ولد عام ٦٧١هـ، وتوفي عام ٧٣٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ٤/١٥٠٣.

(٣) عيون الأثر ٢/٥٥.

٣- ما ذكر من مواعدة قريش لرسول الله ﷺ بعد أحد -بدر الموعد- يجعل ذلك واضحاً ومواعدة قريش لملاقاته ﷺ ساقها ابن حجر كاملة[١]، وقد بين -رحمه الله- في المقدمة[٢] أن ما يورده في كتابه منتزعاً من أمهات المسانيد، والجوامع والمستخرجات، والأجزاء، والفوائد بشرط الصحة أو الحسن.

(١) فتح الباري ٣٩٣/٧.

(٢) هدي الساري ٤.

الباب الثاني

الدوافع والأسباب التي دعت

إلى تكتل الأحزاب

الفصل الأول

دور اليهود في هذه الغزوة.

الباب الثاني:

بيان الدوافع والأسباب التي دعت إلى تكتل الأحزاب.

الفصل الأول: دور اليهود في هذه الغزوة.

المبحث الأول: الحقد اليهودي على البشرية منذ القدم.

إن الحقد الذي تمكن في قلوب اليهود على البشرية عامة وعلى المؤمنين خاصة قديم يرافق هذا الحقد عناد وصلف وكبرياء. وذلك لأهم يعتقدون أنهم أهل السيادة في الأرض حيث قالوا إنهم أبناء الله وأحباؤه وذلك في قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[1] الآية.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: قالوا: أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية وهو يحبنا. ونقلوا عن كتابهم ما يوافق هدفهم وحرفوه[2]. ونجد أكبر شاهد على حقدهم وكراهيتهم للمؤمنين قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾[3] الآية.

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ١٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٤/٢.

(٣) سورة المائدة الآية ٨٢.

أما كراهتهم للعرب خاصة فهو واضح بالقرآن والسنة ذلك أن القرآن حكى لنا أنهم يستبيحون أكل أموال العرب وليس عليهم سبيل في ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾[1] الآية. قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية أي: إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب فإن الله قد أحلها لنا.

أقول: ولكن الله سبحانه وتعالى كفانا شرهم والمجادلة معهم عند ادعائهم هذا وذلك بتمام الآية السابقة حيث قال ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

قال ابن كثير: أي: وقد اختلقوا هذه المقالة وائتفكوها بهذه الضلالة. فإن الله قد حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت[3]. ومع هذا فإننا إذا أردنا أن نتعرض لحقدهم وغرورهم الذي وضحه القرآن لطال بنا البحث ولكن أردنا التنويه بخبثهم ودسهم وعدم انصياعهم مع أنه واضح للعيان.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٧٤.

فهذه أم المؤمنين صفية[١] بنت حيي بن أخطب تقول عن أبيها وعمها عندما جاء الرسول ﷺ إلى المدينة يحمل النور معه. وكان أهل الكتاب يعرفون علامات مبعثه وصفاته ولكن العمى عمى القلب فهذا حيي بن أخطب وهو القطب الدوار والخصم الألد الذي حرك أعداء هذا الدين لهذه الغزوة وأثار كوامن[٢] قريش وألبهم ضد المسلمين وضد حامل هذه الرسالة الصافية صلوات الله وسلام عليه. تحدث أم المؤمنين فتقول فيما رواه ابن إسحاق:

قال حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حُدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: " كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه.

---

(١) صفية بيت حيى بن أخطب أم المؤمنين سبيت في غزوة خيبر واصطفاها النبي ﷺ فأسلمت وأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها. توفيت رضي الله عنها سنة ٥٢هـ وذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه، وأوردها الذهبي فيمن مات سنة خمسين.

الطبقات الكبرى ١٢٠/٨، ودول الإسلام ٣٧/١، سمط النجوم العوالي ١٥٩/٣.

(٢) كوامن: هو كل ما اختفى من الأحاسيس والمشاعر والأحقاد. مختار الصحاح ٥٧٩.

قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء[١] في بني عمرو بن عوف قالت غدا[٢] عليه أبي حيي بن أخطب[٣] وعمي أبو ياسر[٤] مغلسين[٥]

---

(١) قباء: بالضم وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وأول ما نزل الرسول ﷺ عند مقدمه من مكة فيه وأقام به الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وركب يوم الجمعة يريد المدينة فجمع في مسجد بني سالم بن عوف فكانت أول جمعة جمعت في الإسلام. معجم البلدان ٣٠١/٤.

(٢) غدا: أي ذهب أول النهار نقيض الرواح وقد غدا يغدوا والغدوة بالضم ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والجمع غدوات. النهاية في غريب الحديث ٤٦/٣، مختار الصحاح ٤٦٩.

(٣) حيي بن أخطب بن سعية ، وقيل سعنة بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه السلام وهو من سبط لاوي بن يعقوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الطبقات الكبرى ١٢٠/٨، أسد الغابة ٤٩٠/٥، الإصابة ٣٤٦/٤، كلهم ذكر ترجمته عند ذكر صفية أم المؤمنين - رضي الله عنها وأرضاها -.

(٤) أبو ياسر بن أخطب لم يرد ذكره منفرداً بل مقترناً بأخيه وبكونهما عدوين لدودين للنبي ﷺ . انظر: السيرة النبوية ٥١٤/١، ٥١٩، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٦٠.

(٥) مغلسين: الغَلَس بفتحتين ظلمة آخر الليل والتغليس السير بغلس. مختار الصحاح ٤٧٨.

قالت فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس . قالت: فأتيا كـالين(١) كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت(٢) إليهما كما كنت أصنع فوالله ما ألتفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم . قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب أهو هو قال: نعم والله قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم قال: فما في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت(٣).

والحديث بهذا الإسناد - منقطع - لأن عبد الله بن أبي بكر بن حزم روى عن مجهول - الواسطة بينه وبين صفية -.

والحديث وإن كان منقطعاً فالآيات والواقع الملموس من هذه الطائفة تؤيده وقد دل كتاب الله على معنى هذا الحديث في أكثر من آية منها علي سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا

---

(١) كالين: كلّ الرجل والبعير من المشي يكل كلالاً وكلالة أي أعيا مختار الصحاح ٥٧٦.

(٢) هششت : الهشاشة بالفتح الارتياح والخفة للمعروف. المصدر السابق ٦٩٥.

(٣) السيرة النبوية ١/٥١٨- ٥١٩، ٢/٢٤١، الاكتفاء ١/٤٧٣، وفاء الوفاء ٢٦٩.

يَشْتَرُونَ ۞ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١].

قال ابن كثير: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا - بتشديد الواو التي بعد العين - عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون[٢] الطفيف والحظ الدنيوي السخيف فبئست الصفقة صفقتهم وبئست البيعة بيعتهم[٣].

وقال الطبري عند تفسير هذه الآية:

واذكر أيضا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يامحمد إذ أخذ الله ميثاقهم ليبين للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم وهو التوراة والإنجيل وأنك لله رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم . يقول: فتركوا أمر الله وضيعوه

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٨٧- ١٨٨.

(٢) دون: بالضم نقيض فوق وهو الخسيس. القاموس المحيط ٢٢٣/٤- ٢٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٤٣٦/١.

ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك فكتموا أمرك وكذبوا بك واشتروا به ثمناً قليلاً.

يقول: وابتاعوا بكتابهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك عوضاً منه خسيساً قليلاً من عوض الدنيا ثم ذم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال: ﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[١].

ثم أورد الطبري - رحمه الله - حديثاً يؤيد ما سبق. حيث قال: حدثنا بشر[٢] قال حدثنا يزيد[٣] قال حدثنا سعيد[٤] عن قتادة[٥] ذكر لنا أن أعداء الله اليهود يهود خيبر[٦] أتوا نبي الله ﷺ فزعموا أنهم راضون

(١) جامع البيان ٢٠٢/٤.

(٢) هو: بشر بن معاذ العقدي بفتح المهملة والقاف أبو سهل البصري الضرير، صدوق من العاشرة مات سنة بضع وأربعين ومائتين. روى له (ت س ق). تهذيب التهذيب ٤٥٨/١.

(٣) يزيد بن زريع بتقديم الزامي مصغراً - البصري - أبو معاوية (ثقة ثبت) من الثامنة مات اثنتين وثمانين ومائة. روى له (ع). التقريب ٣٨٢.

(٤) سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري مولاهم أبو النضر البصري (ثقة حافظ). له تصانيف لكنه كثير التدليس واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة من السادسة مات سنة ١٥٧، وقيل ١٥٦. روى له (ع). التقريب ١٢٤.

(٥) قتادة بن دعامة ثقة. وقد تقدم ص ٦٧.

(٦) خيبر الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ وهي ناحية على ثمانية برد شمال المدينة يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون وبها نخل ومزارع. انظر: معجم البلدان ٤٠٩/٢، وهي تبعد عن المدينة شمالاً بـ ١٧٠ كيلو متر.

بالذي جاء به وأنهم متابعوه وهـم متمسكون بضـلالتهم وأرادوا أن يحمدهم نبي الله ﷺ بما لم يفعلوا فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١] الآية.

والحديث بهذا السند إلى قتادة حسن و لم يسم قتادة من ذكر لـه ذلك . ومن الجدير بالإشارة أن اليهود يحقدون أشد الحقد على النبي ﷺ قبل أن يعرفوه حتى أنهم عندما ما سمعوا أوصافه قال بعضهم لبعض: اقتلوه ويشهد لذلك ما رواه ابن سعد من سند منقطع من أعلاه حيث قال:

أخبرنا عمرو بن عاصم[٢] الكلابي أخبرنا همام[٣] بـن يحـي عـن إسحاق[٤] بـن عبـد الله أن أم[٥] الـنبي ﷺ لمـا دفعتـه إلى

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٨٧ - ١٨٨. وانظر: تفسير الطبري ٢٠٨/٤.

(٢) عمرو بن عاصم بن عبيد الله الكلابي القيسي أبو عثمان البصري (صـدوق) في حفظه شيء من صغار التاسعة ت ٢١٣. روى له (ع). التقريب ٢٦٠.

(٣) همام بن يحيى بن دينار العوذي بفتح المهملة وسكون الواو وكسر المعجمة أبو عبد الله أو أبو بكر البصري - ثقة - ربما وهم من السابعة مات سنة ١٦٤هـ. روى له (ع). التقريب ٣٦٥.

(٤) إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري المدني أبو يحيى (ثقة حجة) من الرابعة ت (١٣٢) (١٣٤) وقيل بعدها . روى له (ع). التقريب ٢٩.

(٥) أم النبي ﷺ هي:

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وقد توفيت بـالابواء وهي كما قال ياقوت في معجم البلدان ٧٩/١. قرية من أعمال الفرع ==

السعدية[١] التي أرضعته قالت لها احفظي ابني وأخبرتها بما رأت فمر بها اليهود فقالت إلا تحدثوني عن ابني هذا؟ فإني حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا وصفت أمه قالت فقال بعضهم لبعض: اقتلوه فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا: لو كان يتيماً لقتلناه[٢] أ. هـ وليس ذلك بمستبعد عن قوم وصفهم الله في كتابه بأنهم يقتلون أنبياءهم.

مما سبق من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة يتضح بعض الأدلة التي جاءت مبينة لما يعرف به اليهود على مدى الأزمان من حقد دفين وعداوة ظاهرة للأمة الإسلامية ونبيها المصطفى ﷺ.

ذلك الحقد الذي أعمى قلوبهم وأحرقها وشتت شملهم في الدنيا حيث نفاهم ﷺ من المدينة وذلك بقوة الله التي تسانده حيث أخبر تعالى

(=) من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً قال أنها سميت بالابواء لتبوء السيول بها وقد ماتت بها آمنة وهي راجعة من المدينة وقد ذهبت لزيارة أخواله عليه الصلاة والسلام. الطبقات الكبرى ٥٩/١، السيرة النبوية ١٩٦/١، الروض الأنف ١٩٤/١ .

(١) هي حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية مرضعة النبي ﷺ وهي من هوازن كما في الإصابة في تمييز الصحابة ٢٨٤/٤. قال ابن القيم في الزاد ٨٣/١ واختلف في إسلام أبويه من الرضاعة.

(٢) الطبقات الكبرى ١١٣/١، ١٢٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٩، السيرة النبوية ٥٤٦/١ وما بعدها.

عن ذلك فقال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[١].

ويجدر بنا ونحن بصدد الحديث عن حقدهم ودسائسهم أن نبين طوائف اليهود الذين تمركزوا في المدينة منذ زمن طويل وهذه الطوائف هي: بنو قينقاع وبنو النضير، وبنو قريظة وكل طائفة من هذه الطوائف كان لها موقف مع النبي المصطفى ﷺ ، وكانت كلها مواقف تنضح بالحقد والكراهية.

وكان من موقف بني قينقاع كما قال الحافظ[٢] ما روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر جمع يهود بني قينقاع في سوقهم فقال: يايهود أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً يوم بدر.

---

(١) سورة الحشر الآية ٢.

(٢) فتح الباري ٣٣٢/٧ بتصرف.

فقالوا: إنهم كانوا لا يعرفون القتال ولو قاتلناك لتعلمن أنا نحن الناس[١]. فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ إلى قوله... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ الآيتان[٢]. وهكذا يظهر أن أول من نقض العهد من اليهود هم بنو قينقاع[٣].

قال ابن هشام:

وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور[٤] بن مخرمة عن أبي عون[٥] قال كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب[٦] لها فباعته بسوق بني قنيقاع وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٣٥٠، السيرة النبوية ٢/٤٧.

(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٢، ١٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٢٩، فتح الباري ٧/٣٣٠.

(٤) عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة أبو محمد المدني المخرمي بسكون المعجمة وفتح الراء الخفيفة - ليس به باس - ت ١٧٠. روى له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة. تهذيب التهذيب ٥/١٧١.

(٥) أبو عون هو: محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الثقفي الكوفي الأعور - ثقة - من الرابعة ت ١١٦. روى له (خ م د ت س). تهذيب التهذيب ٩/٣٢٢.

(٦) الجلب: بفتحتين فعل بمعنى مفعول وهو ما يجلبه الإنسان من بلد إلى بلد وذلك من التجارة . المصباح المنير ١٢٧.

انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً وشدت اليهود على المسلم فقتلوه. فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[1] وأثر ابن هشام فيه انقطاع من أسفله ومن أعلاه.

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: (فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه) وكان ذلك في شوال بعد وقعة بدر وأراد قتلهم فاستوهبهم منه كبير المنافقين[2].

وكانوا حلفاءه فوهبهم له وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات[3]. قال ابن حزم: وهم قوم عبد الله بن سلام[4] - مخفف - وكانوا في طرف المدينة[5] وكانوا سبعمائة مقاتل[6].

---

(١) السيرة النبوية ٤٨/٢.

(٢) هو: عبد الله بن أبي بن سلول ونفاقه مشهور. انظر: البداية والنهاية ٤/٤.

(٣) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء وعين مهملة وألف وتاء بلد في إطراف الشام تجاور أرض البلقاء. مراصد الإطلاع ٤٧/١ .

(٤) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري كان حليفا لهم من بني قينقاع وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام وكان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله . أسد الغابة ١٧٦/٣.

(٥) انظر رسالة - طوائف ليهود الثلاث في المدينة- لأكرم حسين السندي.

(٦) جوامع السيرة ١٥٤.

ثم نقض العهد بعد ذلك بنو النضير وكان رئيسهم حيي بن أخطب والمشهور في كتب السيرة أن الرسول ﷺ نهض بنفسه إلى بني النضير مستعيناً بهم في دية القتيلين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري(١) الذي نجا من حادثة بئر معونة.

فلما كلمهم ﷺ قالوا: نعم فقعد رسول ﷺ مع أبي بكر وعمر وعلي ونفر من أصحابه إلى جدار من جدرهم فاجتمع بنو النضير وقالوا: من رجل يصعد على ظهر البيت فيلقي صخرة على محمد فيقتله فيريحنا منه.

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فأوحى الله تعالى بذلك إلى رسول الله ﷺ فقام و لم يشعر بذلك أحد من أصحابه ممن كانوا معه فلما استلبثه أصحابه رضي الله عنهم قاموا فرجعوا إلى المدينة واتوا رسول الله ﷺ فأخبرهم بما أوحى الله تعالى إليه بما أرادته اليهود وأمر أصحابه بالتهيؤ لحربهم(٢).

---

(١) هو: عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة يكنى أبا أمية . أسلم قديماً وكان أول مشاهده بئر معونة وكان صاحب نجدة. أسد الغابة ٨٦/٤، الاستيعاب ٢٤٨/٣.

(٢) جوامع السيرة ١٨١، السيرة النبوية ١٩٠/٢.

لكن ابن حجر أورد غير هذا حيث قال: وروى ابن مردويه[١] قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر[٢] عن الزهري أخبرني عبد الله[٣] بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهددونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه إلى أن قال: فلما كانت غزوة بدر كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود إنكم أهل الحلقة والحصون يتهددونهم[٤] فأجمع بنو النضير على الغدر فأرسلوا إلى النبي ﷺ أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك[٥] ويلقاك ثلاثة من علمائنا فإن آمنوا بك اتبعناك

---

(١) هو أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر الاصبهاني أبو بكر (محدث) حافظ مفسر مؤرخ ت لست بقين من رمضان عام ٤١٠هـ . انظر: سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٧.

(٢) هو معمر بن راشد الازدي مولاهم أبو عروة البصري نزيل اليمن (ثقة ثبت) فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً وكذا فيما حدث بالبصرة من كبار السابعة مات سنة ١٥٤ وهو ابن ثمان وخمسين . روى له (ع). التقريب ٣٤٤.

(٣) عبد الله بن كعب وليس بن عبد الرحمن بن مالك الأنصاري المدني ثقة يقال له رؤية. مات سنة سبع أو ثمان وتسعين ٩٨هـ . روى له (خ م د س ق) . تهذيب التهذيب ٣٦٠/٥.

(٤) هكذا في الأصل والمناسب يغرونهم.

(٥) الغدر ضد الوفاء غدره وبه كنصر وضرب وسمع. القاموس ١٠٣/٢.

ففعل فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم قال ابن حجر: فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين لكن وافق ابن إسحاق جل أهل المغازي فالله أعلم(١).

أما بنو قريظة فكان سبب محاصرتهم وقتلهم ما وقع منهم من نقض عهد النبي ﷺ ومما لأتهم(٢) لقريش وغطفان ومطاوعتهم لعدو الله وعدو رسوله حيي بن أخطب حتى أنه لم يزل بسيدهم كعب بن أسد يفتله في الذروة والغارب(٣) حتى نقض عهده وأخلف وعده(٤). وكان مصير هذه الطائفة أن نزلت على حكم الصحابي الجليل سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه ومواليه فحكم فيهم أن يقتل رجالهم ويسبى نساؤهم وذراريهم وتقسم أموالهم(٥) فقال ﷺ: قضيت بحكم الله(٦).

---

(١) فتح الباري ٣٣١/٧.

(٢) مالأه بالمد ساعده على الأمر وشايعه. القاموس المحيط ٣٠/١.

(٣) أي يدور من وراء خديعته. القاموس المحيط ٢٩/٤.

(٤) السيرة النبوية ٢٤٠/٢، سمط النجوم العوالي ١١٥/٢، زاد المعاد ١٣٠/٢.

(٥) السيرة النبوية ٢٤٠/٢، جوامع السيرة ١٩٥..

(٦) وذلك من حديث صحيح رواه أبو سعيد الخدري. انظر: صحيح البخاري ٩٣/٥ (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة).

أما يهود خيبر فقد نقضوا العهد وخرج إليهم ﷺ في بقية المحرم سنة سبع وحاصرهم حتى فتحها وغنم ما فيها(١).

بعد أن رأينا طباع اليهود وأن ديدنهم الحقد والعداوة للإسلام والمسلمين مهما كلفهم ذلك وأنهم لا زالوا ولن يزالوا يكيدون للمسلمين ويقتلونهم متى سنحت الفرصة لهم فهم مهما اضطهدوا فعندما يفيقون يكون أول عمل لهم هو ضد المسلمين فقط.

ولا أدل على ذلك أن يهود أسبانيا عندما طردهم فرديناد ملك أسبانيا أنقذ السلطان بيازيد الثاني يهود أسبانيا من إبادة محققة وقدمت لهم الحكومة العثمانية جميع الحقوق وأصبحوا في حالة مرضية للغاية فما عليهم إلا أن يدفعوا الجزية ويعيشوا في أمن واطمئنان.

على الرغم من كل ما قدمته الحكومة العثمانية وولاتها فقد توجه اليهودي دافيد روبيني عام ٥٠٥هـ إلى البابا كليمنت السابع وعرض عليه مشروع محالفة عسكرية مسيحية يهودية ضد المسلمين تقضي بما يلي:

(١) إنهاء العداء القائم بين المسيحيين واليهود على حساب المسلمين.

---

(١) البداية والنهاية ١٨١/٤، فتح الباري ٤٦٤/٧، جوامع السيرة ٢١١.

(٢) تعاون جيوش أوروبا مع جموع الشعب اليهودي الذين يقيمون داخل الدولة العثمانية للانقضاض عليها من الداخل وغزوها من الخارج واحتلال أرضيها.

(٣) تتولى الدولة المسيحية تزويد اليهود الذين يقيمون داخل الدولة الإسلامية بالأسلحة التي تساعدهم في الانقضاض على المسلمين(١).

هذه هي أخلاق اليهود من قديم الزمان ولازالت هي أخلاقهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأخيراً:

قال الأستاذ محمد عزة دروزة:

ولليهود في العهد المدني شأن كبير متعدد النواحي لأنهم أول من اصطدم مع النبي ﷺ ولقد شغلوا في القرآن المدني حيزاً واسعاً منذ بدء تنزيله ثم قال: ولعل من الدلائل على أنهم أول من اصطدم مع النبي ما جاء في الآيات الأولى من البقرة التي هي أول السور المدنية في ترتيب النزول فقد جاء في أولها: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾(٢).

---

(١) السياسة اليهودية ١٩٥- ١٩٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤.

فقد قال جمهور المفسرين: إن شياطينهم هم اليهود ويدل هذا بوضوح على أن اليهود هم الذين أغروا المنافقين بالنفاق وشجعوهم في مواقف الخداع[1].

---

(١) سيرة الرسول ١٢١/٢.

المبحث الثاني: الوفد اليهودي المحرض

لما نفدت حيل اليهود وأصبح مكرهم مكشوفاً وعجزهم واضحاً لجأوا إلى كفار قريش -ليدللوا بذلك على جبنهم وذلهم- لجأوا محرضين كفار قريش ليشنوا حرباً عامة على المسلمين في المدينة ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[١] . وقد أعطوا العهود والمواثيق لكفار قريش أنهم سيكونون معهم محاولين بذلك تغطية الذلة والجبن الذي هو من أخلاقهم دائماً وأبداً.

تكون الوفد من بني النضير ومن بني وائل، وحيكت المؤامرة في خيبر وانطلق بعدها الوفد يضم: سلام بن أبي الحقيق النضري - أبا رافع - وحيي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري.

ومن بني وائل هوذة بن قيس الوائلي، وأبو عامر الوائلي، ووحوح بن عامر الوائلي كل هؤلاء توجهوا إلى مكة يرأسهم حيي بن أخطب الذي أعمى قلبه الحقد والحسد، وكان أهل مكة ينتظرون بفارغ الصبر من يشد من عزمهم ويساعدهم على حرب محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

سار الوفد حتى وصل مكة فسألهم أهلها: من أهدى أنحن أم محمد؟ وبينوا لهم صفة الطرفين قريش، ومحمد ﷺ، وكانت صفة محمد التي عيب بها هي: أنه كان يعيب آلهتهم وينفرهم من عبادتها، ويدعوهم إلى عبادة الواحد القهار. فكان رد أولئك اليهود في صالح الكفار ولكن كان الفشل حليفهم حيث رد عليهم القرآن وذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾(١) .

ثم ما لبثوا أن فاتحوهم في الموضوع الذي جاءوا من أجله فسر كفار قريش بذلك أكثر وأكثر ونشطوا له فاجتمعوا لذلك واتعدوا له.

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقد قيل إنهم أعطوهم تمر خيبر سنة كاملة مقابل ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم ضده. وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا فيه وأجابوهم.

وقد تقدم ذكر ذلك في حديث ابن إسحاق(٢) المتقدم.أما ابن سعد فقال: مشيراً إلى جم غفير من العلماء الذين نقل عنهم الواقدي قالوا: لما

---

(١) سورة النساء الآية ٥١.

(٢) السيرة النبوية ٢/٢١٤.

أجلى رسول ﷺ، بني النضير ساروا إلى خيبر فخرج نفر من أشرافهم ووجوههم إلى مكة فألبوا قريشاً ودعوهم إلى الخروج إلى رسول الله ﷺ، وعاهدوهم وجامعوهم على قتاله ووعدوهم لذلك موعداً. ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسليماً ففارقوهم على مثل ذلك(١). أما الحافظ فقد نقل ذلك من مغازي موسى بن عقبة وقال:

خرج حيي بن أخطب بعد قتل(٢) بني النضير إلى مكة يحرض قريشاً على حرب رسول الله ﷺ ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في غطفان ويحضهم على قتال رسول الله ﷺ على أنهم نصف تمر خيبر فأجابه عيينة بن حصن الفزاري إلى ذلك(٣) ... الخ.

أما ابن جرير(٤) فقد ساق القصة بسنده إلى ابن إسحاق وفيها بين مدللاً بذلك على ذهاب أولئك اليهود إلى كفار قريش وإلى غطفان وتحريضهم على حرب النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وقد أورد الخبر نفسه في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ

(١) الطبقات الكبرى ٢/٦٥- ٦٦.

(٢) قد بينت أنه لم يحصل قتل بل جرت مصالحة مع بني النضير وتم إجلاؤهم.

(٣) فتح الباري ٧/٣٩٣.

(٤) جامع البيان ٢٠/١٢٩.

كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾[١] . عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢]. وقد أورده ابن هشام[٣] عن يزيد بن رومان. وكلها آثار مقطوعة لكنها تتقوي بما جاء في ذلك من شواهد والقرآن يؤيد ذلك بوضوح.

إضافة إلى ذلك فقد ذكر القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾[٤]. قال: يعني غزوة الأحزاب، وبني قريظة وكان سببها:-

أن نفراً من اليهود منهم.

كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم[٥]، وحيي بن أخطب النضريون، وهوذة بن قيس ، وأبو عامر من بني وائل، وكلهم يهود[٦] هم الذين حزبوا الأحزاب وألبوا وجمعوا

---

(١) سورة النساء الآية ٥١.

(٢) جامع البيان ١٣٥/٥.

(٣) السيرة النبوية ٢١٤/٢.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٨.

(٥) كثير من أهل المغازي لم يذكروا ابن مشكم هذا.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/١٤.

وخرجوا في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل فأتوا مكة فدعوا إلى حرب رسول الله ﷺ وواعدوهم من أنفسهم بعون من انتدب إلى ذلك فأجابهم أهل مكة إلى ذلك ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم(١).

أما صاحب السيرة الحلبية فقال:

وسببها لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم سار منهم جمع من كبرائهم منهم:

سيدهم حيي بن أخطب أبو صفية أم المؤمنين رضي الله عنها، وعظيمهم سلام بن مشكم ورئيسهم كنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس، وأبو عامر الفاسق إلى أن قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله ﷺ.

وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله أي ونكون معكم على عداوته فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد(٢).

---

(١) تقدم الحديث مطولاً في سبب الغزوة.

(٢) السيرة الحلبية ٦٢٨/٢.

وهكذا نرى أن أصحاب السير قد أطبقوا على ذكر هذا السبب وعلى ذكر هذا الوفد إلا أن بعضهم يذكر اسماً لم يذكره الآخر وبعضهم قد يذكر الكنية ولا يذكر الاسم، وقد يحصل في ذلك لبس، وتفادياً لذلك اللبس جئت بأقوال أهل السير والمغازي ليتبين الأمر ويتضح المراد ويبدو من استعراض كلام الحلبي أنه ذكر رئيس زعماء الوفد وفرق بين زعيمهم وسيدهم وعظيمهم وفي دلائل النبوة للبيهقي طرف من هذا[١].

مما سبق يظهر بوضوح أن هذا الوفد قد تكون في خيبر فعلاً وكان اليهود هم المتزعمين لذلك الموقف المخزي، وهو موقف لا يستغرب منهم فتاريخهم مليء بالكيد والدسائس لغيرهم عموماً ولأهل الإسلام خصوصاً.

إلا أن الغريب[٢] وجود بني وائل في هذا الوفد، ولعل سبب تمالؤهم مع اليهود يرجع إلى أن اليهود لما جاءوا إلى خيبر، وكان بنو وائل يسكنونها قبلهم وجاء اليهود ومعهم الأموال وأخذوا في تنميتها وسيطروا بواسطة تلك الأموال على أولئك الضعفاء فأغروهم بذلك وأخرجوهم معهم ولعلهم ضغطوا عليهم بذلك.

---

(١) دلائل النبوة ٤٢٨/٣.

(٢) ذلك لأن القرطبي قال في الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/١٤. قال بعد أن ذكر الوفد (وكلهم يهود) فلعلهم كانوا قبل ظهور دعوة الإسلام معتنقين دين اليهود فصاروا منهم و لم أجد من ذكرهم في اليهود غيره والله أعلم.

المبحث الثالث

القبائل التي أغراها اليهود على قتال المسلمين

إن القبائل التي قام اليهود بزيارتها وإغرائها على قتال المسلمين كانت من أشهر قبائل العرب وأقواها يتمثل ذلك في قريش وغطفان. أما غير هاتين القبيلتين فكان تابعاً لهما. لذلك قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش[1] حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم[2] ومن تبعهم من

(١) قريش: قبيلة عظيمة اختلف في أصل تسميتها ونسبتها فقالوا: قريش من القرش وهو الكسب والجمع ، وقالوا: التقريش التفتيش فكان يقرش أي: فهر بن مالك عن خلة كل ذي خلة فيسدها بفضله فمن كان محتاجاً أغناه ومن كان عارياً كساه. وقيل: سموا بذلك لتجمعهم إلى الحرم إلى غير ذلك. القاموس المحيط ٢/٢٨٣، معجم قبائل العرب ٣/٩٤٧.

(٢) الأحابيش: بطن اختلف فيه فقال ابن قتيبة هم بنو المصطلق والحياء بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة. اجتمعوا بذنب حبشي - وحبشي بالضم جبل بأسفل مكة - فتحالفوا بالله أنا ليد على غيرنا ما سجاليل وأوضح نهار وما أرسى حبشي مكانه. وقال حماد الراوية إنما سموا بذلك لاجتماعهم والتحابش هو التجمع في كلام العرب . وقال الجوهري بطن من قريش . وقال أبو الفداء هم من بطون كنانة بن خزيمة ثم قال وليسوا من الحبشة كما يتوهم بعضهم.

القاموس المحيط ٢/٢٦٧، تاج العروس والمعارف ٢٦٩، معجم قبائل العرب ١/٥.

بني كنانة[١]، وأهل تهامة[٢]، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد[٣].. الخ.

وقد أورد الطبري خبراً من طريق ابن إسحاق باللفظ نفسه[٤] إلا أنه مرسل ثم أورد خبراً آخر وفيه قال:

حدثني محمد بن عمرو[٥] قال حدثنا أبو عاصم[٦] قال حدثنا عيسى[٧]

---

(١) كنانة بن خزيمة قبيلة عظيمة من العدنانية وتنقسم إلى عدة بطون منها قريش بل أن ابن قتيبة قال: أن النضر بن كنانة هو أبو قريش. المعارف ٣١، معجم قبائل العرب ٩٩٦/٣.

(٢) ينسبون إلى تهامة وهي الساحل قال ابن قتيبة وإذا تصوبت من ثنايا العرج واستقبلك الأراك والمرخ فقد اتهمت والتهمان فرع من قحطان. المصدر السابق ١٣٤/١.

(٣) السيرة النبوية ٢١٩/٢- ٢٢٠.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤٣/٢.

(٥) محمد بن عمرو الباهلي البصري أبو بكر قدم بغداد وحدث بها ت ٢٤٩هـ في شهر المحرم ووصف بأنه ثقة. انظر: تاريخ بغداد ١٢٧/٣.

(٦) أبو عاصم النبيل هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك الشيباني البصري - ثقة ثبت - روى له (ع) ت سنة اثنتي عشرة ومائتين أو بعدها . التقريب ١٥٥.

(٧) عيسى بن ميمون المعروف بابن داية الجرشي بضم الجيم وفتح الراء المعجمة ثم المكي أبو موسى - ثقة - من السابعة . روى له أبو داود في الناسخ والمنسوخ. التقريب ٢٧٢.

وحدثني الحارث[(١)] قال حدثنا الحسن[(٢)] قال حدثنا ورقاء[(٣)] جميعاً[(٤)] عن ابن أبي نجيح[(٥)] عن مجاهد[(٦)] في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال عيينة بن بدر في أهل نجد ﴿ ومن أسفل منكم ﴾ قال أبو سفيان قال وواجهتهم قريظة[(٧)] .

(١) الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي صاحب المسند سمع علي بن عاصم ويزيد بن هارون ، وكان حافظاً عارفاً بالحديث عالي الإسناد بالمرة تُلكم فيه بلا حجة قال الدارقطني قد اختلف فيه وهو عندي صدوق وقال ابن حزم ضعيف ولينه بعض البغاددة لكونه يأخذ على الرواية ت ٢٨٢هـ . ميزان الاعتدال ١/٤٤٢ .

(٢) الحسن هو ابن موسى الأشيب أبو علي البغدادي قاضي الموصل وغيرها ثقة من التاسعة . مات سنة ٢٠٩هـ أو التي بعدها. التقريب ٧٢.

(٣) ورقاء بن عمر اليشكري أبو بشر الكوفي نزيل المدائن صدوق في حديثه عن منصور لين من السابعة . روى له (ع). التقريب ٣٦٩.

(٤) أي السند الأول المنتهى بعيسى والسند الثاني بورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح.

(٥) عبد الله بن أبي نجيح يسار المكي أبو يسار الثقفي مولاهم - ثقة - رمي بالقدر وربما دلس من السادسة ١٣١هـ أو بعدها . روى له (ع). التقريب ١٩١ .

(٦) مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي - ثقة - إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة ت سنة أحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون . روى له (ع). التقريب ٣٢٨.

(٧) جامع البيان ٢/١٢٩، وهذا الأثر بسند صحيح ورجاله ثقات.

أما السيوطي فقال:

المراد بالأحزاب القبائل التي أغراها زعماء اليهود الـــذين خرجـــوا يؤلبوهم[١] على القتال وهم:

قريش وغطفان[٢] وبنو سليم[٣] وبنو أسد[٤] وفزارة[٥] وأشجع[٦]

---

(١) التأليب : الألب بالفتح والكسر القوم يجتمعون على عداوة إنسان وقد تألبوا : أي تجمعوا . النهاية في غريب الحديث ١/٥٩.

(٢) قبيلة نجدية لها ثلاثة أقسام وقد تقدمت في ص ٤٩.

(٣) قبيلة عظيمة من قيس عيلان من العدنانية وتتفرع إلى عدة بطون وعشائر منها:

أ- بنو ذكوان. ب- بنو بهثة بن سليم.

انظر ذلك في: معجم قبائل العرب ٢/٥٤٣

(٤) بنو أسد هم أبناء أسد بن خزيمة وهي قبيلة عظيمة من العدنانية وهي ذات بطـــون كثيرة منها:

أ - بنو كاهل. ب- بنو غنم. جـــ- بنو ثعلبة.

وكانت منازلهم مما يلي الكرخ من أرض نجد. المصدر السابق ١/٢١.

(٥) فزارة بن ذبيان: بطن عظيم من غطفان من العدنانية وتنقسم إلى خمسة إفخاذ هي:

أ- عدي. ب- سعد. جـــ- شمخ. د- مازن.

هـــ- ظالم ومنهم: بنو العشراء وبنو غراب وكان من هذا البطن جماعة من العلماء والأئمة . معجم قبائل العرب ٣/٩١٨

(٦) أشجع: قبيلة من غطفان من قيس عيلان من العدنانية. كانت منـــازلهم بضـــواحي المدينة، وكان بالمغرب الأقصى منهم حي عظيم ، وكانوا حلفـــاء للخـــزرج في

وبنو مرة[١] حتى كان عدة من وافى الخندق من المشركين نحواً من عشرة آلاف[٢].

وفي الدر المنثور قال:

أخرج الفريابي[٣]، وابن أبي شيبة[٤]، وابن المنذر[٥]، وابن أبي حاتم[١] عن مجاهد به.

الجاهلية وقد رجعوا عن دينهم أيام الردة وحاربهم أبو بكر - رضي الله عنه - حتى عادوا من جديد إلى الإسلام . معجم قبائل العرب ٢٩/١.

(١) بنو مرة: من أقدم قبائل العرب وأصحها نسباً وأشدها مراسا وأبعدها عن الحضارة. المصدر السابق ١٠٧٠/٣.

(٢) الخصائص الكبرى ٥٦٥/١.

(٣) هو محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي مولاهم الفريابي بكسر الفاء وسكون الراء بعدها تحتانية وبعد الألف موحدة وهي من أعمال بلخ بخراسان نزيل قيسارية من ساحل الشام - ثقة فاضل - يقال أخطأ في حديث سفيان وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم على عبد الرزاق من التاسعة . مات سنة اثنتي عشرة ومائتين . التقريب ٣٢٥، تذكرة الحفاظ ٣٧٦/١، معجم البلدان ٤٧٩/١، معجم المؤلفين ١٤٠/١٠.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي الأصل أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي - ثقة حافظ- صاحب تصانيف من العاشرة . ت سنة خمس وثلاثين ومائتين . روى له (خ م د س ق). التقريب ١٨٧.

(٥) هو الحافظ العلامة الفقيه الأوحد أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري شيخ الحرم وصاحب الكتب التي لم يصنف مثلها . وكان مجتهداً لا يقلد أحداً .

ثم قال وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة[٢] به وهو أتم من غيره.

مما تقدم يظهر بوضوح:

أن القبائل التي شاركت قريشاً وغطفاناً - وهما القبيلتان العظيمتان المتزعمتان لهذه الحرب- الأحابيش[٣] وكنانة وأهل تهامة وهذه شاركت قريشاً بحكم جوارها لها فنهضوا لنصرتها.

وشارك مع غطفان بعض القبائل النجدية والتي هي في الحقيقة متفرعة عنها وتعتبر روافد لها.

مات سنة ثمان عشرة وثلاثمائة . تذكرة الحفاظ ٧٨٢/٣، طبقات الشافعية ١٠٢/٣.

(١) قال ذلك في تفسيره وهو مخطوط صورته بالجامعة الإسلامية والموجود إلى ==

(=) سورة الرعد وابن أبي حاتم هو: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التميمي الحنظلي أبو محمد عالم محدث عارف بالرجال فقيه أصولي متكلم . ولد سنة أربعين ومائتين. قال أبو الوليد الباجي ابن أبي حاتم ثقة حافظ . وقال الذهبي هو الإمام الحافظ الناقد ت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. تذكرة الحفاظ ٨٢٩/٣- ٨٣٢، معجم المؤلفين ١٧٠/٥.

(٢) الدر المنثور ١٨٧/٥.

(٣) نسبة إلى جبل في مكة يسمى (حبشي) وقد تقدموا.

إضافة إلى بني قريظة الناقضين العهد حيث أحاطت هـذه الفـرق بالمسلمين من كل جهة.

وضاق المسلمون بهذا الحصار ذرعاً ووصفه الله بأبلغ وصف في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾(١).

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ١٠، ١١.

الفصل الثاني

دور المنافقين في هذه الغزوة

الفصل الثاني

بيان دور المنافقين في هذه الغزوة

هذا الفصل هو تفسير لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾(١). والنفاق هو بالكسر فعل المنافق(٢). وهو: إظهار الخير وإسرار الشر وهو أنواع:

(أ) اعتقادي:

وهو الذي يخلّد صاحبه في النار.

(ب) عملي:

وهو من أكبر الذنوب وهذا كما قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه(٣).

هذا هو المنافق وهذا دوره دائماً وأبداً.

ذلك لأن قلبه مريض ونفسه خبيثة ولأنه يدخل في الأمور على قاعدة غير صلبه ثم يتعجل الأمور فيخيب ظنه ويغضب ربه.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ١٢.

(٢) مختار الصحاح ٦٧٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٤٧/١.

وسرعان ما يتهاوى كيانه فيصبح يضمر الشر لكل ما هـو خـبر ويظهر خلافه حتى يأمن مكر الناس وهو لا يعلم أن الله سبحانه وتعـالى عالم به وبما يحيكه وما يضمره ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾(١)، ﴿ ...وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(٢).

هؤلاء هم المنافقون المتسترون بالإسلام.

إلا أن الله كشفهم في بعض غزوات الرسول ﷺ كما في أحد وبني المصطلق والخندق وغيرها. حيث كان يترل القرآن أولاً بأول فيفضحهم.

وفي هذه الغزوة - الخندق - بالذات ظهر منهم النفاق حيث أظهر كثير منهم العداء مما زاد في تفاقم الأمر وخطورته.

حكى لنا القرآن ذلك الخطر وتلك الشدة فقال تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾(٣).

أما بالنسبة لما فعلوه هذه المرة فقد روى الطبراني حيث قال:

---

(١) سورة العلق الآية ١٤.

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٠.

(٣) سورة الأحزاب الآية ١٠.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل(١) حدثني سعيد بن محمد الجرمي(٢) حدثنا أبو تميلة(٣) حدثنا نعيم بن سعيد العبدي(٤) أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة؟ قال رجل: نعم. قال إمالا(٥) فتقدم فدلنا عليه. فانطلقوا إلى رجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه فأرسلت

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الرحمن . ولد الإمام ثقة من الثانية عشرة . مات سنة ٢٩٠هـ. وله بضع وسبعون. روى له النسائي. التقريب ١٦٧.

(٢) سعيد بن محمد بن سعيد الجرمي - بفتح الجيم المعجمة وسكون الراء - الكوفي صدوق رمي بالتشيع. من كبار الحادية عشرة . روى له (خ م د ق) . التقريب ١٣٥، المغني في أسماء الرجال ١٨.

(٣) هو يحيى بن واضح الأنصاري مولاهم - أبو تميلة بمثناه فوقية مصغراً المروذي مشهور بكنيته ثقة من كبار التاسعة . روى له الجماعة. التقريب ٣٨٠، تهذيب الكمال ٢٢/٣٢.

(٤) نعيم لم أجد له ترجمة ولعل فيه تصحيف.

(٥) قال في حاشية الصبان شارحاً لهذه الكلمة : حذفت كان مع معموليها بعد أن في قولهم - أفعل هذا إمالا » . أي إن كنت لا تفعل غيره فما عوض عن كان، ولا نافيه للخبر ومنه قوله :

أمرعت الأرض لو أن مالا   لو أن نوقا لك أو جمالا   أو ثلة من غنم إمالا.

التقدير : إن كنت لا تجد غيره. حاشية الصبان ١/٢٤٥.

امرأته أن جيء فإن رسول الله ﷺ قد أتانا فجاء الرجل يسعى فقال بـــأبي وأمي وله معزة[١]. ومعها جديها فوثب إليها فقال النبي ﷺ : الجـــدي[٢] من روائنا فذبح الجدي وعمدت امرأته إلى طحينة لها فعجنتها وخبـــزت وأدركت[٣] وثردت فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فوضع النبي ﷺ أصبعه فيها فقال (بسم الله اللهم بارك فيها إطعموا).

فأكلوا منها حتى صدروا[٤] و لم يأكلوا إلا ثلثها وبقي ثلثاها فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا إلينا بعدتكم[٥] وجاء أولئك العشرة[٦] مكانهم فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيـــت وسمت[٧] عليها وعلى أهل بيتها ثم مشوا إلى الخندق.

---

(١) المعزة: هي الأنثى الماعز . مختار الصحاح ٤٥٧.

(٢) الجدي: هو ولد المعزة.

(٣) أدركت: أي نضجت طحينتها.

(٤) صدروا أي شبعوا.

(٥) في مجمع الزوائد ١٣١/٦- نغديكم - من الغداء وهو تصحيف لا يتلاءم مع مـــا قبله.

(٦) في مجمع الزوائد ١٣١/٦ بعد العشرة - مكانه -.

(٧) قال ابن الأثير في النهاية ٣٩٧/٢:

في حديث الأكل سمو الله ودنّوا وسمتوا أي إذا فرغتم فادعوا بالبركة لمن طعمـــتم عنده والتسميت الدعاء.

فقال: اذهبوا بنا إلى سلمان وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها فقال النبي ﷺ لأصحابه دعوني فأكون أول من ضربها فقال: بسم الله فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال: الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة قال: الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة. فقال عندها المنافقون نحن بخندق وهو يعدنا قصور فارس والروم(١).

قال الهيثمي(٢): ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد ونعيم العنبري(٣) وهما ثقتان. إلا أن ابن جرير قد أورد أثراً شاهداً عن الحسن البصري لهذا الحديث قال فيه:

حدثنا بشر حدثنا هوذه(٤) بن خليفة قال حدثنا عوف(٥) عن

---

(١) المعجم الكبير ٣٧٦/١١.

(٢) معجم الزوائد ١٣١/٦.

(٣) كذا في مجمع الزوائد وفي البداية والنهاية ١٠٠/٤، نعيم الغري بالغين المعجمة وفي معجم الكبير للطبراني كما تقدم آنفاً (العبدى) وكل هذه التراجم لم أقف عليها.

(٤) هوذه بفتح الهاء وزيادة هاء في آخره: ابن خليفة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي البكراوي أبو الأشهب البصري الأصم نزيل بغداد صدوق من التاسعة. مات سنة ٢١٦. روى له ابن ماجه. التقريب ٣٦٥.

(٥) عوف هو بن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري - ثقة - رمي بالقدر والتشيع من السادسة . مات سنة ست أو سبع وأربعين ومائة ١٤٧هـ . وله ست وثمانون . روى له الجماعة. التقريب ٢٦٦.

الحسن[١] في قوله تعالى: ﴿ ... وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[٢]. قال ظنونا مختلفة ظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يستأصلون[٣] وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون[٤]. وأورد ابن كثير[٥] هذا الخبر عن الحسن باللفظ نفسه. وهذا الأثر ينتهي إلى الحسن البصري فهو مقطوع.

كذلك أورد ابن جرير أثراً آخر بسند آخر قال فيه:

حدثني يونس[٦] قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد[٧] قال: قال

---

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدلس. قال البزار كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين خطبوا بالبصرة وهو رأس الطبقة الثالثة. مات سنة ١١٠هـ. وقد قارب التسعين. روى له أصحاب الكتب الستة. التقريب ٦٩، تذكرة الحفاظ ٧١/١.

(٢) سورة الأحزاب تكملة الآية ١٠.

(٣) يُستأصلون: بضم التحتانية وسكون المهملة بالبناء للمجهول واستأصله قلعه من أصله. مختار الصحاح ١٨.

(٤) جامع البيان ١٣٢/٢١.

(٥) تفسير ابن كثير ٤٧٢/٣.

(٦) يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي أبو موسى البصري - ثقة - من صغار العاشرة. مات سنة ٢٦٤. وله ست وتسعون سنة. روى له (م س ق). التقريب ٣٩٠.

(٧) ابن زيد هو أسامة وهما اثنان وكلاهما شيخ لابن وهب أحدهما عدوي قال الحافظ توفي في زمن أبي جعفر المنصور وهو ضعيف، أما الليثي فقد توفي سنة ١٥٣هـ وهو صدوق وكلاهما مدنيان. تهذيب التهذيب ٢٠٧/١- ٢١٠.

رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبي ﷺ يافلان أرأيت إذ يقول رسول الله ﷺ : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله فأين هذا من هذا؟ وأحدنا لا يستطيع أن يخرج ليبول من الخوف ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾. فقال: كذبت لأخبرن رسول الله ﷺ خبرك قال: فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فدعاه فقال: ما قلت؟ قال: كذب علي يارسول الله ما قلت شيئاً ما خرج من فمي قط. قال الله ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[١]. قال: فهذا قول الله ﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[٢]. والأثر فيه انقطاع في أعلى الإسناد.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن فليح[٣] قال: فلما أشتد البلاء على النبي ﷺ وأصحابه نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح. فلما رأى رسول الله ﷺ ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة وأني لارجو أن

(١) سورة التوبة الآية ٧٤.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٦. وذلك من تفسير الطبري ١٣٣/٢١.

(٣) ابن فليح هو محمد بن فليح بن سلميان الأسلمي ابو عبد الله . روى عن موسى بن عقبة وعمرو مولى المطلب قال ابن معين: ليس بثقة وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه قال: ما به ليس بذاك القوي. الجرح والتعديل ٥٩/٨.

أطوف البيت العتيق آمنا وان يدفع الله عز وجل إلي مفاتيح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل.

وقال رجل ممن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمد يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق وأن نقسم كنوز فارس والروم ونحن ها هنا لا يأمن أحدنا أن يذهب للغائط والله ما يعدنا إلا غروراً(١).

أما السيوطي فقد قال:

وأخرج ابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم(٢) والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده وساق الحديث بطوله(٣). إلا أن مداره على كثير بن عبد الله وهو ضعيف.

وأخيراً قال ابن إسحاق في قوله تعالى: ﴿ ... وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾(٤). ظن المؤمنون كل ظن ونجم

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٤٠٢/٣.

(٢) الحافظ الكبير كمحدث العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الشافعي محدث مؤرخ صوفي . توفي بأصبهان سنة ٤٣٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣، السير ٤٥٣/١٧.

(٣) الدر المنثور ١٨٥/٥.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٩.

النفاق حتى قال معتب بن قشير[١] أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط[٢].

وهكذا نرى من خلال هذه الآثار أن للمنافقين دوراً خطيراً في هذه الغزوة بالذات ذلك لأنهم لا يظهرون إلا في أوقات الأزمات. أما عندما ينتصر المسلمون فلا يسمع لهم صوت. والقرآن الكريم فضحهم في أكثر من موطن ولكنا أردنا إيراد الآثار التي تبين أمرهم خاصة في هذه الغزوة الفاصلة[٣].

---

(١) معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة وليس له عقب شهد بدراً وأحد كذلك قال ابن إسحاق. وقال ابن حجر: ذكروه فيمن شهد العقبة وقيل أنه كان منافقاً وأنه الذي قال يوم أحد لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا وقيل أنه تاب. وقد ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً وأثبت ابن عبد البر في الاستيعاب حاشية الإصابة انه شهد بدراً وأحداً والعقبة ، وأنه قال يوم أحد لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ، وهناك ذكر بأنه معتب بن بشير - بالباء المعجمة - . الطبقات الكبرى ٤٦٣/٣، الإصابة ٤٤٣/٣.

أما السهيلي فقد عنون ببراءة معتب فقال: قال ابن هشام وأخبرني من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين واحتج بأنه كان من أهل بدر. الروض الأنف ٢٦٢/٣

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٢/٣.

(٣) لأن الرسول ﷺ قال: (لن يغزوكم بعد عامكم هذا).

الباب الثالث

موقف المسلمين من تحركات الأحزاب

الفصل الأول

مشاورة النبي ﷺ لأصحابه حول خطة الدفاع "حفر الخندق".

الباب الثالث

موقف المسلمين من تحركات الأحزاب

الفصل الأول: مشاورة الرسول ﷺ لأصحابه حول حفر الخندق

إن الشورى من الأمور التي أمر الله بها نبيه ﷺ وذلك لما يلي:

(أ) لتأليف قلوب أصحابه.

(ب) وليقتدي به من بعده.

(جـ) وليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحرب والأمور الجزئية وغير ذلك[1].

وغالباً ما يفعل ذلك في الحروب تطييباً لقلوبهم وأخذاً بما يتضح أنه الأولى من آرائهم وتجاربهم. وتنشيطاً لهم فيما يفعلونه[2].

لذلك قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ وممتناً عليه وعلى المؤمنين: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3].

---

(١) السياسة الشرعية ١٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٤٢٠ ، عارضة الأحوذي ٧/٢٠٨.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

حدث ذلك أولاً في بدر كما هو معروف وشاورهم في أحـــد[١].

هل يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو. وشاورهم يـــوم الخنـــدق أولاً: بالنسبة لخطة الدفاع وهي ما نحن بصـــدده. ثم شـــاورهم في مصـــالحة الأحزاب بثلث تمر المدينة عامئذ فأبى ذلك عليه رؤساء الأنصار وذلـــك بدليل الحديث الذي رواه البزار[٢] حيث قال:

حدثنا عقبة بن سنان[٣] ثنا عثمان الغطفاني[٤] ثنا محمد بن عمرو[٥]

---

(١) أي غزوة أحد.

(٢) هو أحمد بن عمر بن عبد الخالق البصري البزار (أبو بكر) محدث فقيه . ولد سنة ٢١٠هـــ. وارتحل في الشيخوخة ناشراً لحديثه فحدث بأصبهان عن الكبار وببغداد ومصر ومكة والرملة . وأدركه أجله فمات سنة ٢٩٧هـــ. من تصـــانيفه شـــرح موطأ مالك والمسند.

انظر: تاريخ بغداد ٤/٣٣٤، السير ١٣/٥٥٤.

(٣) عقبة بن سنان بن عقبة بن سنان بن سعد بن جابر بن محمد بن محصن الهدادي بفتح هاء وخفة دال كما في المغني صفحة ٨٤. بصري. روى عن غسان بـــن مضـــر وعثمان بن عفان الفطفاني . سمع منه أبي في الرحلة الثالثة ثنا عبد الرحمن قال: سئل أبي عنه فقال : صدوق . الجرح والتعديل ٦/٣١١.

(٤) عثمان بن عثمان الغطفاني أبو عمرو القاضي البصري صدوق ربما وهم من الثامنة . روى له (م د س) . انظر: التقريب٢٣٥.

(٥) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني صدوق له أوهام مـــن السادســـة ثبت. مات سنة خمس وأربعين ومائة على الصحيح. روى له (ع). التقريب ٣١٣.

عن أبي سلمة(١) عن أبي هريرة(٢) قال جاء الحارث الغطفاني(٣) إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ناصفنا تمر المدينة(٤) وإلا ملأناها عليك(٥) خيلاً ورجالاً فقال: حتى استأمر(٦) السعود سعد بن عبادة(٧) وسعد بن معاذ

---

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ثقة مكثر من الثالثة. مات سنة ٩٤، وقيل بعدها . وكان مولده بضع وعشرون . روى له (ع). التقريب ٤٠٩.

(٢) أبو هريرة الدوسي الصحابي الجليل حافظ الصحابة اختلف في اسمه واسم أبيه فقيل عبد الرحمن بن صخر وقيل غير ذلك. التقريب ٤٣١، التهذيب ٢٦٢/١٢، أسد الغابة ٣١٥/٥.

(٣) قائدة بني مرة وسيأتي فيما بعد.

(٤) بالمثناة الفوقية وهو التمر المعروف وفي بعض المراجع - ثمر- بالمثلثة وهي تعم التمر وغيره. انظر في ذلك البداية والنهاية ١٠٤/٤، أسد الغابة ٢٨٤/٢.

(٥) في مجمع الزوائد ١٣٢/٦ ملأنها.

(٦) بمعنى استشر والسعود جمع سعد وهو هنا يريد السعدين بن معاذ وابن عبادة واستشارته ﷺ لهما يدل على فضلهما لدى رسول الله ﷺ ولدى قومهما لذلك قال ابن الأثير عند ترجمة سعد بن عبادة: جاء الخبر أن قريشاً سمعوا صائحاً يصيح ليلاً على أبي قبيس:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد ... بمكة لا يخشى خلاف مخالف.

قال فظنت قريش أنه يعني سعد بن زيد مناة بن تميم وسعد هذيم من قضاعة فسمعوا الليلة الثانية قائلاً.

يا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ... ويا سعد سعد الخزر جيين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدي وتمنيا ... على الله في الفردوس منية عارف

(٧) هو سعد بن عبادة بن سليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي . أحد النقباء واحد الأجواد ، ووقع في صحيح مسلم أنه شهد بدراً والمعروف عند أهل المغازي ==

يعني يشاورهما فقالا: لا والله ما أعطينا الدنية[1] من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالإسلام فرجع إليه الحارث فأخبره فقال: غدرت يا محمد قال: فقال حسان:

يا حار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمداً لا يغدرُ
إن تغدوا فالغدر من عاداتكم ... واللؤم ينبت في أصول السخبرِ
وأمانة النهدي حيث لقيتها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبرُ[2]

(=) أنه تهيأ للخروج فلدغته حية ، ذكر ذلك ابن سعد وقيل: إن الرسول ﷺ رده لاستنابته على المدينة فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاه السهيلي عن ابن قتيبة وممن ذكره فيمن شهد بدراً عروة والبخاري وابن أبي حاتم والطبراني . قال ابن كثير: وقد وقع في صحيح مسلم ما يشهد لذلك ثم قال: والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ. الطبقات الكبرى ٦١٤/٣، وأسد الغابة ٢٨٣/٢، البداية والنهاية ٣١٩/٣، الإصابة ٣٠/٢.

(١) الدّنيّة بتشديد التحتانية وهي الخصلة الحقيرة المذمومة من الدنو. مختار الصحاح ٢١٢.

(٢) في البيت الأول - يا حار - وهو منادي مرخم حارث والبيت الأول موحد في أغلب الروايات إلا أن آخره في الديوان - لم يغدر - بكسر الراء وهو الأولى ليتناسب مع البيتين الآخرين. أما بالنسبة للثاني فهناك اختلاف لا يغير المعنى ففي الشطر الأول مثلاً من عاداتكم - في الديون - منكم شيمة وفي الشطر الأخير منه - واللؤم- في الديوان والغدر - وهو مكسور القافية والسخبر شجر تألفة الحيات فتكسن في أصوله. الواحدة سخبرة قال ابن الأثير وقد ورد ذلك في حديث ابن الزبير حيث قال لمعاوية: لا تطرق إطراق الأفعوان في أصول السخبر ، ==

قال: فقال الحارث: كف عنا يامحمد لسان حسان فلو مزج به ماء البحر لمزجه.

قال البزار: لا نعلم رواه عن محمد بن عمرو هكذا إلا عثمان و لم نسمعه إلا من عقبة[١].

والحديث بهذا السند يعتبر حسناً لذاته وقد ذكره ابن الأثير عند ترجمة سعد بن مسعود[٢] الأنصاري وكذا ذكره الحافظ[٣].

أما الهيثمي[٤] فقد قال: رواه البزار والطبراني ولفظه: عن أبي هريرة

(=) أما البيت الثالث فهو غير واضح المعنى لكن يوضحه ما جاء في أسد الغابة حيث قال: وأمانة المري ما استودعته) وقد بين ابن الأثير أن سبب هذه الأبيات غير السبب المذكور في الحديث وأنه حدث هذا عندما أرسل النبي ﷺ مع الحارث دعاة: يدعون قومه للإسلام فغدروا بهم فقال حسان هذه الأبيات قلت ولا يمنع أن تكون هذه الأبيات تكررت في الحادثين. انظر في كل ذلك: ديوان حسان ١/١٣٧، ٢/١٢٧، أسد الغابة ١/٣٤٣، الإصابة ١/٢٨٦، النهاية في غريب الحديث ٢/٣٤٩.

(١) كشف الأستار ٢/٣٣٢، الإصابة ٢/٣٦.

(٢) أسد الغابة ٢/٢٩٤.

(٣) الإصابة ٢/٣٦.

(٤) الهيثمي هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي - نور الدين أبو الحسن محدث حافظ وافق العراقي في السماع ولازمه وتوفي بالقاهرة في رمضان ٨٠٧هـ. من تصانيفه مجمع الزوائد ، موارد الضمآن في زوائد ابن حبان ، كشف الأستار عن زوائد البزار، الضوء اللامع للسخاوي ٥/٢٠٠.

قال: جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد شاطرنا تمر المدينة فقال: حتى استأمر السعود فبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع[1] وسعد بن خيثمة[2] بن مسعود[3] فقال إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وأن الحارث قد سألكم أن تشاطروه تمر المدينة فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا فقالوا: يارسول الله أوحي من السماء؟ فالتسليم لأمر الله أو عن رأيك أو هواك؟

---

(١) سعد بن الربيع بن عمر بن أبي زهير بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي عقبى بدري نقيب كان أحد نقباء الأنصار قاله عروة وابن شهاب وابن عقبة وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف وقتل في أحد . أسد الغابة ٢٧٧/٢، الإصابة ٢٦/٢، الاستبصار ١١٤. وهناك سعد بن الربيع - رجل آخر ولكنه يعرف بابن الحنظلية قال فيه الحافظ قال أبو حاتم استشهد بأحد قال وفيه نظر ولعله أراد الذي قبله وأما هذا فذكر ابن سعد أنه شهد الخندق . انظر: الإصابة ٢٧/٢ عند ترجمته. ولكن بحثت في الطبقات لابن سعد فلم أجده لأن ابن سعد قد ذكر واحداً بهذا الاسم وهو الذي قتل في أحد إلا أن يكون ذكره في غير الطبقات فالله أعلم .

(٢) سعد بن خثيمة بن الحارث الأنصاري الأوسي يكني أبا خثيمة وهو عقبي بدري قتل في بدر . الاستبصار ٢٦٥، أسد الغابة ٢٧٥/٢.

(٣) سعد بن مسعود الأنصاري قال ابن الأثير والحافظ: إنه شهد الخندق وأنه كان ضمن من استشارهم يومئذ.

أسد الغابة ٢٩٤/٢ولكنه ذكر سعد بن خثيمة مع أنه ذكر قبل أنه قتل في بدر .

انظر: الإصابة ٣٦/٢

فرأينا نتبع هواك ورأيك فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا. فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء ما ينالون منا تمرة إلا شراء أو قرى فقال رسول الله ﷺ: هو ذا تسمعون ما يقولون . قالوا غدرت يا محمد.

فقال حسان[1] بن ثابت رضي الله عنه:

يا حار من يغدر بذمة جاره منكم فإن محمداً لا يغدرُ

وأمانة المري[2] حين لقيتها كسر الزجاجة صدعها لا يجبرُ

إن تغدروا فالغدر من عاداتكم واللؤم ينبت في أصول السخبرِ

ثم قال الهيثمي:

رواه البزار والطبراني ورجالهما فيهم محمد بن عمرو حديثه حسن وبقية رجاله ثقات[3].

---

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بفتح المهملة والراء الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن أو أبو الوليد شاعر رسول الله ﷺ مشهور ت سنة أربع وخمسين وله مائة وعشرون سنة.

وذلك في خلافة علي رضي الله عنه وقد عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. قال ابن الأثير وكذلك عاش أبوه ثابت وجده المنذر وأبو جده حرام عاش كل واحد منهم مائة عشرين سنة ولا يعرف في العرب مثلهم أربعة تناسلوا من صلب واحد عاش كل واحد منهم مائة وعشرين. وقد وهب له النبي ﷺ جاريته سيرين أخت مارية فولدت له عبد الرحمن بن حسان. أسد الغابة ٢/٤.

(٢) يقصد الحارث بن عوف المري.

(٣) مجمع الزوائد ٦/١٣٢- ١٣٣ . انظر: الإصابة ٢/٣٦.

وقد أشار إلى ذلك ابن حزم[١] ألا أنه ذكر السعدين فقط[٢] كما ذكره ابن كثير عن ابن إسحاق مطولاً وأنه ﷺ بعث إلى السعدين بعد أن حصلت المراوضة[٣] و لم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح وأخيراً تناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا[٤].

أما ما جاء في الحديث السابق الذي ذكره الهيثمي وذكر فيه السعود[٥] وساق خمسة منهم، فقد رجعت إلى تراجمهم فوجدت أن هناك تناقضا ظاهراً حيث تدل الرواية التي ذكرها الهثيمي أنهم كانوا جميعاً ضمن الصحابة الذين حضروا الغزوة أما الحقيقة فهي تدل على أن سعد

---

(١) جوامع السيرة ١٨٨.

(٢) ابن معاذ وابن عبادة.

(٣) المراوضة : هي ما يجري بين المتبابعين من الزيادة والنقصان. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٢٧٦.

(٤) البداية والنهاية ٤/١٠٤.

(٥) جاء ذكر السعود في شعر حسان حيث قال :

أروني سعوداً كالسعود التي سمت بمكة من أولاد عمرو بن عامر
أقاموا عماد الدين حتى تمكنت قواعده بالمرهفات البواتر

قال أبو جعفر بن حبيب أراد بالسعود سبعة وهم أربعة من الأوس وثلاثة من الخزرج . الإصابة ٢/٢٥.

بن الربيع مثلاً قد استشهد في غزوة أحد وقد ساق ابن الأثير حديثاً يدل على ذلك[١] وقد تقدمت ترجمته.

أما سعد بن خيثمة فقد استشهد ببدر ذكر ذلك ابن إسحاق[٢] وغيره.

أما سعد بن مسعود فقد ذكر الحافظ أن له ذكراً في حديث الطبراني[٣] المذكور ثم ساق الحديث إلى أن قال ... قال ابن الأثير في ذكر سعد بن خيثمة نظر لأنه استشهد ببدر. والخندق كانت بعدها بثلاث سنين، ثم قال لا يلزم من الغلط في سعد بن خيثمة الغلط في سعد بن مسعود فإن ثبت الخبر فهو من كبار الأنصار بحيث كان يستشار في ذلك الوقت[٤].

وهكذا تمت هذه المشاروة مع السعدين كما جاء ذلك في حديث البزار الذي يعتبر أقوى حديث في الباب على ضوء إسناده[٥].

---

(١) أسد الغابة ٢/٢٧٨.

(٢) السيرة النبوية ١/٦٩٠، أسد الغابة ٢/٢٧٥، الإصابة ٢/٣٦.

(٣) تقدم في ص ١٣٨.

(٤) الإصابة ٢/٣٦.

(٥) تقدم وهو يعتبر حسناً لذاته.

ولم تتم تلك الصفقة التي كان يحلم بها الحارث بن عوف وعيينة بن حصن كما في بعض الروايات.

أما المشاورة الثانية التي حصلت في هذه الغزوة فقد حصلت عندما سمع النبي ﷺ ما أجمع عليه كفار قريش ومن تابعهم على المسير إلى المدينة فاستشار الصحابة رضي الله عنهم وتمخضت تلك المشاورة عن رأي سديد أدلى به سلمان[١] رضي الله عنه حيث أشار بحفر الخندق لكي يحول بين العدو وبين المدينة[٢].

ولم يرد في ذلك حديث صحيح غير أن الطبري قال:

حدثت عن محمد بن عمر[٣] قال كان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان ، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ

---

(١) سلمان الفارسي أبو عبد الله يقال أنه مولى رسول الله ﷺ ويعرف بسلمان الخير كان أصله من فارس من رامهرمز من قرية يقال لها جئ ، ويقال بل كان أصله من أصبهان قال ابن عبد البر وقد ذكرته في التمهيد وذكرت حديث إسلامه بتمامه وكان إذا قيل له ابن من أنت؟ قال أنا سلمان بن الإسلام من بني آدم وقد تخلف عن رسول الله ﷺ في بدر وأحد بسبب الرق فأشار عليه ﷺ بالمكاتبة وقد عاش ثلاثمائة سنة وكان من المعمرين وكان له ثلاث بنات.

انظر: الاستيعاب حاشية الإصابة ٥٦/٢، أسد الغابة ٣٢٨/٢- ٣٣٢.

(٢) زاد المعاد ٢٧١/٣، السيرة الحلبية ٦٣١/١.

(٣) هو الواقدي شيخ ابن سعد وقد تقدم.

وهو يومئذ حر[١] ، وقال يا رسول الله: إنا كنا بفــارس إذا حوصــرنا خندقنا علينا[٢].

والواقدي وصفه أهل الحديث بأنه متروك الحديث مع سعة علمه.

وبذلك قال ابن هشام[٣] ونقله عنه ابن كثير[٤] وبــه قــال ابــن الأثير[٥]. وقد نقل الحافظ في الفتح حيث قال: وكان الذي أشار بــذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي منهم أبو معشر[٦] قال: (قال سلمان للنبي ﷺ : إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا[٧]).

لقد كان الخندق ذا أهمية عظمى ذلك لأن المسلمين عندما بحثــوا خطة الدفاع عن المدينة كانوا يفكرون في إيجاد وسيلة فعالة يتحاشون بها الالتحام الشامل المباشر مع جيوش الأحزاب المتفوقة عــدداً وعــدة في

(١) لأنه قبل ذلك كان مملوكاً حتى أمره النبي ﷺ بالمكاتبة وبذلك تحرر من الرق ولازم الرسول ﷺ.

(٢) مغازي الواقدي ٤٤٥/٢، تاريخ الأمم والملوك ٤٤/٢، جامع البيان ١٣٠/٢١

(٣) السيرة النبوية ٢٢٤/٢.

(٤) البداية والنهاية ٩٥/٤.

(٥) الكامل ١٢٢/٢.

(٦) هو نجيح بن عبد الرحمن السندي بكسر المهملة وسكون النون المدني أبو معشر وهو مولى بني هاشم مشهور بكنيته - ضعيف - أسن واختلط مات سنة ١٧٠هـ. انظر: التقريب ٣٥٦.

(٧) فتح الباري ٣٩٢/٧- ٣٩٣.

معركة فاصلة ليتسنى لهم تجميدها وشل حركتها على النحو الواسع الذي تريد تلك القوة الباغية.

ولقد كان لتنفيذ هذا المشروع الدفاعي أكبر الأثر في تجميد نشاط جيوش الأحزاب وشل حركتها ثم فشل الغزو في النهاية[١].

ولقد حفر الخندق في المنطقة الشمالية الغربية من المدينة لأن هذا المكان هو أصلح موقع يجب أن يعسكر فيه من يريد الدفاع عن المدينة لأنه الناحية الوحيدة المكشوفة التي لابد لأي غاز يريد المدينة من أن يتجه إليها ذلك لأن الجهات الأخرى محاطة بأشجار النخيل والزروع الكثيفة والأبنية المتشابكة والحواجز الطبيعية الصعبة كالجبال وغيرها والتي لا تسمح لقوات الأحزاب الكبيرة أن تقوم بإجراء أي قتال على نطاق واسع كما تريد[٢].

وعندما قرر الرسول ﷺ حفر الخندق - بعد المشاورة - أمر بنقل النساء والذراري إلى الآطم[٣] الحصينة حتى لا يصيبهم مكروه.

---

(١) غزوة الأحزاب لمحمد باشميل ١٤٧.

(٢) المصدر السابق ١٤٩.

(٣) الأطم بضمة وضمتين القصر وكل حصن مبني بالحجارة وكل بيت مربع مسطح. القاموس ٤/٧٤.

لأنه كان يتخوف عليهم من اليهود - بني قريظة - حيث كانت منازلهم مما يلي العوالي[١] وكانوا قد مالؤوا الأحزاب ووافقوهم على نقض العهد الذي ابرموه مع النبي ﷺ . فقد روى الطبراني حيث قال:

حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي[٢] البغدادي ثنا عثمان بن يعقوب العثماني[٣] ثنا محمد بن طلحة[٤] التميمي عن محمد بن سهل بن أبي حثمة[٥] عن هرير[٦] بن عبد الرحمن بن رافع[٧] بن خديج[١] عن أبيه عن

---

(١) العوالي بالفتح جمع العالي ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال وقيل ثلاثة (وهو الصحيح). انظر: مراصد الإطلاع ٢/٩٧٠.

(٢) هو محمد بن عبد الله العدوي يعرف بالقرمطي . روى عنه أبو القاسم الطبراني. انظر: تاريخ بغداد ٤٣٣.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن عثمان ابن عبيد الله التيمي المعروف بابن الطويل وجده عثمان هو أخو طلحة أحد العشرة صدوق يخطئ من الثامنة . مات سنة ثمان ومائة . روى له (س ق) . التقريب ٣٠٢.

(٥) محمد بن سهل بن أبي حثمة الأنصاري الأوسي قال الحافظ ذكره البخاري و لم يذكر فيه جرحاً وذكره ابن حبان في الثقات . تعجيل المنفعة ٣٦٥.

(٦) هرير بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج الأنصاري المدني - مقبول - من الخامسة التقريب ٣٦٣. قال الذهبي وقال الازدي يتكلمون في حديثه وقد وثقه ابن معين وابن حبان . الميزان ٤/٢٩٥.

(٧) عبد الرحمن بن رافع قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه رافع . وروى عنه ابنه هرير. الجرح والتعديل ٥/٢٣٢.

جده قال: لما كان يوم الخندق لـــم يكن حصن أحصن من حصن بـــني حارثة فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه فقال: إن ألمَّ بكن[٢] أحد فالمعن بالسيف فجاءهن رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له نجدان – أحد بني جحاش[٣] على فرس حتى كان في أصل الحصن ثم جعل يقــول للنساء انزلن إلى خير لكن فحركن السيف فأبصره أصـــحاب الـــنبي ﷺ فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني حارثة يقال له ظهير بـــن رافـــع[٤] فقال يا نجدان ابرز فبرز إليه فحمل عليه فرسه فقتله وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ.

هذا الحديث قال فيه الهيثمي بعد إيراده.

رواه الطبراني وقال: ورجاله ثقات[٥]. وقد رواه ابن جرير في تاريخه بسنده من طريق ابن إسحاق[٦].

---

(١) رافع بن خديج بن عدي الحارثي الأوسي الأنصاري صحابي جليل أول مشـاهده أحد ثم الخندق . مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين وقيل قبل ذلك . التقريب٩٩ ، الاستيعاب ٥٩/٢.

(٢) إن ألم بكن أي إذا حصل ذلك وهو دخول أي غريب عنهم اليهن.

(٣) في مجمع الزاوئد حشاش واثبت ما في المعجم الكبير.

(٤) ظهير بن رافع قال ابن قدامة وشهد ظهير العقبة الثانية ولم يشهد بدراً وشهد أحداً مع أخيه مظهر بن رافع ولم يذكر متى مات. الاستبصار ٢٣٩

(٥) مجمع الزوائد ١٣٣/٦، وهو في المعجم الكبير ٣١٨/٤حديث ٤٣٧٨.

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٥٧٠/٢- ٥٧١.

وقال الهيثمي بعد إيراد هذا الحديث:

عن الزبير بن العوام أن رسول الله ﷺ خرج إلى الخندق فجعل نساءه وعمته صفية في أطم يقال له فارع... الحديث إلا أنه قال بعد سياقه لهذا الحديث ... رواه البزار وأبو يعلي باختصار وإسناد هما ضعيف.

ومع ذلك فالمتن فيه اضطراب حيث إن آخره يخالف أوله فقد ذكر أن رسول الله ﷺ أولاً خرج إلى الخندق ثم قال بعد ذلك: ثم خرج إلى أحد. ويظهر من ذلك أنه حصل التباس من خروجه إلى أحد خروجه إلى الخندق ثم قال الهيثمي[1] مؤكداً ذلك:

وقد تقدم الحديث من رواية صفية في وقعة أحد . وهو عند البزار[2] أن ذلك كان في أحد والمشهور أن هذه القصة كانت في الخندق.

أما كونه ﷺ جعلهم في أطم يقال له فارع فهو صحيح بدليل ما جاء في صحيح مسلم[3] عن عبد الله بن الزبير وفيه أنه كان هو وعمر بن أبي سلمة في أطم حسان يوم الخندق مع النسوة... الخ . كذلك روى

(١) مجمع الزوائد ٦/١٣٣- ١٣٤.

(٢) كشف الأستار ٢/٣٣٣- ٣٣٤.

(٣) صحيح مسلم ٤/١٨٧٩ ، كتاب فضائل الصحابة.

هذا الحديث أحمد[1] في مسند الزبير ثم أورد الهيثمي بعد ذلك حديثاً آخر بهذا المعنى ولفظه عن عروة:

أن النبي ﷺ أخذ نساءه يوم الأحزاب أطما من آطام المدينة وكان حسان بن ثابت رجلاً جباناً فأدخله مع النساء فأغلق الباب فجاء يهودي فقعد على باب الأطم فقالت صفيه بنت عبد المطلب: إنزل يا حسان إلى هذا العلج[2] فاقتله فقال ما كنت لأجعل نفسي خطراً لهذا العلج فائتزرت بكساء وأخذت فهرا[3] فترلت إليه فقطعت رأسه... الخ الحديث.

قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ولكنه مرسل[4].

قال السمهودي:

وروى الإمام أحمد بإسناد قوي عن عبد الله بن الزبير قال: كانت صفية في حصن حسان بن ثابت يوم الخندق أي وهو المسمى بفارع

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/١٦٦.

(٢) العلج: بكسر العين المهملة قال في مختار الصحاح بوزن العجل: الواحد من كفار العجم والجمع علوج واعلاج وعلجه بوزن عنبة. مختار الصحاح ٤٤٩.

(٣) الفهر: بكسر الفاء الموحدة هو الحجر قدر ما يدق به الجوز أو يملأ الكف ويؤنث. القاموس المحيط ٢/١١٢.

(٤) مجمع الزوائد ٦/١٣٤.

فذكر الحديث في قتلها اليهودي وقولها لحسان انزل فاسلبه فقال: مالي بسلبه حاجة[١].

وهذا الحديث وهو رفع النساء والذراري في الآطام رواه ابن جرير في تاريخه[٢] وقد روى الطبراني هذه القصة عن صفية في غزوة أحد كما تقدم.

إلا أن الهيثمي قال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط من طريق أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها و لم أعرفهما وبقية رجاله ثقات[٣].

ثم عقب السمهودي قائلاً:

والمذكور في كتب السير أن هذه القصة كانت في الخندق وأن بعضهم كان بحصن بني حارثة وبعضهم بفارع وأن صفية رضي الله عنها لما فرغت من قتل اليهودي رجعت إلى الحصن فقالت لحسان: انزل

(١) وفاء الوفاء ١/٢١٥.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢/٥٠.
(٣) مجمع الزوائد ٦/١١٥.

فاسلبه[١] فإني لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل قال مالي بسلبه حاجة يابنت عبد المطلب [٢] أ.هـ. كلام السمهودي.

وهذه القصة صحيحة لتظافر الأدلة التي يقوي بعضها بعضاً يؤيدها أن اليهود إنما غدروا في غزوة الخندق و لم يكن لهم ذكر في أحد.

أما بالنسبة لهذه التهمة التي وجهت ضد حسان بن ثابت وهي الجبن فقد دفعها بعض العلماء لذلك قال السهيلي:

مجمل هذا الحديث عند الناس أن حساناً كان جباناً شديد الجبن وقد دفع بعض العلماء هذا وانكره وقال: لو صح هذا . لهجي به حسان فإنه كان يهاجي الشعراء وكانوا يردون عليه فما عيره أحد بجبن. وإن صح فلعل حسان كان معتلاً في ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال وهذا أولى ما تأول.

ثم قال:

وممن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله في كتابه الدرر[٣] وهذا هو الحق والله أعلم فإن شعر حسان كان أشد

---

(١) السلب هو أخذ ما يكون على المقتول أو معه من سلاح وثياب ودابة وغيرها النهاية في غريب الحديث ٣٨٧/٢.

(٢) وفاء الوفاء ٣١٥/١.

(٣) الروض الأنف ٣٨١/٣، وفي الاستيعاب ٤٠٥/١. قال: وقال اكندا هل الخبار والسير: إن حسان كان من أجبن الناس، وذكروا من جبنه أشياء مستشنعة ... كرهت ذكرها لنكارتها.

على الأعداء من وقع النبل، وذلك واضح من المهاجاة التي وقعت بينه وبين شعراء قريش كابن الزبعرى وغيره، حتى أن الرسول ﷺ كان ينصب له منبراً في المسجد[١] يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ يقول (إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله ﷺ) وكان يقول للنبي ﷺ لأسلنك كما تسل الشعرة من العجين[٢] ولو كان هذا حقاً لهجاه به اعداؤه.

---

(١) أسد الغابة ٤/٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣٩٢/٢، والحديث في البخاري . انظر: فتح الباري ٣٤٦/٧، ورواه مسلم في صحيحه ١٩٣٤/٤ فضائل حسان.

الفصل الثاني

تواضعه ﷺ ومباشرته الحفر بنفسه

الفصل الثاني: تواضعه ﷺ ومباشرته الحفر بنفسه

كان صلوات الله عليه وسلامه المثل الأعلى في التواضع، وذلك لحسن أخلاقه التي مدحه الله به، وهذا حاله ﷺ في السلم والحرب على السواء. وتواضعه عليه الصلاة والسلام في هذا الموضع قليل من كثير.

أما بالنسبة لما كان منه في هذه الغزوة فقد روى البخاري في ذلك حديثاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهذا نصه:

قال البخاري - رحمه الله - :

حدثنا خلاد بن يحى[1] حدثنا عبد الواحد[2] بن أيمن[3] عن أبيه قال: أتيت جابراً -رضي الله عنه- فقال إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ

---

(١) خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي أبو محمد الكوفي نزيل مكة - صدوق - رمي بالإرجاء، وهو من كبار شيوخ البخاري من التاسعة مات سنة ٢١٧هـ.

(٢) عبد الواحد بن أيمن المخزومي مولاهم أبو القاسم المكي لا بأس به من الخامسة روى له - خ م س - التقريب ٢٢١.

(٣) أيمن الحبشي المكي والد عبد الواحد - ثقة - من الرابعة روى له البخاري وأبو داود في الناسخ والمنسوخ. التقريب ٤٠.

النبي ﷺ المعول[١] فضرب فعاد كثيباً[٢] أهيل أو أهيم[٣] فقلت يا رسول الله: ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت عندي شعير وعناق[٤].

فذبحتُ العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة[٥] ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي[٦] قد كادت تنضج

(١) المعول: الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر والجمع المعاول ، مختار الصحاح ٤٦٣.

(٢) الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. النهاية في غريب الحديث ١٥٢/٤.

(٣) الشك من الراوي قال الحافظ في الفتح ٣٩٧/٧، وفي رواية الإسماعيلي أهيل بغير شك ، وكذا عند يونس ، وفي رواية أحمد - كثيبا يهال قال والمعنى أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك قال تعالى : ﴿ وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴾ أي رملاً سائلاً، وأما أهيم فقال عياض: ضبطها بعضهم بالمثلثة وبعضهم بالمثناة وفسرها بأنها تكسرت. والكدية جاءت في رواية أبي ذر الكيدة بفتح الكاف وسكون التحتانية قيل هي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض وفي رواية الإسماعيلي فعرضت كدية - كما هنا- وهي بضم الكاف وتقديم الدال على التحتانية.

وزاد في روايته - فقال رشوها بالماء فرشوها- فتح الباري ٣٩٦/٧.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٣٩٥/٧، والعناق الأنثى من الماعز ما لم يتم له سنة ، النهاية ٣١١/٣.

(٥) البرمة: هو القدر مطلقاً وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. النهاية ١٢١/١.

(٦) الأثافي: هي حجار ثلاث يوضع عليها القدر. مختار الصحاح ٨٤.

فقلت: طعيم[١] لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان قال: كم هو فذكرت له فقال: كثير طيب.

قال: قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور[٢] حتى آتي.

فقال: قوموا فقام المهاجرون والأنصار.

فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم قالت: هل سألك قلت: نعم.

فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا[٣] فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر[٤] البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف[٥] حتى شبعوا وبقي بقية.

قال: كلي هذا واهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة[٦].

(١) بالتصغير للقلة. لأنه حصل في رواية سعيد بن ميناء التي تلي هذه أن جابر رضي الله عنه لما جاء وأخبر امرأته فقالت بك وبك فقال قد فعلت الذي قلت. قال الحافظ في رواية يونس قال فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله -عز وجل-. فتح الباري ٣٩٨/٧.

(٢) التنور: الذي يخبز فيه ومنه قوله تعالى: ﴿وفار التنور﴾ مختار الصحاح ٧٩.

(٣) فيه دليل على كثرتهم ومعنى لا تضاغطوا: أي لا تتزاحموا.

(٤) أي يغطى.

(٥) أي يغرف مرقاً من البرمة.

(٦) فتح الباري ٣٩٥/٧.

كما رواه أيضاً أحمد[١] والنسائي[٢] والبيهقي[٣].

أما البيهقي فقد أخرج هذا الحديث من رواية الإسماعيلي عن طريق المحاربي عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: قلت لجابر: حدثني بحديث عن رسول الله ﷺ أرويه عنك فقال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر فيه فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيئاً ولا نقدر عليه فعرضت في الخندق كدية فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت هذه كدية[٤] قد عرضت في الخندق فرششنا عليها الماء فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوب بحجر فأخذ المعول أو المسحاة ثم سمى ثلاثاً ثم ضرب فعادت كثيباً أهيل[٥] ... الحديث.

قال الحافظ:

وقد وقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/٣٠٠-٣٠١.

(٢) سنن النسائي ٦/٤٣ باب غزوة الترك والحبشة والرواية ليست عن جابر وإنما هي عن رجل من الصحابة.

(٣) دلائل النبوة ٣/٤١٧.

(٤) هكذا وردت في أشهر الروايات ، ووقع في رواية الأصيلي عن الجرجاني (كندة بنون، وعند ابن السكن: كتدة: بمثناة من فوق ، قال عياض لا أعرف لهما معنى ، فتح الباري ٧/٣٩٧.

(٥) دلائل النبوة ٣/٤٢٣.

الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ فجاء فأخذ المعول ثم قال: بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلثها وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إن لأبصر قصر المدائن أبيض. ثم ضرب الثالثة وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة.

قال الحافظ وقد أخرج الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه(١).

وهناك أحاديث صحيحة تبين بوضوح مباشرته ﷺ الحفر ونقل التراب مع صحابته رضي الله عنهم من ذلك ما روي البخاري ونصه:

قال البخاري(٢) رحمه الله:

حدثنا مسلم بن إبراهيم(٣) حدثنا شعبة(٤) عن أبي إسحاق(٥) عن

---

(١) فتح الباري ٣٩٧/٧.

(٢) صحيح البخاري ٤٧/٥ كتاب المغازي باب غزوة الخندق.

(٣) هو الأزدي الفراهيدي . -ثقة- روى (ع) من التاسعة مات سنة ٢٢٢هـ. التقريب ٣٣٥.

(٤) هو ابن الحجاج بن الورد الواسطي ثم البصري - ثقة حافظ متقن - روى له (ع) من السابعة مات سنة ستين ومائة. التقريب ١٤٥.

(٥) أبو إسحاق هو: عمرو بن عبد الله السبيعي بكسر المهملة وكسر الموحدة مكثر ثقة عابد روى له (ع) من الثالثة مات سنة تسع وعشرين ومائة . التقريب ٢٦٠-٢٦١.

البراء[1] رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو إغبر بطنه[2]. يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

قال البراء ويرفع بها صوته أبينا أبينا[3].

كما رواه مسلم[4] وأحمد[5] والدارمي[6] والروياني[7] بزيادة (ينقل في زنبيل[8]) وأخرجه الخطيب[9] كما أورده الحافظ في عدة مواضع من

---

(١) البراء بن عازب . الصحابي الجليل استصغر يوم بدر ، أبو عمارة صحابي ابن صحابي أحاديثه ٣٠٥ توفي بالكوفة سنة ٧٢هـ.

(٢) كذا وقع بالشك: بالغين المعجمة فيهما فأما التي بالموحدة فواضح من الغبار ، وأما التي بالميم فقال الخطابي إن كانت محفوظة فالمعنى وارى التراب جلدة بطنه. الفتح ٣٩٩/٧.

(٣) فيه دليل على تواضعه ﷺ ، وانشراح صدره ومجاراته لأصحابه فيما هو حلال وطيب.

(٤) صحيح مسلم ١٤٣٠/٣ باب غزوة الأحزاب وهي الخندق.

(٥) مسند الإمام أحمد ٢٨٢/٤/٢٨٥-٢٩١/٣٠٠/٣٠٢/٣٠٣.

(٦) سنن الدارمي ٢٢١/٢.

(٧) في المسند ٢٢٧/١ رقم (٣١٧).

(٨) الزنبيل: بكسر الزاي أوله وزيادة نون ساكنة وهو مرادف للعرق والمكتل. انظر الفتح ١٦٩/٤، والهدي لابن القيم حيث جاء فيه (والمكتل هو الزنبيل والقفة) ١٧٨/٣.

(٩) تاريخ بغداد ٢٨٩/١١.

الفتح[١].

وهذا الحديث يدل بجلاء على مشاركته ﷺ لهم وعلى تواضعه وقد جاء عند أحمد[٢] عن أم سلمة[٣] - رضي الله عنها- قالت: ما نسيت قوله يوم الخندق وهو يعاطيهم اللبن وقد أغبر شعر صدره وهو يقول اللهم إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة. الحديث.

كما جاء في الرواية الثانية للبراء عند البخاري حيث قال:

حدثني أحمد بن عثمان[٤] حدثنا شريح بن مسلمة[٥] قال حدثني

---

(١) الفتح ٤٦/٦، ١٦٠، ٢٤٧/٧، ٣٩٩، ٥١٥/١١، ٢٢٢/١٣.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٨٩/٦.

(٣) أم سلمة اسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية زوج النبي ﷺ ، وكانت قبل النبي ﷺ عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وقد ولدت له سلمة وعمر ودرة وزينب ، وتوفي عنها فخلف عليها رسول الله ﷺ سنة اثنين من الهجرة بعد وقعة بدر وعاشت بعد ذلك ستين سنة ، ت سنة اثنتين وستين وقيل قبلها. انظر الاستيعاب ٤٧٢/٤، أسد الغابة ٥٨٨/٥، والعبر للذهبي ٤٨/١.

(٤) أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي أبو عبد الله الكوفي ثقة من الحادية عشرة مات سنة ٢٦١هـ ، روى له (خ م س ق) . التقريب ١٥.

(٥) شريح بن مسلمة التنوخي الكوفي - صدوق - من قدماء العاشرة مات سنة ٢٢٢هـ، روى له (خ س) التقريب ١٤٥.

إبراهيم بن يوسف[١] قال حدثني أبي[٢] عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر[٣] فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها[٤].

هكذا جاء أيضاً في هذه الرواية مباشرته ﷺ لنقل التراب الناتج من الحفر فلقد كان ﷺ مدرسة للأخلاق الكريمة الفاضلة المستقاة من القرآن

---

(١) إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي صدوق يهم من السابعة مات سنة ١٩٨هـ، روى له (خ م د ت س) التقريب ٢٤.

(٢) يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي وقد ينسب لجده - ثقة - من السابعة مات سنة ١٥٧هـ، روى له (ع) التقريب ٣٨٨.

(٣) قال الحافظ وليس كذلك فإن صفته ﷺ أنه كان دقيق المسربة - أي الشعر- الذي في الصدر إلى البطن . قال فيمكن الجمع بأنه كان مع دقته كثيراً أي لم يكن منتشراً بل كان مستطيلاً والله أعلم. فتح الباري ٤٠١/٧.

(٤) صحيح البخاري ٤٧/٥ ، والفتح ٣٩٩/٧.

الكريم يصدق ذلك قول عائشة - رضي الله عنها - عندما سئلت عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن[1].

وسيرته ﷺ مليئة بأمثال ذلك.

لذلك قال ابن هشام:

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وما أجمعوا عليه من الأمر ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون فيه فدأب فيه ودأبوا وأبطأ عن رسول الله ﷺ ، وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن.

أما المسلمون فكانوا لا يستأذنون إلا عند الضرورة فإذا قضوا حاجاتهم رجعوا إلى ما كانوا فيه من عمل رغبة في الخير واحتساباً له وقد أنزل الله في ذلك قرآنا يتلى فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ... الآية﴾[2] .

---

(١) صحيح مسلم ٥١٣/١، وأبو داود في التطوع ٢٦، والترمذي في السير ٦٩، والنسائي في قيام الليل ٢، وابن ماجه في الأحكام ١٤.

(٢) سورة النور الآية ٦٢.

حيث نزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهـــل الحســبة والرغبة في الخير والطاعة لله ولرسوله ﷺ [١].

ثم قال تعالى يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] .

وهذه الآيات عامة ساقها ابن هشام وغيره للاستدلال بهـــا علـــى الفريقين. وعامة في الاستئذان سواء في الحرب أو في الســـلم وهـــي في الحقيقة نزلت كما قال ابن كثير[٣] في الذين يستأذنون في الخـــروج مـــن الجمعة وغيرها.

(١) السيرة النبوية ٢/٢١٦.

(٢) سورة النور الآية ٦٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٠٦.

الفصل الثالث

الكدية وتغلب المسلمين عليها

الفصل الثالث: الكدية وتغلب المسلمين عليها

والمعجزات التي وقعت في أثناء ذلك

إن المصاعب والمشاكل تعترض حتى الأعمال السهلة ، وفي أوقات السلم فكيف بعمل شاق ومجهود ضخم وكيف بعمل يكمن فيه درءُ الخطر القادم والمحدق بالمسلمين وبالمدينة التي تؤويهم إلا أن نصر الله لعباده يتجلى عندما ينصروه ﴿ ... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

إنه عندما علم المسلمون بتكتل الأحزاب وتهيؤهم للخروج لغزو المدينة بقوة كبيرة عندها فكر المسلمون في خطة الدفاع وهي (الخندق) وكانت ناجحة للغاية. وكانوا يعملون فيه بجد حتى ينتهوا منه قبل وصول العدو، وفعلاً شمروا عن ساعد الجد وبدأو بداية المدافع المستميت ولكن اعترضتهم مشاكل منها - الكدية - . تلك التي جعلتهم يذهبون للرسول ﷺ ويخبرونه بأمرها - وذلك لأنها استعصت عليهم - ويجيء ﷺ ويضربها فتعود رملاً سائلاً وقد ورد ذلك عند البخاري حيث قال: حدثنا خلاد بن يحى حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : (أتيت جابراً رضي الله

(١) سورة الحج جزء من الآية ٤٠.

عنه فقال: إنا يوم الخندق نحفر - فعرضت كدية شديدة[١] - فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً. فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم. الحديث[٢].

الحديث رواه أيضاً أحمد[٣] بزيادة رشوها بالماء - والنسائي[٤] بلفظ مرادف- عرضت لهم صخرة - والبيهقي[٥].

وأخرجه البيهقي[٦] بسنده عن أيمن المخزومي وفيه قال أيمن المخزومي: سمعت جابر بن عبد الله يقول:

كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كذانة[٧]، وهي الجبل ، الحديث.

---

(١) هذه رواية الإسماعيلي عن طريق المحاربي والكدية القطعة الغليظة . انظر هدي الساري ١٧٨.

(٢) صحيح البخاري ٤٥/٥ وقد تقدم.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/٣٠٠- ٣٠١، ٣٠٣/٤.

(٤) سنن النسائي ٤٣/٦.

(٥) دلائل النبوة ٤٢٣/٣.

(٦) دلائل النبوة ٤٢٣/٣.

(٧) الكذانة ككتانة حجارة رخوة كالمدر واكذوا صاروا فيها و (الكذكذة) الحمرة الشديدة وكذّ خشن. القاموس ٣٧١/١ وهذا التفسير لا يستقيم مع ما هو معلوم من وقوف هذه الصخرة في طريقهم .

وأخرجه كذلك مطولاً من طريق كثير بن عبد الله[١] عن أبيه[٢] عن جده[٣] وفي أوله (خط رسول الله ﷺ الخندق لكل عشرة أناس عشرة أذرع فمرت بنا صخرة بيضاء كسرت معاويلنا فأردنا أن نعدل عنها فقلنا حتى نشاور رسول الله ﷺ فأرسلنا إليه سلمان[٤]. الحديث.

وهذا الحديث مداره على كثير هذا وهو ضعيف عند الجمهور كما قال الهيثمي وحسن الترمذي حديثه.

وقد أخرج الطبري هذا الحديث بسنده فقال:

حدثنا ابن بشار[٥] قال ثنا محمد بن خالد بن عثمة[٦] قال ثنا كثير

---

(١) لعله حصل خطأ في مطبوعة الفتح ٣٩٧/٧ حيث جاء (كثير بن عبد الرحمن) والصواب ابن عبد الله كما في التقريب (٢٨٥)، التهذيب ٤١٢/٨، وهو ضعيف من السابعة و نسبه بعضهم إلى الكذب . انظر: الميزان ٤٠٦/٣.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن عوف بن يزيد المزني – مقبول – من الثالثة التقريب ١٨٣.

(٣) عمرو بن عوف بن يزيد بن ملحة بكسر أوله ومهملة أبو عبد الله المزني صحابي مات في ولاية معاوية . روى له (خ ت ر ت ق). انظر: التقريب ٢٦١، الاستيعاب ٢٧٤/٣.

(٤) فتح الباري ٣٩٨/٧.

(٥) هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر – بندار – ثقة – من العاشرة. مات سنة ٢٥٢. وله بضع وثمانون سنة . روى له (ع). التقريب ٢٩١.

(٦) محمد بن خالد بن عثمة بمثلثة ساكنة قبلها فتحة ويقال أنها أمه الحنفي البصري صدوق يخطئ من العاشرة . روى له – الأربعة – التقريب ٢٩.

بن عبد الله بن عمرو عوف المزني قال ثني أبي عن أبيه قال خط رسول الله ﷺ الخندق عام ذكرت الأحزاب وفيه فحفرنا تحت دوبار[1] حتى بلغنا الصرى[2] أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة[3] فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان أرق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه[4] الحديث.

قال الحافظ[5] ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن فعند النسائي[6] قال في الضربات الثلاث ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[7] .

---

(١) هكذا جاءت العبارة ولعلها محرفة ودوبار لفظة فارسية معناها مرتين. وهذا التفسير أيضا ليس مفهوم ولا يتفق مع النص. جامع البيان ١٣٤/٢١.

(٢) لم أقف لها على معنى ولعلها كما قال صاحب اللسان ٤٥٧/١٤ (الماء الذي طال استنقاعه).

(٣) المروة: حجارة بيض براقة – تورى النار – أو هي أصل الحجارة. القاموس ٣٩٢/٤.

(٤) جامع البيان ١٣٣/٢١، تاريخ الأمم والملوك ٤٥/٢.

(٥) فتح الباري ٣٩٧/٧.

(٦) سنن النسائي ٤٣/٦.

(٧) سورة الأنعام الآية ١١٥.

وهذا إسناد أحمد حيث قال ابنه عبد الله:

حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر[١] ثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله[٢] عن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول قال: فشكوها إلى رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ قال عوف وأحسبه قال: وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة. فأخذ المعول فقال: بسم الله فضرب ضربة فكسر الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله أني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ثم قال: بسم الله فضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله أني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا. ثم قال بسم الله وضرب ضربة أخرى فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا[٣]. الحديث

---

(١) محمد بن جعفر الهذلي مولاهم المدني البصري المعروف - بغندر - ثقة صحيح الكتاب إلا فيه غفلة من التاسعة. مات سنة ٢٤٣هـ (ع). التقريب ٢٩٣.

(٢) هو ميمون أبو عبد الله البصري مولى ابن سمرة ضعيف وقيل اسم أبيه أستاذ وفرق بينهما ابن أبي حاتم من الرابعة سئل عنه يحيى بن سعيد فحمّض وجهه وقال زعم شعبة أنه كان فسلا وقال الأثرم عن أحمد أحاديثه مناكير وذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو داود تكلم فيه . التقريب ٣٥٤، التهذيب ٢/٣٩٣.

(٣) المسند ٤/٣٠٣، الفتح الرباني ٢١/٧٨.

أما ابن إسحاق فقد قال:

وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته.

عاين[١] ذلك المسلمون فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث: أنه إشتد عليهم في بعض الخندق كدية فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء من ماء فتفل[٢] فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح[٣] ذلك الماء على تلك الكدية. فيقول من حضرها فوالذي بعثه بالحق نبياً لانهالت[٤]حتى عادت كالكثيب لا يرد فأساً ولا مسحاة[٥]. قال ابن كثير هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه[٦] وعند أحمد فأخذ المعول أو المسحاة[٧] بالشك وعند الواقدي فأخذ الكرزين[٨]. وقد تتابعت المعجزات التي أجراها الله سبحانه لنبيه ﷺ في

---

(١) عاين من المعاينة وهي المشاهدة.

(٢) تفل: أي بصق.

(٣) النضح: هو الرش.

(٤) انهالت: تفتتت.

(٥) السيرة النبوية ٢/٢١٧.

(٦) البداية والنهاية ٤/٩٧.

(٧) مسند الإمام أحمد ٣/٣٠٠.

(٨) الكرزين: الفأس الكبيرة. القاموس ٤/٦٣.

أثناء حفر الخندق من ذلك: تكثير طعام جابر رضي الله عنه، لذلك روى البخاري رحمه الله حيث قال: حدثني عمرو بن علي(١) حدثنا أبوعاصم أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان(٢) أخبرنا سعيد بن مينا (٣). قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

«لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً(٤) شديداً فانكفأت(٥) إلى امرأتي(٦) فقلت لها هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً.

---

(١) عمرو بن علي بن حجر بن كنيز بنون وزاي أبو جعفر الفلاس الصيرفي الباهلي البصري ثقة حافظ من العاشرة ت سنة ٢٤٩هـ . روى له (ع). التقريب ٢٦١.

(٢) حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية الجمحي المكي – ثقة حجة – من السادسة . مات سنة ١٥١هـ. روى له (ع). التقريب ٨٦.

(٣) سعيد بن مينا مولى البختري بن أبي ذباب الحجازي مكي أو مدني . يكنى أبا الوليد – ثقة – من الثالثة . روى له (خ م د ت ق). التقريب ١٢٦.

(٤) الخمص هو ضمور البطن من الجوع ، ومنه حديث (كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً). أي تغدو بكرة وهي جياع وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف . النهاية في غريب الحديث ٢/٨٠.

(٥) انكفأت رجعت . المصدر السابق ١٨٣.

(٦) اسمها سهلية بنت مسعود. فتح الباري ٣٩٧/٧ ولم أجد لها ترجمة في كتب التراجم الأخرى.

فأخرجتْ إلي جراباً[١] فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن[٢] فذبحتها وطحنتِ الشعير ففرغتْ إلى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالتْ لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه.

فجئته فساررته فقلت: يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك.

فصاح النبي ﷺ فقال: يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سؤراً[٣] فحي هلا بكم فقال ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجئ فجئتُ وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئتُ امرأتي فقالت بك وبك[٤] فقلتُ قد فعلتُ الذي قلتِ فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك

---

(١) الجراب والجريب مكيال قدر أربعة اقفزة. القاموس ١/٤٥.

(٢) داجن أي سمينة وهي التي تترك في البيت ولا تفلت للمرعى ومن شأنها أن تسمن. النهاية ٢/١٠٢.

(٣) سؤرا: أي طعاماً يدعو إليه الناس. واللفظة فارسية (وهي بالسين وليست بالصاد كما في بعض المصادر) النهاية في غريب الحديث ٢/٤٢٠.

(٤) هذه خصومة تحصل في مثل هذه الحال خوفاً من الفضيحة لقلة الأكل وكثرة الأضياف. قال الحافظ وجاء في رواية يونس: أنه قال فلقيت من الحياء مالا يعلمه إلا الله عز وجل وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت على امرأتي أقول افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك فقلت: نعم! فقالت: الله ورسوله أعلم ونحن قد أخبرناه بما عندنا فكشفت عني غماً شديداً. فتح الباري ٧/٣٩٨.

ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال أدعُ خابزة فلتخبز معي[١].

واقدحي[٢]من برمتكم ولا تنـــزلوها وهم ألف فاقسم بـــالله لقـــد أكلوا حتى تركوه. وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كمـــا هـــي وإن عجيننـــا ليخبزكما هو). الحديث[٣].

الحديث رواه أيضا مسلم[٤] عن سعيد بن مينـــا بـــنفس اللفـــظ والحاكم[٥].

وعند البخاري من طريق أيمن المخزومي المتقدم وفي آخره (قـــال كلى هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة) [٦].

وقد أورده ابن تيمية[٧] ضمن المعجزات[٨].

---

(١) كذا في الصحيح ٥/٤٧، الفتح ٧/٣٩٦، وفي البداية والنهاية ٤/٩٨ (فلتخبز معك) وهو الظاهر.

(٢) القدح بفتح القاف وسكون الدال هو الغرف. القاموس المحيط ١/٢٤٢.

(٣) صحيح البخاري ٥/٤٦ باب غزوة الخندق.

(٤) صحيح مسلم ٣/١٦١٠ كتاب الأشربة.

(٥) المستدرك ٣/٣١.

(٦) فتح الباري ٧/٣٩٥.

(٧) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي شيخ الإسلام - تقي الدين - أبو العباس ، محدث حافظ مفسر، فقيه . ولـــد في ربيـــع الأول ١٢ منـــه عـــام ٦٦١هــ. توفي في دمشق في ٢٠ ذو القعدة عام ٧٢٨. من مصـــنفاته السياســـية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية وغير ذلك من الكتب القيمة . تذكرة الحفـــاظ ٤/١٤٩٦، شذرات الذهب ٦/٨٠.

(٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/١٩٣.

وفي رواية يونس (كلي وأهدي فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع).

وفي رواية أبي الزبير عن جابر (فأكلنا نحن وأهدينا لجيراننا فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك)[١].

قال السيوطي[٢]:

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي[٣] في الدلائل عن جابر هذا الحديث.

ورواه أحمد عن سعيد بن مينا وفيه قال: فبرك وسمى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدروا أهل الخندق عنها[٤]. أ.هـ.

عدد من أكل من مائدة جابر رضي الله عنه:

الرواية التي في الصحيحين أنهم ألف (وهم ألف)[٥].

وفي رواية أبي نعيم في المستخرج: فأخبرني أنهم كانوا تسعمائة أو ثمانمائة.

---

(١) فتح الباري ٧/٣٩٨.

(٢) الدر المنثور ٥/١٨٧.

(٣) دلائل النبوة ٣/٤٢٢.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣/٣٠٠.

(٥) صحيح البخاري ٥/٤٧. باب غزوة الخندق.

وفي رواية عبد الواحد بن أيمن عند الإسماعيلي (كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة).

وفي رواية أبي الزبير (كانوا ثلاثمائة). قال الحافظ[١]: والحكم للزائد لمزيد علمه لأن القصة متحدة.

وفي سياق الحديث عن المعجزات قال ابن إسحاق:

وحدثني سعيد بن مينا أنه حُدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعتني أمي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة[٢] من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما قالت: فأخذهما فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي فقال ﷺ تعالى: يابنية ما هذا معك؟ قالت فقلت: يارسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه قال: هاتيه قالت: فصببته في كفّي رسول الله ﷺ فما ملأهما.

ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا[٣] بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده اصرخ في أهل الخندق أن هلمّ إلى الغداء، فاجتمع أهل

---

(١) فتح الباري ٣١٩/٧.

(٢) الحفنة: ملء الكفين من طعام. مختار الصحاح ١٤٥.

(٣) دحا الشيء بسطه منه قوله تعالى ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ . مختار الصحاح ٣٠٠/٣.

الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب(١).أ.هـ.

قال ابن كثير(٢) هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع.

لقد تنوعت المعجزات له ﷺ فبعضها حدث في أثناء حفر الخندق وكانت عاجلة وبعضها حدث كما قال ﷺ بعد أعوام طويلة من وفاته ﷺ ولا زلنا نرى الكثير مما قال ونشاهد أعلام نبوته تباعاً لذلك روى الإمام مسلم حديثاً في ذلك وفيه قال:

حدثنا ابن المثنى وابن بشار واللفظ لابن المثنى قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي مسلمة(٣) قال: سمعت أبا نضرة(٤) يحدث عن أبي سعيد الخدري(٥) قال: أخبرني من هو خير مني (أن رسول الله ﷺ قال

(١) السيرة النبوية ٢/٢١٨، الروض الأنف ٦/٢٦٥.

(٢) البداية والنهاية ٤/٩٩.

(٣) هو سعيد بن يزيد بن مسلمة الازدي أبو سلمة البصري القصير ثقة من الرابعة . روى له (ع) ١٢٧.

(٤) المنذر بن مالك بن قطعة بضم القاف وفتح المهملة العبدي العوقي بفتح المهملة والواو ثم قاف البصري أبو نضرة بنون ومعجمة ساكنة مشهور بكنيته - ثقة - من الثالثة . مات سنة ثمان أو تسع ومائة . روى له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة. التقريب ٣٤٧.

(٥) هذه كنيته واسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري له ولأبيه صحبة وهو صحابي مشهور. التقريب ١١٩.

لعمار[١] حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه يقول: بؤس ابن سميه تقتلك فئة باغية)[٢] كما رواه الترمذي[٣] والطيالسي[٤].

ولقد تحقق ما قاله ﷺ حيث قتل عمار في صفين مع علي رضي الله عنه ولما قتله أصحاب معاوية رضي الله عنه قال عمرو بن العــاص: والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[٥].

---

(١) هو الصحابي الجليل عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي بنون ساكنة ومهملة أبو اليقظان مولى بني مخزوم من السابقين الأولين بدري قتل بصفين مع على ســنة سبع وثلاثين . التقريب ٢٥٠.

(٢) صحيح مسلم ٢٢٣٥/٤. كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) سنن الترمذي ٣٣٣/٥. مناقب عمار بن ياسر.

(٤) منحة المعبود ١٥٢/٢.

(٥) أسد الغابة ٤٧/٤.

الفصل الرابع

مكان الخندق وسرعة إنجاز المسلمين لحفره

الفصل الرابع

مكان الخندق وسرعة إنجازهم لحفره

لقد بدأ المسلمون في حفر الخندق في وقت عصيب - ذلك لأنهم يبادرون قدم العدو. وقد وكل ﷺ لكل أناس جزءاً من المكان المتفق على حفره وفي ذلك تنشيط لهم ودافع على المسابقة في إكمال ما يلزم كل طائفة علماً بأنه ﷺ قد وضع يده معهم ليدفعهم ويرغبهم أكثر في ذلك فقد روى الطبراني:

عن عمرو بن عوف المزني أن رسول ﷺ خط الخندق من أحمر السبختين[١] طرف بني حارثة عام حزّب الأحزاب[٢] حتى بلغ المذابح[٣]

(١) كذا في المجمع ٦/١٣٠ -أحمر السبختين- وفي بقية الكتب ورد غير ذلك- ولعله تصحيف فقد جاء عند الطبري في جامع البيان ٢١/١٣٣ - أحمر الشيخين- وفي تاريخ الأمم والملوك ٣/٤٥ أجم الشيخين، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/٤٠٠ الأجم - السمر- وهذا هو الحق لأن الا جم هي الحصون، وفيه (حتى توارت بآجام المدينة) أي حصونها واحدها أُجُم بضمتين. النهاية في غريب الحديث ١/٢٦.

(٢) في الطبري عام -ذكرت الأحزاب- جامع البيان ٢١/١٣٣، وتاريخ الأمم والملوك ٣/٤٥.

(٣) اختلف فيها كثيراً ، ولكن التحقيق سيأتي في نهاية هذا الفصل نقلاً عن ياقوت الحموي وغيره.

فقطع لكل - عشرة أربعين ذراعاً واحتج[١] المهــاجرون والأنصــار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً فقال المهاجرين: سلمان منا وقالــت الأنصار منا فقال رسول ﷺ : سلمان منا أهل البيت . الحديث[٢].

قال الهيثمي[٣] رواه الطبراني وفيه كثير بن عبد الله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه. وقد كذبه الشافعي . وتركه أحمــد . وفي الميزان عن ابن حبان - له عن جده نسخة موضوعة - وقال الشافعي وأبو داود هو ركن من أركان الكذب[٤].

وقد أورده ابن جرير الطبري[٥] مطولاً ومداره على كثير هذا.

وعلى ذلك فهو ضعيف لضعف كثير إلا أنه يتقوى بما سيأتي مــن المتابعات والشواهد، مما يدل على أن له أصلاً.

وقد حصل اختلاف بين روايات هذا الحديث مع أن مدارها علــى واحد. فقد نقل الحافظ حيث قال:

---

(١) عند الطبري في التفسير ١٣٤/٢١ -اختلف- وفي التاريخ ٤٥/٣ -(احتق)- وهو الأصح. انظر: لسان العرب ٤٩/١٠.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٦٠/٦ حديث (٦٠٤٠) وفيه (النسختين) بدل السبختين.

(٣) مجمع الزوائد ١٣٠/٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٤٢١/٨، سبل السلام ٥٩/٣.

(٥) جامع البيان ١٣٣/٢١، تاريخ الأمم والملوك ٤٥/٣.

وأخرجه البيهقي مطولاً من طريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده وساق الحديث إلى أن قال:

وخط رسول الله ﷺ الخندق لكل عشرة أناس عشرة أذرع -وفيه- فمرت بنا صخرة بيضاء كسرت معاويلنا فأردنا أن نعدل عنها فقلنا: حتى نشاور رسول الله ﷺ فأرسلنا إليه سلمان - وفيه- فضرب ضربة صدع الصخرة وبرق منها برقة وكبر المسلمون - وفيه - رأيناك تكبر فكبرنا بتكبيرك فقال: إن البرقة الأولى اضاءت لها قصور الشام فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليهم - وفي آخره- ففرح المسلمون واستبشروا[١].

وهذه الرواية سبق في الفتح أنها للطبراني وفيها أن كل أربعين ذراع لعشرة من الناس[٢] كذلك أورد ابن كثير هذه الرواية بلفظ (بين كل عشرة أربعين ذراعاً) [٣].

وفي الدلائل للبيهقي: فلما وكل رسول الله ﷺ بكل جانب من الخندق قال المهاجرون يا سلمان احفر معنا. الحديث[٤] . وليس فيه تحديد الناس والأذرع.

---

(١) فتح الباري ٣٩٧/٧.

(٢) مجمع الزوائد ١٣٠/٦.

(٣) البداية والنهاية ٩٩/٤.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٤٠٠/٣.

ورواه ابن جرير:

عن ابن بشار عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده فذكره - وفيه- أن رسول الله ﷺ خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً . قال واحتق[١] المهاجرون والأنصار في سلمان فقال رسول الله ﷺ: (سلمان منا أهل البيت) قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً . الحديث[٢].

ولقد حفروا رضي الله عنهم بجد ونشاط وكانت المسافة طويلة وشاقة حيث كان الحفر من طرف بني حارثة - وبنو حارثة- في طرف الحرة الشرقية - إلى المذاد- من طرف بني سلمة بعد جبل بني عبيد من بني سلمة[٣].

وكان هذا مع ما كان بهم من الجوع وبدائية الأدوات التي كانوا يستخدمونها إلا أن اعتمادهم على الله ثم على قوة إيمانهم به وبرسوله

---

(١) وهي عند ابن كثير هكذا -ومعناها- اختلفوا وتنازعوا.

انظر: البداية والنهاية ٩٩/٤

(٢) جامع البيان ١٣٣/٢١-١٣٤، وقد تقدم رجال السند مترجمين في ص ١٦٩.

(٣) المدينة بين الماضي والحاضر ٣٧٧.

وبمشروعية الدفاع عن الإسلام وعن النفس كل ذلك جعلهم ينجزون ما بدأوا فيه بسرعة فائقة إذا قيس بأعمال الآلات الحديثة اليوم.

أما بالنسبة لتحديد المكان المحفور على ضوء الأدلة فقد قال صاحب المواهب[١] اللدنية: روى الطبراني بسند لا بأس به عن عمرو بن عوف المزني أنه ﷺ خط الخندق من أحمر الشيخين... وهما أطمان طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد[٢].

ولقد عمل ﷺ بيده الشريفة مع المسلمين ليقوي نشاطهم وتزداد رغبتهم كما أنه ﷺ كان يبادلهم الأهازيج. لأن الشعر والتمثل به مما يزيد في النشاط. وبذلك جرت عادتهم في الحرب وأكثر ما يستعملون في ذلك الرجز[٣] لذلك روى البخاري رحمه الله حيث قال:

---

(١) المواهب اللدنية ١٠٢/٢، وهو محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المالكي أبو عبد الله ت ١١٢٢. معجم المؤلفين ١٢٤/١٠.

(٢) هذا ما قاله الزرقاني بالنسبة لهذا الحديث - بسند لا بأس به- و لم أطلع على الجزء من مسند الطبراني الذي فيه مسند - عمرو بن عوف- .

(٣) نوع من الشعر - وقد جاء في حديث الوليد بن المغيرة حين قالت قريش للنبي ﷺ أنه شاعر فقال: (لقد عرفت الشعر رجزه وهزجه وقريضه فما هو به) والرجز: بحر من بحور الشعر وتسمى قصائده أراجيز واحدها أرجوزه فهو كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر ويسمى قائله راجزاً. النهاية في غريب الحديث ١٩٩/٢.

حدثنا عبد الله بن محمد[١] حدثنا معاوية بن عمرو[٢] حدثنا أبو إسحاق[٣] عن حميد[٤] سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة *** فاغفر للأنصار والمهاجرة.

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً *** على الجهاد ما بقينا أبداً[٥].

ورواه مسلم من طريق محمد بن حاتم السمين بنفس اللفظ إلا أن فيه تقديماً وتأخيراً[٦]. قال الحافظ قوله: (فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك) أي أنهم عملوا فيه بأنفسهم لاحتياجهم إلى ذلك لا لمجرد الرغبة في الأجر[٧]

---

(١) هو المسندي وترجمته في تهذيب التهذيب ٢١٥/١٠.

(٢) هو الأزدي المعنى -بفتح الميم وسكون المهملة- الكوفي أبو عمرو البغدادي، تهذيب التهذيب ٢١٥/١٠.

(٣) أبو إسحاق هو - الفزاري واسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث- ثقة حافظ من الثامنة روى له (ع) التقريب ٢٢.

(٤) هو الطويل أبو عبيدة البصري اختلف في اسم أبيه -ثقة مدلس- من الخامسة- روى له (ع) التقريب ٨٤.

(٥) صحيح البخاري ٤٥/٥ كتاب المغازي باب غزوة الخندق.

(٦) صحيح مسلم ١٤٣٢/٣ كتاب الجهاد والسير.

(٧) فتح الباري ٣٩٤/٥.

أقول: إنه قد يفهم من كلام الحافظ أن الحاجة وحدها هي التي دفعتهم للعمل ولكنه واضح أن الرغبة في الأجر هي السمة الغالبة في ذلك وأن الحاجة مضافة إلى ذلك خصوصاً أولئك الذين مدحهم الله في أكثر من آية بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1] الآية.

أما قوله ﷺ : " اللهم إن العيش عيش الآخرة " فقد بين الحافظ سبب هذا القول وهو لما رأى ما بهم من النصب والجوع قال ذلك.

قال: وعند الحارث بن أبي أسامة من مرسل طاوس زيادة في هذا الرجز:

والعن عضلاً والقارة *** هم كلفونا ننقل الحجارة

ثم قال: والشطر الأول غير موزون ولعله كان:

والعن الهي عضلاً والقارة.

وفي الطريق الثانية لأنس أنه قال ذلك جواباً لقولهم: نحن الذين بايعوا محمداً قال: ولا أثر للتقديم والتأخير فيه لأنه يحمل على أنه كان يقول إذا قالوا ويقولون إذا قال.

---

(١) سورة الفتح الآية الأخيرة.

قال: وفيه أن إنشاد الشعر سبب للتنشيط في العمل وبذلك جرت عادهم في الحرب وأكثر ما يستعملون في ذلك الرجز.

وقال في قوله (على الجهاد ما بقينا أبداً) في رواية عبد العزيز على الإسلام بدل - الجهاد - والأول اثبت[١]. وهذا الحديث ورد في عدة مواضع في صحيح البخاري[٢].

أقول: إن المسلم عليه أن يتأسى برسوله ﷺ فحينما يرى البذخ الذي فيه بعض الناس والفقر الذي فيه آخرون - يقول - اللهم إن العيش عيش الآخرة. لأنها كلمة ترتفع بالنفس عن الدنيا الفانية وإغراءاتها المذلة.

وقد جاء عند البخاري من طريق ثانية عن أنس وفيها قال البخاري رحمه الله: حدثنا أبو معمر[٣] حدثنا عبد الوارث[٤] عن

---

(١) فتح الباري ٧/٣٩٤-٣٩٥ كتاب الجهاد - باب غزوة الخندق.

(٢) فتح الباري ٦/٤٥ كتاب الجهاد باب التحريض على القتال ، ٦/٤٦، ٦/١١٧، ١٣/١٩٢ كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس.

(٣) عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج التميمي أبو معمر المقعد المنقري بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف البصري واسم أبي الحجاج ميسرة ثقة ثبت - رمي بالقدر من العاشرة. مات سنة أربع وعشرين ومائتين روى له (ع) التقريب ١٨٣.

(٤) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري مولاهم أبو عبيدة التنوزي بفتح المثناة وتشديد النون البصري - ثقة ثبت - رمي بالقدر و لم يثبت عنه - من الثامنة مات سنة ثمان ومائة . روى له (ع) . التقريب ٢٢٢.

عبدالعزيز[١] عن أنس رضي الله عنه[٢] قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم[٣] وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً *** على الإسلام ما بقينا أبداً

قال: يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة *** فبارك في الأنصار والمهاجرة.

قال: يؤتون بملئ كفّي من الشعير فيصنع لهم بإهالة[٤] سنخة[٥] توضع بين يدي القوم والقوم جياع وهي بشعة[٦] في الحلق ولها ريح منتن[٧]... الحديث.

---

(١) هو عبد العزيز بن صهيب البناني بموحدة ونونين البصري ثقة من الرابعة مات سنة ثلاثين ومائة روى له (ع) التقريب ٢١٥.

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين صحابي مشهور مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة. التقريب ٣٩. والاستيعاب ١/١٩٨.

(٣) المتن هو الكتف (وقد جاء في رواية أخرى على أكتاف) وفي أخرى على أكتادنا وكلاهما بمعنى واحد).

(٤) الإهالة: بكسر الهمزة وتخفيف الهاء. الدهن مما يؤتدم به وقيل هو ما أذيب من الألية والشحم وقيل الدسم الجامد. النهاية في غريب الحديث ١/٨٤.

(٥) السنخة: المتغيرة الريح وذلك لقدمها. النهاية ١/٨٤، وفتح الباري ٧/٣٩٥.

(٦) بشعة: كريهة الطعم عند ازدرادها. فتح الباري ٧/٣٩٥.

(٧) فتح الباري ٧/٣٩٢-٣٩٣.

هكذا كان ﷺ وأصحابه في صراع دائم مع الدنيا وإغراءاتها و لم تجد إليهم سبيلاً بل كانوا على يقين تام بأن الآخرة أحسن وأولى ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾[١]. وكانوا يعملون هذه الأعمال المجيدة الشاقة دفاعاً عن هذا الدين الحنيف وهم في حالة صعبة حيث الجوع والبرد القارس ومع ذلك كانت عزائمهم صلبة تكسر الصخور.

ومن أيقن مثلهم بخراب الدنيا وذهابها عمل لعمارة الآخرة ونسي الآلام كلها وتخطى كل العقبات.

وقد روى البخاري حديثاً آخر بمعنى مقارب لما سبق قال فيه:

حدثنا قتيبة[٢] حدثنا عبد العزيز[٣] عن أبي حازم[٤] عن

---

(١) سورة الضحى الآية ٤.

(٢) قتيبة بن سعيد بن جميل بفتح الجيم ابن طريف الثقفي أبو رجاء البغلاني وبغلان من قرى بلخ وهي بفتح الموحدة وسكون المعجمة يقال: اسمه يحيى وقيل: علي -ثقة ثبت- من العاشرة مات سنة ٢٤٠هـ عن تسعين سنة (ع) التقريب ٢٨١.

(٣) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي أبو محمد الجهني مولاهم المدني -صدوق- كان يحدث من كتب غيره فيخطئ قال النسائي حديثه عن عبيد الله العمري منكر من الثامنة مات سنة ست أو سبع وثمانين ومائة (ع) التقريب ٢١٦.

(٤) سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج الأفزر التمار المدني القاضي مولى الأسود بن سفيان -ثقة عابد- من الخامسة مات في خلافة المنصور (ع) التقريب ١٣٠.

سهل بن سعد[١] رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب[٢] على أكتادنا[٣] فقال رسول الله ﷺ (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار) الحديث[٤].

كما رواه مسلم[٥] والترمذي[٦] والطبراني[٧]:

أما الأماكن الواردة في الخندق فقد اختلف فيها كثيراً وقد يذكر البعض ما لا يذكره الآخر كما أنه يحدث في بعض الأحيان تصحيف لبعضها وخاصة المتشابهة في الحروف وسأذكر ما وجدته في كتب المؤرخين وبعد ذلك نستطيع المقارنة والحكم:

---

(١) سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي أبو العباس له ولأبيه صحبة مشهور ، وهو آخر من مات بالمدينة أحاديثه ١٨٨، الاستيعاب ٢٢٤/٢، وكشف المشكل من حديث الصحيحين ٢٦٦/٢.

(٢) فيه دلالة على صغر سن سهل في ذلك الوقت وأنه كان ومن في مثل سنه مخصصين لنقل التراب المحفور.

(٣) الكتد بتفح التاء وكسرها مجمع الكتفين وهو الكاهل. النهاية ١٤٩/٤.

(٤) صحيح البخاري ٤٥/٥، الفتح ٣٩٢/٧.

(٥) صحيح مسلم ١٤٣٢/٣.

(٦) سنن الترمذي ٣٥٦/٥ أبواب المناقب.

(٧) المعجم الكبير ٢٠٥/٦.

قال الفيروز أبادي[١]:

فحفر ﷺ طولاً من أعلى وادي بطحان[٢] غربي الوادي مع الحرة إلى غربي المصلى يوم العيد ثم إلى مسجد الفتح ثم إلى الجبلين الصغيرين غربي الوادي وجعل المسلمون ظهورهم إلى جبل سلع وضرب قبته على موضع مسجد الفتح اليوم[٣] والخندق بينهم وبين المشركين. أ. هـ.

وقد مر في الحديث الذي رواه كثير بن عبد الله المزني وفيه أن رسول الله ﷺ خط الخندق من أحمر (السبختين) وقد ظهر في الكلمة

(١) المغانم المطابة ١٣٤ تحقيق الجاسر.

(٢) بطحان بضم فسكون عند المحدثين وحكى أهل اللغة بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه وهو: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة. وقد روى الزبير بن بكار -بطحان على ترعة من ترع الجنة- انظر المغانم المطابة ٥٦، والنهاية في غريب الحديث ١/١٣٦.

(٣) مسجد الفتح الذي يسمى حالياً بهذا الاسم يقع على طرف جبل سلع في الشمال الغربي منه مطلاً على مسيل بطحان (أبي جيده) ويبعد عن المدينة بـ ٣ كيلوات المغانم المطابة ٩٥٨، وقد رد هذا - حمود التويجري- حيث قال لم يثبت أن النبي ﷺ أسس في المدينة مسجداً سوى مسجده ومسجد قباء ومن زعم غير هذا فقوله بعيد من الصحة والذي يظهر أن هذه المساجد كانت من إنشاء المفتونين بالآثار ونسبتها إلى الأكابر ليكون لذلك موقع عند الجهال ، مجلة البحوث الإسلامية ٢٧٩-٢٨٠ العدد الخامس محرم - جمادى الآخرة ١٤٠٠. قلت: وبالنظر إلى طبيعة المكان نجد أنه يقع في الجنوب الغربي وليس في الشمال كما قال صاحب المغانم المطابة. والله أعلم.

بين قوسين تصحيف وأنها أجم الشيخين كما في الطبري[١] والبيهقـــي[٢] وعلى ذلك (فاجم الشيخين) الأجم: بضمتين : الحصن[٣] والشـــيخان تثنية شيخ وهو موضع بالمدينة كان فيه معسكر رسول الله ﷺ ليلة خرج لقتال المشركين بأحد. وقيل: هما اطمان سميا به لأن شيخاً وشيخة كانـــا يتحدثان هناك[٤].

وقال العياشي جاء فيما ساقه السمهودي عن الطبراني ما سماهما فيه باجم الشيخين والبيهقي في دلائل النبوة سماهما - الاجم السمر[٥] - وكل هذا ينطبق على الشيخين الاطمين المذكورين[٦].

ومن هنا بدأ مكان حفر الخندق وقد ورد في حديث - كـــثير - المتقدم خط الخندق من أحمر السبختين طرف بني حارثة وعليه فقد ذكر السمهودي - ضمن المساجد- مسجد بني حارثة وقد ذكر العياشي[٧] أن هذا المسجد يقع في طريق المستراح من الغرب أ.هـــ.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٣/٤٥.

(٢) دلائل النبوة ٣/٤١٩ .

(٣) القاموس المحيط ٤/٧٣.

(٤) معجم البلدان ٣/٣٨٠.

(٥) دلائل النبوة ٣/٤١٨.

(٦) المدينة بين الماضي والحاضر ٣٧٣.

(٧) المدينة بين الماضي والحاضر ٣٧٣.

أقول: والمستراح موضع معروف اليوم على يسار الذاهب إلى شهداء أحد ويبعد عن المسجد النبوي بحوالي ثلاثة كيلو مترات.

وهذا يعني أن مكان الخندق بشكل عام كما يذكره المؤرخون من حرة واقم إلى حرة الوبرة وهما تسميان اليوم (بالشرقية والغربية).

لذلك قال العياشي[١]:

من هنا بدأ خط الخندق - وذلك حينما ذكر الاجم السمر- أو الشيخين - طرف بني حارثة التي عند القلعة التي تتوسط طريق الشهداء حتى تنتهي إلى المذاد من طرف بني سلمةأ.هـ. أما (المذاد) فقد حصل فيها اختلاف أيضا فقد ورد عند الهيثمي[٢] (المداحج) بالدال المهملة وعند الطبري[٣] وياقوت[٤] أنها المذاد وقال ياقوت: هو بالفتح وأخره دال مهملة وهو اسم المكان من ذاده يذوده إذا طرده قال ابن الأعرابي:

المذاد والمزاد بالزاي المعجمة - المرتفع موضع بالمدينة حيث حفر النبي ﷺ الخندق. وقيل: هو واد بين سلع وخندق المدينة. قال كعب بن مالك:

---

(١) المدينة بين الماضي والحاضر ٣٧٧.

(٢) مجمع الزوائد ١٣٠/٦.

(٣) جامع البيان ١٣٣/٢١ تاريخ الأمم والملوك ٤٥/٣.

(٤) معجم البلدان ٨٨/٥، النهاية في غريب الحديث ٣١١/٤.

من سره ضرب يرعبل بعضه *** بعضاً كمعمعة الإباء المحرق

فليات مأسدة تسل سيوفها بين المذاد وبين جزع الخندق أ.هـ.[١]

وعليه فالمذاد ورد ذكره في هذا البيت كما ترى مما يدل على شهرته عندهم أما المداحج فلم أقف لها على ذكر في المصادر التي رجعت إليها ولعل فيها تصحيفاً.

وهناك موضعان ورد ذكرهما في الخندق وهما - الندى، الصرى[٢]- ولم أجد لهما ذكراً في معالم المدينة إلا أن هناك ذكراً لما يشابه الصرى حيث قال ياقوت: صرار، بكسر أوله وآخره مثل ثانيه وهي الأماكن المرتفعة التي لا يعلوها الماء يقال لها صرار، وصرار: اسم جبل وقيل موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق قاله الخطابي. أهـ[٣].

أما بالنسبة للندى، ومع إني لم أجد لها ذكراً في المواقع إلا أني وجدت في دلائل النبوة للبيهقي ما قد يوضح هذا الالتباس، وإن لم

(١) معجم البلدان ٨٨/٥، والنهاية في غريب الحديث ٣١١/٤.

(٢) جامع البيان ١٣٤/٢١، تاريخ الأمم والملوك فيه - الندى- وليس فيه الصرى ٤٥/٣.

(٣) معجم البلدان ٣٩٨/٣.

يوضحه فهو لا يخلو من فائدة ، وعليه فقد روى البيهقي من طريق كثير ابن عبد الله المزني حديثاً ، وفيه قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى بلغنا الثّديّ[١] أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدّورة[٢]. الحديث.

وعلى ذلك فهذه الكلمة - الثدى- محتملة لما يأتي:

١- أنهم حفروا إلى ما يبلغ الثدى وفي هذا دلالة على عمق الخندق.

٢- ويحتمل أنها الثرى -بالثاء المعجمة والراء المهملة- ويكون فيها تصحيف.

والثرى بمعنى الندى[٣]، وتكون الندى لا تصحيف فيها. وهذا يدل على أنه ليس هناك مكان معروف يسمى الندى، وإنما الندى هو الجود وهو المطر والبلل[٤]، ويطلق على قطرات الماء التي تصبح على أوراق الأشجار. ولذلك قال الطبري والصرى هو الماء[٥].

---

(١) وهذا العمق قد يكون أكثر من متر لأن طول الرجل المتوسط متر ونصف فأكثر.

(٢) دلائل النبوة ٤١٩/٣.

(٣) القاموس المحيط ٣٩٤/٤.

(٤) مختار الصحاح ٦٥٣.

(٥) جامع البيان ١٣٤/٢١.

عقب ذلك قال السفاريني[١]:

وكان الخندق بسطة ونحوها وكان سلع الجبل خلف ظهورهم، والخندق من المذاد[٢] إلى ذباب[٣] إلى راتج[٤].

وكان قد عمل فيه ﷺ ، وأصحابه -رضي الله عنهم- مستعجلين.

ثم قال في الهامش تعليقاً على هذه الأماكن:

المزاد: هو أطم لبني حرام غربي مساجد الفتح، وذباب: كغراب اسم جبل بالمدينة، وراتج: اسم أطم أيضاً. أهـ[٥].

قال ابن سعد:

ولما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق، وكل بكل جانب منه قوماً

---

(١) هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي (أبو العون) شمس الدين محدث فقيه أصولي صوفي مؤرخ مشارك في بعض العلوم ولد عام ١١١٤هـ، وتوفي ١١٨٨هـ، من تصانيفه معارج الأنوار في سيرة النبي المختار. انظر معجم المؤلفين ٢٦٢/٨.

(٢) هو المذاد: بالذال أخت الدال وهذا بدليل ما جاء في شعر كعب بن مالك وقد مر في هذا البحث في صفحة ١٩٧.

(٣) ذباب: قال ياقوت ذكره الحازمي بكسر أوله وباءين جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار معجم البلدان ٣/٣.

(٤) راتج: بعد الألف تاء مثناه من فوق مكسورة وجيم: اطم من آطام بالمدينة وتسمى الناحية به . معجم البلدان ١٢/٣.

(٥) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ١٩٩/١- ٢٠٠.

وكان المهاجرون من ناحية راتج إلى ذباب وكانت الأنصار من ذباب إلى جبل بني عبيد وكان سائر المدينة مشبكاً بالبنيان، فهي كالحصن وخندقت بنو عبد الأشهل عليها مما يلي راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند جربا إلى موضع دار ابن أبي الجنوب اليوم(١).

ويستنتج من هذا وذاك أن أقصى نقطة من الشرق بالنسبة للخندق هي راتج، وآخر نقطة من الغرب جبل بني عبيد، وفيما بينهما جرى الحفر.

أما المدة التي استغرقوها في أثناء الحفر ففيها أقوال:

١- قول ابن سعد

وفرغوا من حفره في ستة أيام ، ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام(٢).

٢ - وقول القسطلاني:

وقد وقع عند موسى بن عقبة أنهم أقاموا في عمل الخندق قريباً من

---

(١) الطبقات الكبرى ٦٦/٢- ٦٧.

(٢) المصدر السابق ٦٧/٢.

عشرين ليلة، وعند الواقدي أربعاً وعشرين ليلة. وعند النووي في الروضة خمسة عشر يوماً. وعند ابن القيم في الهدي النبوي شهراً. أهـ[١].

٣ - وقول السمهودي:

وما تقدم من فراغ الخندق في ستة أيام هو المعروف لكن قال الحافظ ابن حجر إن في مغازي ابن عقبة: أنهم أقاموا في عمله قريباً من عشرين ليلة ثم ساق الكلام كما ساقه القسطلاني ثم عقب قائلاً:

والذي في الهدي - وأقام المشركون شهراً- أي يحاصرون. وكذا ما قاله في الروضة إنما هو في الحصار وكذا ابن عقبة إنما ذكر ذلك في الحصار ثم قال:

لكن نقل ابن سيد الناس عن ابن سعد أن المدة في عمل الخندق ستة أيام ثم قال وغيره يقول بضع عشرة ليلة ، وقيل أربعاً وعشرين[٢].

قال القسطلاني:

ولست بواثق من هذا التعقيب فإن الحافظ نقل أولاً عن ابن عقبة أن مدة الحصار عشرون يوماً ثم بعد قليل ذكر هذا الخلاف في مدة الحفر وتوهيم مثله لا ينبغي[٣].

---

(١) المواهب اللدانية ١/١١٢.

(٢) وفاء الوفاء ٤/١٢٠٨- ١٢٠٩، وذكره الحافظ في الفتح ٧/٣٩٤.

(٣) المواهب اللدانية ١/١١٠.

٤- قول المقريزي:

إنهم فرغوا من حفره في ستة أيام(١).

٥- قول ابن الجوزي:

إن مدة الحصار كانت بضع عشرة ليلة ، وقيل أربعاً وعشرين ليلة ثم قال: وفرغوا من حفره في ستة أيام(٢).

ومن المعاصرين:

٦- محمد محمد أبو شهبة:

أثبت أنهم أتموا حفر الخندق في خلال ستة أيام(٣).

٧- أما عماد الدين خليل فقال:

وكان لتقسيم العمل وإسهام الرسول ﷺ فيه إلى جانب أصحابه، والإيمان العميق الذي كان يدفع المسلمين إلى بذل كل طاقاتهم لإنجاز الخطة الدفاعية وشعورهم بعظم الخطر المحدق إن هوجمت المدينة قبل أن ينجز حفر الخندق. فضلاً عن تأميل الرسول ﷺ جنده بالنصر القريب في الأرض والأجر العريض في السماء.

---

(١) الإمتاع ٢١٦/١.

(٢) الوفاء بأحوال المصطفى ٦٩٣، التلقيح ٥٩.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٢٢٩/٢.

وكان لهذه الأمور جميعاً الأثر الحاسم في تمكين المسلمين من حفر الخندق الذي يمتد (اثنا عشر ألف ذراع) [1].

في ستة أيام قبل أن يدهمهم الأعداء.

(١) هذه المسافة تقدر بستة كيلوات.

الباب الرابع

وصول الأحزاب

إلى مشارف المدينة

الفصل الأول

بيان عدد الجيش

الباب الثالث

وصول الأحزاب إلى المدينة

الفصل الأول: بيان عدد الجيش، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: عدد جيش المشركين، وبيان قواده

بعد أن اجتمع الوفد اليهودي بقيادة زعيمهم الحاقد حيي بن أخطب بقواد قريش وزعمائها، وبعد أن رجعوا فرحين بما جاء به ذلك الوفد المشؤوم الذي كشف الله أمره، ولعنه حيث قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾[1] الآية.

بعد ذلك كله اجتمع زعماء قريش في دار الندوة[2] للمشاورة وخرجوا بقرار نهائي هو الموافقة على ما أراده اليهود منهم وقد صادف

---

(١) سورة النساء الآيتين ٥٢- ٥٣.

(٢) دار الندوة: مكان بمكة أحدثه قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، واللفظة مأخوذة من لفظ الندى والنادي والمنتدى، وهو مجلس القوم الذي يندون حوله أي يذهبون قريباً منه ثم يرجعون هذا ما قاله ياقوت. معجم البلدان ٤١٣/٢، أما ابن دريد فقال: أن قصياً أول من بنى ==

هوى في نفوسهم ألا وهو استئصال الإسلام والقضاء على حامليه كما كانوا يعتقدون ذلك؛ لأن نظرهم كانت تغتر بالعدد الكبير الذي حشدوه إلى أرض المعركة، ونسوا أن النصر من عند الله، وأنه هو الذي نصر المؤمنين مع قلتهم في بدرٍ وغيرها. تجاهلوا ذلك كله وكان يراودهم أمل متعلق بالكثرة الكاثرة التي ذهب اليهود من أجلها إلى غطفان وبقية القبائل المعادية للإسلام في ذلك الوقت.

ولكنهم كما قال الله تعالى : ﴿ ... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[1] .

وهم مع ذلك لا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ ...كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾[2] الآية .

قال ابن إسحاق:

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع

(=) الكعبة بعد بناء تبع ، وبني دار الندوة، وهي الدار التي كانت قريش تجتمع فيها عند النوائب في الحرب أو غيرها. الاشتقاق ١٥٥، وقال الحلبي: دار الندوة من جهة الحجر وكان لها باب إلى المسجد أعدت للاجتماع ، السيرة الحلبية ٢/٢٢٢.

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٩.

الأسيال من رومة[١] بين الجرف وزغابة[٢] في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة، وأهل تهامة وأقبلت غطفان، ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي[٣] إلى جانب أحد[٤]، أهـ.

---

(١) رومة: بضم الراء وسكون الواو: أرض بالمدينة بين الجرف وزغابة نزلها المشركون عام الخندق. وبهذا يعرف التصحيف الذي ورد عند الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٤٦/٢، حيث قال بمجتمع الأسيال من دومة: بالدال. وقلت لعله تصحيف لأن الدومة بالعالية قرب بني قريظة ، وإلى جانبها الدويمة مصغراً أما رومة فهي العرصة الكبرى التي تلتقي بالجرف وكلاهما في آخر العقيق. قال ذلك الفيروزآبادي والسمهودي.
المغانم المطابة ١٧١، وفاء الوفاء ١٢٢٧/٤، ومعجم البلدان لياقوت ١٠٤/٣.

(٢) زغابة: قال ياقوت بالفتح في الأول وبعد الألف باء موحدة قال ابن إسحاق ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف ... الخ .
قال ورواه أبو عبد البكري الأندلسي زغابة بضم الزاي وعين مهملة وذكره الطبري فقال بين الجرف والغابة واختار هذه الرواية، وقال لأن زغابة لا تعرف. وليس الأمر كذلك فإنه قد روي في الحديث المسند أنه عليه الصلاة والسلام قال في ناقة أهداها إليه أعرابي فكافأه بست بكرات فلم يرض فقال عليه الصلاة والسلام ألا تعجبون لهذا الأعرابي أهدي إلي ناقتي أعرفها بعينها ذهبت مني يوم زغابة، وقد كافأته بست فسخط الحديث ، وقد جاء ذكر زغابة في حديث آخر فكيف لا يكون معروفاً؟ فالا عرف إذا عندنا زغابة بالغين المعجمة. أ.هـ. كلام ياقوت في معجم البلدان ١٤١/٣-١٤٢. وقد وافقه الفيروزآبادي في القاموس ٧٩/١.

(٣) نقمي: بالتحريك والقصر: موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب، قال ابن إسحاق، وأقبلت غطفان يوم الخندق، ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد أ.هـ. كلام ياقوت في معجم البلدان ٣٠٠/٥، وكذا في القاموس ١٨٣/٤، والمغانم المطابة ٤١٤ كلاهما للفيروزآبادي.

(٤) السيرة النبوية ٢١٥/٢، والروض الآنف ٢٦١/٣.

أما ابن سعد فقد قال في سياق حديثه عن الخندق:

أخبرنا أبو الوليد الطيالسي[(١)] أخبرنا أبو عوانة[(٢)] عن أبي بشر[(٣)] عن سعيد بن جبير قال كان يوم الخندق بالمدينة قال فجاء أبو سفيان بن حرب ومن معه من قريش ومن تبعه من كنانة ... وعيينة بن حصن ومن تبعه من غطفان. وطليحة ومن تبعه من بني أسد وأبو الأعور السلمي ومن تبعه من بني سليم[(٤)].

والأثر موقوف على سعيد بن جبير (ورجال السند ثقات).

وقد ذكر ابن سعد أن زعماء قريش دخلوا دار الندوة وعقدوا اللواء

(١) أبو الوليد الطيالسي هو هشام بن عبد الملك الباهلي مولاهم البصري ثقة ثبت من التاسعة مات سنة سبع وعشرين ومائتين وله أربع وتسعون سنة روى له (ع). التقريب ٣٦٤.

(٢) أبو عوانة ... هو وضاح بتشديد المعجمة ثم مهملة بن عبد الله اليشكري الواسطي البزاز مشهور بالكنية - ثقة ثبت- من السابعة مات سنة خمس أو ست وسبعين (بعد المائة) روى له (ع) التقريب ٣٦٩.

(٣) أبو بشر هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية بفتح الواو وسكون المهملة وكسر المعجمة وتثقيل التحتانية - ثقة - من أثبت الناس في سعيد بن جبير ضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد من الخامسة مات سنة خمس وقيل سنة ست وعشرين (بعد المائة) روى له (ع) التقريب ٥٥.

(٤) الطبقات الكبرى ٧١/٢.

فيها وحمله عثمان[١] بن طلحة بن أبي طلحة، وذلك بعد أن ساق سنده الطويل، وفيه قال: قالوا[٢]: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير ساروا إلى خيبر فخرج نفر من أشرافهم ووجوههم إلى مكة فألبوا قريشاً ودعوهم إلى الخروج إلى رسول الله ﷺ، وعاهدوهم على قتاله ووعدوهم لذلك موعداً ثم خرجوا من عندهم حتى أتوا غطفان وسليماً ففارقوهم على مثل ما اتفقوا عليه مع قريش. قال ابن سعد:

عندئذ تجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وكان معهم ألف وخمسمائة بعير قال وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب بن أمية[٣]، ووافقهم بنو سليم

---

(١) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هاجر إلى رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية مع خالد بن الوليد فلقيا عمرو بن العاص قد أتى من عند النجاشي يريد الهجرة فاصطحبوا حتى قدموا المدينة وقال ﷺ حين رآهم (ألقت إليكم مكة أفلاذ كبدها) يعني أنهم وجوه أهل مكة.
أسد الغابة ٣/٢٧٣.

(٢) أي السند المتقدم في أول الكتاب وهذه طريقته يقدم السند في أول الكتاب ثم يعيد لضمير إليه ويقول قالوا.

(٣) أبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي صحابي مشهور أسلم عام الفتح مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل بعدها. انظر الاستيعاب ٤/٢٤٠، والتقريب ١٥١.

بمر الظهران وهم سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس أهـ. كلام ابن سعد[١].

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق[٢]، إلا أنه لم يذكر عدد جيش قريش ولكنه ذكر العدد الإجمالي لجيش الأحزاب وتابعه على ذلك ابن كثير[٣].

أما الطبري فقد ساق حديثاً من طريق ابن إسحاق قال: ثني يزيد بن رومان في قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا... ﴾[٤] الآية. والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ... الخ[٥].

ثم ساق حديثاً آخر طويلاً من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة وعن محمد بن كعب القرظي وعن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم[٦] وفيه:

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٥.

(٢) السيرة النبوية ٢/٢١٥.

(٣) البداية والنهاية ٤/٩٥.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٩.

(٥) جامع البيان ٢١/١٢٩ وقد تقدمت تراجم رجال السند.

(٦) تقدمت تراجمهم في ص ٤٧.

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعود بن رخيلة[١] الأشجعي فيمن تابعه من قومه من أشجع.

فلما سمع بهم النبي ﷺ ، وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة[٢]، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد[٣].

---

(١) هكذا ورد اسمه في طبقات ابن سعد ٦٦/٢، وتاريخ الأمم والملوك للطبري٤٤/٢، الاستيعاب لأبي عمر ٤٤٨/٣، وأسد الغابة ٣٥٧/٤، والأمتاع للمقريزي ٢٣٠/١، والإصابة لابن حجر ٤١٠/٣ كل هذه المراجع تذكر بأن اسمه مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة مصغراً وفي السيرة النبوية لابن هشام ٢١٥/٢، وجوامع السيرة لابن حزم (١٨٦) (مسعر) وكذا الطبري في جامع البيان ١٣٠/٢١.

(٢) الجرف: بالضم ثم السكون موضع على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام كانت به أموال لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قالوا والذي سماه بهذا الاسم هو تبع مر به فقال هذا جرف الأرض ، وكان يسمي قبل ذلك العرض بكسر العين. انظر معجم البلدان ١٢٨/٢، والمغانم المطابة ٨٨/٨٩.

(٣) جامع البيان ١٢٩/٢١–١٣٠.

قال ابن القيم:

خرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف ووافاهم بنو سليم بمر الظهران وخرجت بنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة وجاءت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف[١].

أما الطبري فقد قال:

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على بني فزارة والحارث بن عوف المري على بني مرة ومسعود بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من أشجع ... الخ[٢]. وقد تابعه في هذا ابن حزم[٣]، وابن الأثير[٤]، والقرطبي[٥].

(١) زاد المعاد ٣/٢٧١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢/٤٤.

(٣) جوامع السيرة ١٨٦.

(٤) الكامل ٢/١٢٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٢٨.

عقب ذلك قال السيوطي:

وأخرج ابن إسحاق وابن مردويه عن ابن عباس قال أنـــزل الله في شأن الخندق وذكر نعمه عليهم وكفايته إياهم عدوهم بعد سوء الظـــن ومقالة من تكلم من أهل النفاق ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[١] الآية. وكانت الجنود التي أتت المسلمين أسداً وغطفان وسليماً ... الخ[٢].

كما ذكر ابن الجوزي[٣]:

أن عدد قريش كان أربعة آلاف رجل قادوا معهم ثلاثمائة فـــرس ومائة وخمسين بعيراً ، وبنو سليم كانوا سبعمائة، وفزارة كـــانوا ألـــف رجل، وأشجع كانوا أربعمائة رجل، وبنو مرة كانوا أربعمائة[٤] ... وبه قال المقريزي[٥]. أخيراً قال الحافظ ابن حجر، وذكر موسى بن عقبـــة في المغازي قال:

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٩.

(٢) الدر المنثور ١٨٦/٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي التيمي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي جمال الدين أبـــو الفرج. توفي سنة ٥٩٧هـــ. تذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٣، ومعجم المؤلفين ١٥٧/٥.

(٤) الوفاء بأخبار المصطفى ٦٩٢.

(٥) إمتاع الأسماع ٢١٨/١-٢١٩.

خرج حيي بن أخطب بعد قتل بني النضير[1] إلى مكة يحرض[2] قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في غطفان، ويحضهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف تمر خيبر فأجابه عيينة بن حصن الفزاري إلى ذلك وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل إليهم طليحة بن خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش فنزلوا بمر الظهران فجاء من أجابهم من بني سليم مدداً لهم فصاروا في جمع عظيم فهم الذين سماهم الله - الأحزاب - وذكر ابن إسحاق بأسانيده أن عدهم عشرة آلاف[3].

نبذة عن القواد الخمسة المشاركين في هذه الغزوة ومتى كان إسلامهم:

---

(١) هذا وهم أو سبق قلم - ذكر قتل بني النضير- والواقع بخلاف ذلك. حيث بين الله في كتابه الكريم أنه أخرجهم من درياهم، ولم يذكر أن الرسول ﷺ قتل أحداً منهم حيث قال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ ﴾ الخ الآية من سورة الحشر رقم (٢) .

أما قصة إخراجهم وسببها فقد ذكره أصحاب المغازي والسير والتفاسير من ذلك السيرة النبوية ٢/١٩٠.

(٢) حرض تحرضياً: حثه ، القاموس المحيط ٢/٣٢٧.

(٣) فتح الباري ٧/٣٩٣.

١- أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية:

أسلم يوم الفتح وشارك مع الرسول ﷺ في غزوة حنين والطائف بعد أن شارك في قتاله ﷺ كثيراً. وقد ولد قبل الفيل بعشر سنين، وقد أعطاه الرسول ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية كما أعطى المؤلفة قلوبهم، وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية فقال له أبو سفيان: والله إنك لكريم فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فلنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت جزاك الله خيراً، تولى على نجران في عهد رسول الله ﷺ ثم رجع إلى مكة بعد موت النبي ﷺ وسكنها مدة ثم عاد إلى المدينة فمات بها سنة إحدى وثلاثين، وقيل اثنتين وثلاثين، وقيل أربع وثلاثين، وقيل كان عمره ثمان وثمانين، وقيل ثلاثاً وتسعين سنة[١].

٢- أما عيينة بن حصن، كنيته أبو مالك

فكان من الجفاة الغلاظ وكان اسمه حذيفة، وسمي عيينة لشتر كان بعينه، أسلم ثم ارتد، وآمن بطليحة حين تنبأ، وأخذه خالد بن الوليد أسيراً فأتي به أبا بكر -رضي الله عنه-، فمن عليه وروي أنه دخل المدينة مجموعة يداه إلى عنقه جعل الغلمان يطعنونه بأيديهم في بطنه وخاصرته،

(١) أسد الغابة ١٢/٣.

ويقولون أي عدو الله ارتددت عن الإسلام فيقول، والله ما كنت آمنت قط[١]، ولم يزل مظهراً الإسلام على جفوته حتى مات وهو عم الحر بن قيس، وكان الحر رجلاً صالحاً من أهل القرآن، وكان عيينة أيضاً من المؤلفة قلوبهم، وهو الذي قال فيه ﷺ الأحمق المطاع لأنه كان في الجاهلية من الجرارين[٢] يقود عشرة آلاف قناة[٣].

٣- الحارث بن عوف المري:

وقد أسلم، ولم يذكر متى كان ذلك، وإنما قالوا[٤] قدم على رسول الله ﷺ ، فأسلم وبعث معه رجلاً من الأنصار إلى قومه ليسلموا فقتلوا الأنصاري، ولم يستطع الحارث أن يمنع عنه وهو صاحب الحمالة في

(١) البداية والنهاية ٣١٨/٦، وأسد الغابة ١٦٧/٤.

(٢) انفرد بها ابن الأثير ولم ادر معناها رغم بحثي في كتب الغريب ولعله كما قالت الخنساء: ترثي أخاها صخراً حمال ألوية شهاد أندية للجيش جرار.

(٣) أسد الغابة ١٦٧/٤، والسيرة النبوية ٢١٥/٢. والقناة: الرمح.

(٤) أي المؤرخين مثل ابن الأثير في أسد الغابة ٣٤٢/١، وابن حجر في الإصابة ٢٨٦/١، وقد قال البيهقي في الدلائل ٣٩٩/٣ - فزعموا أن الحارث بن عوف أخا بني مرة قال لعيينة بن بدر وغطفان ياقومي أطيعوني ودعوا قتال هذا الرجل وخلوا بينه وبين عدوه من العرب فغلب عليهم الشيطان وقطع أعناقهم الطمع فانقادوا لأمر عيينة بن بدر أ.هـ.

حرب داحس والغبراء[١]، وأحد رؤوس الأحزاب يوم الخنـــدق، وقـــد استعمله النبي ﷺ على قومه بني مرة. انتهى.

قال ابن سعد:

وقد روى الزهري أن الحارث رجع ببني مرة فلم يشـــهد الخنـــدق منهم أحد قال والأول أثبت أي أنهم - شهدوا الخندق مع الحارث بـــن عوف[٢]-. وعلى كلٍ فقد كان الحارث أحسن قواد الكفار، وأرجحهم عقلاً، وأقلهم حقداً على رسول الله ﷺ، وأسلم وحسن إسلامه، وعد من الصحابة الكرام.

٤- أبو الأعور السلمي:

هو سفيان بن عمرو، وهو مشهور بكنيته، ولا يعلم متى أسلم كذا قال الحلبي[٣]: ولكنه شارك في القتال مع معاوية -رضي الله عنه- ضـــد علي -رضي الله عنه- يوم صفين[٤]. وأنه كان على مقدمة جيش معاوية ذلك اليوم أ:هـــ.

---

(١) المعارف لابن قتية ٦١.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٦٦.

(٣) السيرة الحلبية ٢/٦٣١.

(٤) البداية والنهاية ٧/٢٦١.

٥- مسعود بن رخيلة:

هو مسعود بن رخلية بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع الأشجعي كان قائد أشجع يوم الأحزاب مع المشركين، أسلم فحسن إسلامه ، ذكر ذلك أبو جعفر الطبري(١).

٦- طليحة الأسدي:

طليحة هذا كان أحد القواد لجيش الأحزاب حيث كان على رأس قومه بني أسد الذين جاءوا مساعدين لغطفان كما قيل.

وعلى كلٍ فقد تنبأ طليحة بعد وفاة النبي ﷺ ، وأرسل إليه أبو بكر -رضي الله عنه- خالداً - رضي الله عنه- ، وقد انضم إلى طليحة كثير من القبائل منهم عيينة بن حصن في سبعمائة من قومه بني فزارة ثم انهزم الناس عن طليحة فلما جاء المسلمون ركب على فرس قد أعدها له وأركب زوجته النوار على بعير له ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه(٢).

وقد قال ابن كثير: إن طليحة ارتد في عهد النبي ﷺ ، وقد عاد إلى الإسلام، وحسن إسلامه وشهد القتال مع خالد في بقية أيامه.

---

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤٤٨/٣، وأسد الغابة لابن الأثير ٣٥٧/٤، والإصابة ٤١٠/٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٦٦/٢، البداية والنهاية ٣١٨/٦.

وقد سأل خالد - رضي الله عنه- بعض أصحاب طليحة ممن أسلموا عن الوحي الذي أخبرهم به فقال: إنه كان يقول: الحمام واليمام والصرد والصوام قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام، إلى غير ذلك من الخرافات[١]...

وأسلم طليحة إسلاماً صحيحاً، وله في قتال الفرس في القادسية بلاءٌ حسنٌ، وقد أوصى عمر - رضي الله عنه- النعمان بن مقرن أن يستعين في حربه بطليحة وعمرو بن معدي كرب، وأن يستشيرهما في الحرب ولا يوليهما من الأمر شيئاً[٢].

والخلاصة أن عدد جيش الكفار كان عشرة آلاف، وهو العدد الإجمالي الذي ذكره ابن إسحاق وغير واحد.

---

(١) البداية والنهاية ٣١٨/٦، السيرة الحلبية ٦٣١/٢.

(٢) أسد الغابة ٦٦/٣.

المبحث الثاني: عدد جيش المسلمين

جيش المسلمين هو ذلك الجيش الذي ضحى بالغالي والنفيس في سبيل الله في سبيل الدفاع عن هذا الدين الحنيف دين الله الذي قال فيه سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. هذا الجيش رغم قلة عدده وعدته فقد كان كثيراً قوياً بإيمانه وبعقيدته. وقد حصل في تقدير هذا الجيش خلاف على النحو التالي:

١- قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ، والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين أ.هـ[2]. وتابعه في ذلك ابن سعد[3] والطبري[4] والبيهقي[5] وابن عبد البر[6] وابن الأثير[7] وابن سيد الناس[8] وابن كثير[9] وذكره الديار بكري[10]

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٢) السيرة النبوية ٢/٢٢٠ والروض الآنف ٣/٢٦١.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٦٦.

(٤) جامع البيان ٢١/١٣٠.

(٥) دلائل النبوة ٣/٤٥٢.

(٦) الدرر في اختصار المغازي والسير ١٨١.

(٧) الكامل في التاريخ ٢/١٢٣.

(٨) عيون الأثر ٢/٥٧.

(٩) البداية والنهاية ٤/١٠٢.

(١٠) تاريخ الخميس ١/٤٨٠.

كما ذكره صاحب المواهب اللدنية[١].

٢- قال ابن حزم: وقد قيل تسعمائة فقط قال: وهو الصحيح الـــذي لا شك فيه[٢].

٣- قال الديار بكري[٣]: بعد أن ذكر أن عدد جيش المســلمين ثلاثــة آلاف قال وقيل: كان المسلمون ألفاً. هكذا بصيغة التمريض[٤].

قلت: ولعل القائل بذلك ذهب إلى ما ورد في حديث جابر حيث قال: في سياق الحديث الذي فيه القصة التي أضاف[٥] فيها جابر النبي ﷺ على عناق وصاع من شعير ... وجاء الرسول ﷺ بأهل الخندق كلــهم إلى أن قال ... وهم ألف[٦]. ولا يجزم بهذا أن عدد المسلمين كانوا ألفــاً على ضوء هذا، وإنما هذا العدد هو الذي كان موجوداً مع رسول الله ﷺ في ذلك الوقت في مأدبة جابر - ولعل ... أكثرهم كان قد استأذن منه

---

(١) المواهب اللدنية ٢/١١٠.

(٢) جوامع السيرة ١٨٧.

(٣) حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري - مؤرخ فقيه- توفي بمكة في حدود ســنة ٩٦٦هـــ، معجم المؤلفين ٤/٤٧.

(٤) تاريخ الخميس ١/٤٨٠.

(٥) مادة ضيف تأتي لعدة معاني وهي هنا بمعنى الإكرام، انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/١٠٨-١٠٩.

(٦) صحيح البخاري ٥/٤٤، وفتح الباري ٧/٣٩٦.

ﷺ لأنهم كانوا يتناوبون في الحفر كما هو معلوم. أما ابن القيم فقد قال: إنهم كانوا ثلاثة آلاف ثم عقب قائلاً:

وقال ابن إسحاق: خرج في سبعمائة قال: وهذا غلط من خروجه يوم أحد[١].

وقال القسطلاني وكانوا ثلاثة آلاف ثم قال: قال الشافعي ووهم من قال كانوا سبعمائة[٢].

أما بالنسبة للرأي الثاني: فلم يشر أحد إليه وهو الذي ارتضاه ابن حزم ورفض ما عداه[٣] وإذا فلعل الأولى الرأي القائل بأنهم كانوا ثلاثة آلاف لكثرة القائلين بذلك والله أعلم.

قال ابن سعد:

ولما تم حفر الخندق رفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام وخرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثمان ليال مضين[٤] من ذي القعدة وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة وكان يحمل لواء الأنصار سعد بن عبادة

---

(١) زاد المعاد ٢٧١/٣، وبنفس هذا الرد قال المقريزي في الإمتاع ٢٦٦/١.

(٢) المواهب اللدنية ١١١/١.

(٣) جوامع السيرة ١٨٧.

(٤) الطبقات الكبرى ٦٧/٢، مع أن المقريزي قال أن رسول الله ﷺ عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذي القعدة وهو في حد ذاته اتفاق مع ابن سعد . انظر الامتاع ٢١٦/١.

وكان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم[١] في مائتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة.

وكان عباد بن بشر[٢] على حرس قبته ﷺ مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة[٣]. قال ابن القيم: وهو الذي كان على حرسه وقد حرسه الزبير بن العوام أيضاً يوم الخندق قال ابن سيد الناس[٤]: وقال ابن سعد في باب حراس النبي ﷺ:

حرسه يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ ويوم أحد محمد بن مسلمة ويوم الخندق الزبير بن العوام[٥].

---

(١) سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي يكنى أبا سعد شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم جسر أبي عبيد سنة أربع عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل استشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة . الاستيعاب ١٩٨/٢، وأسد الغابة ٣٣٢/٢ .

(٢) عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي ثم الأشهلي يكنى - أبا بشر - وقيل أبو الربيع - أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير قبل إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان ممن قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ والمسلمين. قالت عائشة - رضي الله عنها- ثلاثة من الأنصار لم يكن يعتد عليهم فضلاً كلهم من بني عبد الأشهل سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر. انظر: الاستيعاب ٣٥٠/٢، وأسد الغابة ١٠٠/٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٦٧/٢.

(٤) عيون الأثر ٥٨/٢.

(٥) زاد المعاد ١٢٧/١.

وعندما استقر ﷺ في معسكره المختار حسب الخطة العسكرية الناجحة نظم جنود المسلمين ووزعهم فبعضهم للحراسة على الخندق ومنافذه وبعضهم على قبته لأنها كانت مستهدفة من الأعداء.

وكان ﷺ يختلف بنفسه إلى ثلمة[1] في الخندق يحرسها وكان الوقت شتاء شديد البرودة وقد روى البزار في ذلك حديثاً وفيه قال:

حدثنا عبد الله بن شبيب[2] ثنا إبراهيم بن المنذر[3] ثنا إسماعيل بن داود[4] ثنا مالك ابن أنس عن يحيى بن سعيد[5] عن عمرة[6] عن

---

(١) الثلمة والثغرة بمعنى واحد وهي الفتحة. النهاية في غريب الحديث ٢١٣/١.

(٢) عبد الله بن شبيب أبو سعيد الربعي أخباري علامة لكنه واه قال أبو أحمد الحاكم ذاهب الحديث قال الذهبي يروي عن أصحاب مالك وبالغ - فضلك الرازي- فقال يحل ضرب عنقه ، وقال عبد الرحمن بن خراش يسرق الحديث ، قال ابن حبان يقلب الأحاديث ويسرقها. الميزان ٤٣٨/٢.

(٣) إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي الحزامي - صدوق - تكلم فيه أحمد لأجل القرآن من العاشرة مات سنة ست وثلاثين ومائتين (خ ت س ق) التقريب ٢٣.

(٤) إسماعيل بن داود بن عبد الله بن مخراق المخراقي روى عن مالك بن أنس وغيره قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول هو ضعيف الحديث جداً وقال في موضع آخر سمعت أبي يقول هو منكر الحديث. الجرح والتعديل ١٦٧/٢-٢٠١.

(٥) يحي بن سعيد بن قيس الأنصاري ثقة (ع) التقريب ٣٦٧.

(٦) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية أكثرت عن عائشة - ثقة- من الثالثة ماتت قبل المائة ويقال بعدها روى لها (ع) التقريب ٤٧١.

عائشة قالت:

كنت مع رسول الله ﷺ وهو بالخندق فكان رسول الله ﷺ يتعاهد ثغرة من الجبل يخاف منها فيأتي فيضطجع في حجري ثم يقوم فيتسمع فسمع حسن إنسان عليه الحديد فانسل[1] في الجبل فقال رسول الله ﷺ من هذا؟.

فقال أنا سعد جئتك لتأمرني بأمرك فأمره النبي ﷺ أن يثبت في تلك الثغرة.

قالت عائشة: فنام رسول الله في حجري حتى سمعت غطيطه[2] فقالت عائشة لا أنساها لسعد[3].

قال الهيثمي قلت: في الصحيح طرف منه ثم قال: رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف[4].

أما البزار فقال: لا نعلم رواه إلا عائشة بهذا الإسناد.

وقد روى البخاري ما يقويه ولكن بغير تصريح بذكر الخندق[5]

---

(١) أنسل أسرع خفية. القاموس المحيط ٥٧/٤ قلت لعله (ينسل).

(٢) غط النائم إذا سمع له صوت من الفم. القاموس المحيط ٣٧٦/٢.

(٣) كشف الأستار ٣٣٣/٢.

(٤) مجمع الزوائد ١٣٥/٦.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٢١٩/١٣ كتاب التمني وهو عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عائشة ... .

كما أورده الترمذي في مناقب سعد بن أبي وقاص[١] بيد أنه لم يذكر أن ذلك كان في الخندق. لذلك قال ابن العربي.

وكانت عائشة مع النبي ﷺ يوم الخندق وذكرت أن رسول الله ﷺ كان يتعاهد ثغرة من الجبل يحافظ عليها ثم يزلفه[٢] البرد ذلك اليوم فيأتي فيضطجع في حجري ثم يقوم فسمعت حس رجل عليه حديد وقد أسند في الجبل فقال رسول الله ﷺ من هذا؟ ثم ساق الحديث بمثل ما جاء عن البزار إلا أنه صرح بأنه سعد بن أبي وقاص[٣].

وقد جاءت الرواية التي عند البخاري والتي عند الترمذي في المناقب مفسرة لما كان مبهماً عند البزار وهو سعد لأن السعود في صحابة رسول الله ﷺ كثير فتبين بالروايتين أنه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-.

وحديث البزار وإن كان ضعيفاً إلا أن ما جاء عند البخاري والترمذي يقويه والحديث يدل بوضوح على:

الشدة التي عاناها الرسول ﷺ، وأصحابه في هذه الغزوة وأن الخطر الذي أحدق بهم كان كبيراً حتى أنه ﷺ كان يتعاهد تلك الثغرة بنفسه

---

(١) تحفة الأحوذي ١٠/٢٥٦-٢٥٧.

(٢) أزلفه يزلفه قرّبه والزلفة الطائفة من أول الليل والجمع زلف. المختار ٢٧٣.

(٣) أحكام القرآن ٣/١٥١١.

يخاف على المسلمين منها وأن القائد عليه ما على جنوده من حراسة ومرابطة؛ بل إن القائد هو المثل الأعلى لجنوده والرسول ﷺ كان خير قائد.

قال المقريزي:

قالت أم سلمة - رضي الله عنها-: شهدت معه مشاهد فيها قتال وخوف المريسيع وخيبر وكنا بالحديبية وفي الفتح وحنين لم يكن من ذلك أتعب لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق، وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة[1]، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري فالمدينة تحرس حتى الصباح نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفاً. حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً.

قال وكان رسول الله ﷺ يختلف إلى ثلمة في الخندق يحرسها فإذا آذاه البرد دخل قبته فأدفأته عائشة - رضي الله عنها- في حضنها[2] فإذا دفئ خرج إلى تلك الثلمة يحرسها ويقول ما أخشى على الناس إلا منها.

---

(١) الحرج : أضيق الضيق. النهاية في غريب الحديث ١/٣٦١.

(٢) الحضن: مادون الإبط إلى الكشح وحضن الطائر بيضه إذا ضمه إلى نفسه. مختار الصحاح ١٤٢.

فبينا هو في حضن عائشة قد دفئ وهو يقول ليت رجـــلاً صـــالحاً يحرسني الليلة فجاء سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه- فقال عليـــك بهذه الثلمة فاحرسها ونام.

وقام ﷺ في قبته يصلي ثم يخرج فقال هذه خيل المشركين تطيـــف بالخندق ثم نادى يا عباد بن بشر قال لبيك قال معك أحد؟ قال نعم أنـــا في نفر حول قبتك.

فبعثه يطيف بالخندق وأعلمه بخيل تطيف بهم ثم قال:

اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم وأغلبهم لا يغلبـــهم غـــيرك أ.هـــ. كلام المقريزي[1].

---

(١) إمتاع الإسماع ١/ ٢٣٠، الروض الأنف ٦/٢٧٦.

الفصل الثاني

تواطؤ اليهود مع المشركين وعزمهم على ضرب المسلمين من الخلف

الفصل الثاني: تواطؤ اليهود مع المشركين

وعزمهم على ضرب المسلمين من الخلف

لقد اشتد البلاء على المسلمين في هذه الغزوة بالذات؛ لأن قريشاً جاءت بحلفائها كما جاءت غطفان بكل قوادها وحلفائها مستهدفين استئصال الإسلام والمسلمين وفي أثناء الاستعداد لهذه الجموع الزاحفة جاء عدو الله حيي بن أخطب وهو أحد الأعضاء الذين حزبوا الأحزاب جاء إلى كعب بن أسد رئيس القبيلة الباقية من اليهود وهي قبيلة بني قريظة وجادله على نقض العهد وفتله في الذروة والغارب حتى وافق على ذلك بشروط تقبلها عدو الله حيي بن أخطب.

وبنو قريظة كما هو معروف كانوا يسكنون في العوالي أي في الجنوب الشرقي من المدينة على وادي مهزور[1] إذن فهم يعتبرون خلف المسلمين ويكونون أخطر على هذه الحال لأن الضربة من الوراء تؤثر أكثر حيث أن المسلمين يستعدون ومستحفزون لأعدائهم الذين أمامهم ولكن الله نصر المسلمين وخذل أعداءه وأعداءهم وقد وصف الله سبحانه

---

(١) مهزور وقيل مهزوز واد بالمدينة كان يسمى وادي قريظة كان يسيل بماء المطر يهبط من مفرق حرة واقم ثم يسيل ويصب في وادي بطحان. معجم البلدان ٢٣٤/٥.

وتعالى ذلك البلاء وتلك الشدة التي أتت على المسلمين لم يأت عليهم مثلها حيث قال سبحانه:

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾[1].

وقال تعالى مبيناً مظاهرة[2] وموافقة اليهود (بني قريظة) للأحزاب:

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ[3] وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ۞ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾[4].

أما الجهد ومشقة العيش اللتان كان يعانيهما المسلمون وخاصة في هذه الغزوة فقد بينتها الأحاديث الصحيحة وغيرها.

وسأورد ما يبين ذلك باختصار فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٩ - ١٠.

(٢) أي عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ﷺ . تفسير القرآن العظيم ٤٧٨/٣.

(٣) صياصيهم أي حصونهم والأصل في الصياصي هي قرون البقر ومنه قيل للحصون (الصياصي) . النهاية في غريب الحديث ٦٧/٣.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٥ - ٢٦.

معمر المقعد عن عبد الوارث [١] عن عبد العزيز [٢] عن أنس رضي الله عنه وفيه قال: يؤتون بملئ كفي من الشعير فيصنع لهم باهالة سنخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن ... الخ [٣].

كما روى أيضاً رحمه الله حديثاً آخر قال:

حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه [٤] قال أتيت جابراً رضي الله عنه فقال إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة ... إلى أن قال: ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ... الحديث [٥].

وقد ورد هذا الحديث من وجه آخر عن سعيد بن مينا قال سمعت جابراً رضي الله عنه قال : (لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً ... الخ) الحديث [٦].

وكان ﷺ وأصحابه يعتمدون في أكلهم وشربهم على التمر والماء (الأسودين) يتضح ذلك باستعراض سنته ﷺ وسيرته في مأكله ومشربه.

---

(١) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري مولاهم أبو عبيدة التنوزي البصري ثقة ثبت وقد تقدم.

(٢) عبد العزيز هو بن صهيب البناني البصري - ثقة وقد تقدم- .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ٣٩٣/٧.

(٤) تقدم رجال السند في ص ٩٧.

(٥) تقدم في ص ١٥٥.

(٦) صحيح البخاري مع فتح الباري ٣٦٥/٧- ٣٦٦.

فقد روى ابن أبي شيبة عن عروة مرسلاً[١] عن النبي ﷺ أنه صاف المشركين يوم الخندق وكان يوماً شديداً لم يلق المسلمون مثله قط قال ورسوله الله ﷺ جالس وأبو بكر معه جالس وذلك زمان طلع النخل وكانوا يفرحون به فرحاً شديداً لأن عيشهم فيه فرفع أبو بكر رأسه فبصر بطلعة وكانت أول طلعة رؤيت فقال هكذا بيده طلعة يارسول الله من الفرح فنظر رسول الله ﷺ وقال اللهم لا تنزع منا صالح ما أعطيتنا أو صالحاً أعطيتنا[٢] والأثر ضعيف حيث رواه عروة مرسلاً.

أما الآثار الدالة على نقض بني قريظة العهد فهي كثيرة حسبي أن أورد بعضها مشيراً إلى الباقي:

قال البخاري رحمه الله:

حدثنا أحمد بن محمد[٣] أنبأنا عبد الله[٤] أخبرنا هشام بن عروة[٥]

---

(١) المرسل: اتفق علماء الطوائف على أنه قول التابعي الكبير قال رسول الله ﷺ كذا أو فعله يسمى مرسلاً. تدريب الراوي ١/١٩٥.

(٢) كنز العمال ١٠/٤٥٥.

(٣) أحمد بن محمد بن موسى أبو العباس السمسار المعروف بمردويه - ثقة حافظ- من العاشرة مات سنة خمس وثلاثين ومائتين . روى له (خ ت س). التقريب ١٦.

(٤) عبد الله المبارك المروزي - ثقة ثبت - من الثامنة مات سنة أحدى وثمانين ومائة روى له (ع). التقريب ٨٧.

(٥) هشام بن عروة بن الزبير - ثقة فقيه ربما دلس من الخامسة مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة . روى له (ع) . التقريب ٣٦٤.

عن أبيه عن عبد الله بن الزبير[١] قال كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر ابن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف قال أو هل رأيتني يابني قلت نعم قال كان رسول الله ﷺ قال من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال فداك أبي وأمي[٢].

وقال أيضاً:

حدثنا أبو نعيم[٣] حدثنا سفيان[٤] عن محمد بن المنكدر[٥] عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :من يأتيني بخبر القوم قال الزبير: أنا فقال

---

(١) هو أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين ولي الخلافة تسع سنين وقتل في سنة ثلاث وسبعين في ذي الحجة. روى له الجماعة. انظر: الاستيعاب ٣/٣٩، والتقريب ١٧٣.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٧/٨٠ كتاب فضائل الصحابة.

(٣) هو الفضل بن دكين الكوفي – ثقة ثبت – من التاسعة مات سنة ٢١٨- ٢١٩. وهو من كبار شيوخ البخاري. روى له (ع) . التقريب ٢٧٥.

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي – ثقة حافظ – فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة. مات سنة ١٦١هـ. روى له الجماعة. التقريب ١٢٨.

(٥) محمد بن المنكدر عبد الله بن الهدير بالتصغير المدني – ثقة فاضل – من الثالثة مات ١٣٠. روى له (ع) . التقريب ٣٢٠ .

النبي ﷺ: إن لكل نبي حوارياً وحواراي الزبير[١].

وقال رحمه الله :

حدثنا صدقة[٢] أخبرنا ابن عيينة[٣] حدثنا بن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله – رضي الله عنه– قال ندب[٤] رسول الله ﷺ الناس قال صدقة أظنه يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندب الناس فانتدب الزبير فقال النبي ﷺ أن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير بن العوام[٥] .

قال الحميدي وقال سفيان زاد هشام بن عروة وابن عمي[٦]. كما أخرجه مسلم[٧]، وأحمد[٨]، والترمذي[٩]، وابن ماجه[١٠].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ٥٢/٦ كتاب الجهاد ومسند الحميدي ٥١٦/٢.

(٢) صدقة بن الفضل أبو الفضل المروزي – ثقة – من العاشرة مات سنة ثلاث أو ست أو عشرين ومائتين روى له (خ). التقريب ١٥٢.

(٣) سفيان بن عينية أبو محمد الكوفي ثم المكي – ثقة حافظ – فقيه إمام حجة من رؤوس الطبقة الثامنة وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة وله أحدى وتسعون سنة روى له (ع). التقريب ١٢٨.

(٤) ندبه إلى الأمر كنصره إذا دعاه وحثه ووجهه . القاموس ١٣١/١.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري ٥٣/٦ كتاب الجهاد.

(٦) مسند الحميدي ٥١٦/٢.

(٧) صحيح مسلم ١٨٧٩/٤ كتاب فضائل الصحابة.

(٨) مسند الإمام أحمد ٣٠٧/٣.

(٩) سنن الترمذي ٣٠٩/٥ كتاب المناقب.

(١٠) سنن ابن ماجة ٤٥/١.

وقد أورده البخاري كما سبق من عدة طرق منها طريق أبي العباس مردويه والفضل بن دكين وصدقة ومحمد بن كثير والحميدي وقد رواه الحميدي عن ابن عيينة بالجزم (يوم الخندق) و لم يشك كما ظن صدقة ومن طريق علي بن عبد الله[1] قال قلت لسفيان: فإن الثوري يقول: (يوم بني قريظة) فقال كذا حفظته منه كما أنك جالس (يوم الخندق) قال سفيان هو يوم واحد وتبسم سفيان[2].

وقال البيهقي[3] رحمه الله:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم[4] الدرابردي بمرو قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي[5]، حدثنا أبو

---

(١) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم أبو الحسن بن المديني البصري – ثقة – إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله حتى قال البخاري ما استصغرت نفسي إلا عنده وقال فيه شيخه بن عينية كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلمه مني وقال النسائي كأن الله خلقه للحديث. من العاشرة مات سنة ٢٣٤. روى له (خ د ت س فق). التقريب ٢٤٧

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٢٣٩/١٣.

(٣) دلائل النبوة ٤٥١/٣.

(٤) أبو بكر محمد بن أحمد لم أقف له على ترجمة.

(٥) أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر أبو العباس البرتي القاضي ولي قضاء بغداد بعد وفاة أبي هاشم الرفاعي وكان ثقة ثبتاً حجة. تاريخ بغداد ٦١/٥.

حذيفة(١) حدثنا عكرمة بن عمار(٢) عن محمد بن عبيد(٣) أبي قدامة الحنفي عن عبد العزيز(٤) ابن أخي حذيفة قال ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه:

أما والله لو كنا شهدنا ذلك لفعلنا وفعلنا فقال حذيفة: لا تمنوا ذلك فلقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً.

وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا اصبعه ... الخ الحديث(٥).

وقد أشار ابن كثير إلى هذه الرواية فقال:

---

(١) أبو حذيفة هو موسى بن مسعود النهدي البصري صدوق سيء الحفظ يصحف من صغار التاسعة مات سنة ٢٢٧ أو بعدها وقد جاوز التسعين وحديثه عند البخاري في المتابعات (خ د ت ق). التقريب ٣٥٢.

(٢) عكرمة بن عمار العجلي أبو عمار اليمامي أصله من البصرة صدوق يغلط وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب ولم يكن له كتاب. من الخامسة مات قبل الستين ومائة (خت س ق). التقريب ٢٤٢.

(٣) كذا عند البيهقي وفي التقريب هو محمد بن عبد الله بن أبي قدامة الحنفي ويقال أبو قدامة مقبول (د). التقريب ٣٠٦.

(٤) عبد العزيز أخو حذيفة ويقال ابن أخيه وثقه ابن حبان من الثانية وذكره بعضهم في الصحابة (د) . التقريب ٢١٦.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٤٥١/٣.

وقد أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز بن أخي حذيفة به[١]...

وقال السيوطي:

أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طرق عن حذيفة بنفس اللفظ[٢]. كما أورده الطبري عن ابن حميد عن فتى من أهل الكوفة و لم يذكر فيه بني قريظة[٣]. ولكنه رحمه الله أورد حديثاً آخر قال فيه:

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد ابن إسحاق عن يزيد بن رومان وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا[٤] وفيه:

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٧١/٣، البداية والنهاية ١١٤/٤.

(٢) الدر المنثور ١٨٤/٥، وانظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ٤٣٣.

(٣) جامع البيان ١٢٧/٢١.

(٤) السند فيه ابن حميد وسلمة. الأول ضعيف والثاني صدوق كثير الخطأ أما ابن إسحاق فهو وإن كان صدوقاً يدلس إلا أنه إمام في المغازي. وقد تقدم السند في ص ٤٧ ما عدا ابن حميد وسلمة.

وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسعد القرظي صاحب عقد بني قريظة(١)، وعهدهم وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه عاقده على ذلك وعاهده فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي ويحك(٢) يا كعب افتح لي قال ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً، قال: ويحك افتح أكلمك. قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك(٣) أن آكل معك منها فاحفظ(٤) الرجل ففتح له.

فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر ببحر طام(٥) جئتك بقريش على قادها وسادها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادها وسادها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد. قد عاهدوني

---

(١) أي أنه كان رئيسهم وسيدهم.

(٢) ويح: كلمة ترحّم وتوجّع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وقد يقال بمعنى المدح والتعجب وهي منصوبة على المصدر . النهاية ٢٣٥/٥.

(٣) الجشيشة: طعام يصنع من الجشيش وهو البر يطحن غليظاً ثم تجعل في القدور ويلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ. النهاية في غريب الحديث ٢٧٣/١.

(٤) احفظه: أغضبه.

(٥) طام: مرتفع ويريد كثرة الرجال.

وعاقدوني على أن لا يبرحوا[١] حتى نستأصل محمداً ومن معه قال فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام[٢] قد هراق ماؤه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءاً فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب[٣] حتى سمع له على أن أعطاه عهداً (من الله) وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان و لم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ [٤].

وقد أرسل النبي ﷺ عيونه متحرياً عن نقض اليهود للعهد الذي أبرموه معه ﷺ قال ابن إسحاق:

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بني الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير

(١) على أن لا يتركوا أو يغادروا المكان.

(٢) الجهام السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.

(٣) هذا مثل وأصله في البعير يستعصي عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك فيجد لذة فيأنس عند ذلك.

(٤) جامع البيان ٢١/١٢٩- ١٣٠.

أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً[١] أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. قال فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم (فيما)[٢] نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد ابن معاذ[٣] وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى[٤] من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله ﷺ الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين[٥].

---

(١) الحنوا لي لحنا: أي قولوا لي قولاً أفهمه ويخفى على غيري. القاموس ٣٦٦/٤.

(٢) قوله (فيما نالو) وعند الطبري ونالوا.

(٣) فشاتمهم سعد بن معاذ (عند الطبري فشاتمهم سعد بن عبادة) وكذا عند ابن كثير في البداية ١٠٤/٤.

(٤) أربى مأخوذ من الربا وهو لغة الزيادة.

(٥) السيرة النبوية ٢٢٠/٢- ٢٢١- ٢٢٢ وقد ذكرت القصة في:

أ- طبقات ابن سعد باقتضاب ٦٧/٢.

ب- ابن كثير في البداية وفيها زيادة سأوردها فيما بعد.

جـ- جامع البيان ١٢٩/٢١- ١٣١، وتاريخ الأمم الملوك ٤٦/٣، ٤٧.

د- السهيلي في الروض الأنف ٢٦٨/٣.

و- عيون الأثر ٥٩/٣.

وقد أورد ابن كثير هذه القصة وفيها زيادة حسنة فقال بعد أن ذكر محاورة حيي بن أخطب لكعب:

وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي[(١)] فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة.

ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره وقال: (إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوّه) ثم قال[(٢)]: قال ابن إسحاق: فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمع له - يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ وفي محاربته مع الأحزاب ثم ساق الحديث... إلى أن قال: قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيياً أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا و لم يناجزوا محمداً.

قالوا وتكون الرهائن تسعين رجلاً[(٣)] من أشرافهم فنازلهم[(٤)] حيي

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١٠٣/٤ وقال ابن الأثير في أسد الغابة ١٠٧/٤ عمرو بن سعد من بني قريظة نزل من حصن بني قريظة في الليلة التي صبيحتها فتح حصنهم فبات في مسجد رسول الله ﷺ حتى أصبح فلما أصبح لم يدر أين هو حتى الساعة.

(٢) أي ابن كثير.

(٣) هكذا عند البيهقي في الدلائل ٤٤٦/٣ وعند ابن كثير في البداية ١٠٣/٤ وعند المقريزي في الإمتاع ٢٣٧/١ أهم طلبوا سبعين رجلاً منهم.

(٤) أي التزم لهم بذلك.

على ذلك فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سعنة[١] أسد وأسيد وثعلبة فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير[٢]. قال: انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس[٣].

قال[٤] فخرجوا حتى أتوهم قال موسى ابن عقبة:

فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف فقالوا الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم يريدون - بني نضير - ونالوا من رسول الله ﷺ فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ: والله ما جئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشاتمة.

---

(١) هكذا بالنون وعند البيهقي في الدلائل ٣/٤٠١ وعند المقريزي في الإمتاع ١/٢٤٤ بالمثناة التحتانية وهم من اليهود إلا أن ابن هشام قال إنهم ليسو من بني قريظة وإنما هم من بني هدل ونسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم. السيرة النبوية ٢/٢٣٨.

(٢) خوات ابن جبير الأنصاري الأوسي يكنى أبا عبد الله وقيل أبو صالح وكان أحد فرسان رسول الله ﷺ. انظر: أسد الغابة ٢/١٢٥.

(٣) البداية والنهاية ٤/١٠٣- ١٠٤، والسيرة النبوية ٢/٢٢٢.

(٤) أي ابن كثير في البداية والنهاية ٤/١٠٤.

ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمرٌ منه فقالوا - لعنهم الله - أكلت ايرأبيك فقال غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن.

وقال ابن إسحاق[1]:

نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكارجلاً فيه حدةٌ[2] وقد تقدم كلام ابن إسحاق.

تنبيه:

ذكر ابن إسحاق[3] أن الذي كان فيه حدة من السعدين رضي الله عنهما هو سعد بن معاذ. أما الطبري[4] فقد بين في كتابه أنه ابن عبادة وتبعه البيهقي[5] ونقل ابن سيد الناس عن ابن عائذ أنه سعد بن عبادة[6].

---

(١) أي ابن كثير في البداية والنهاية ١٠٤/٤، والسيرة النبوية ٢٢٢/٢.

(٢) المصدر السابق ١٠٣/٤- ١٠٤ ، والحدة: كالنشاط والسرعة في الأمور والمضاء فيها . انظر : النهاية لابن الأثير ٣٥٢.

(٣) السيرة النبوية ٢٢٢/٢.

(٤) جامع البيان ١٣١/٢١، وتاريخ الأمم والملوك ٤٧/٣.

(٥) دلائل النبوة ٤٢٩/٣.

(٦) عيون الأثر ٥٩/٢.

أما ابن كثير فقد اكتفى بالنقل عن ابن إسحاق وموسى بن عقبة ولم يرجح[1].

أما صاحب السيرة الحلبية فقال:

فشتمهم سعد بن معاذ وهم - حلفاؤه - أي وقيل سعد بن عبادة أي وكان فيه حدة فشاتموه قال ولا مانع من وجود الأمرين أ. هـ.[2]

وقد تابع في ذلك ابن خلدون بدليل أنهم أحلافه ومواليه[3].

أقول وهذا الذي ذكره صاحب السيرة الحلبية هو أوجه حيث أنه ذكر أنه شتمهم لأنهم حلفاؤه وإذا كانت هناك حدة فلم تذكر في ترجمتهما وإنما قد يكون المشهور بالحدة هو ابن عبادة رضي الله عنه؛ لأنه ذكر أنه كانت فيه غيرة شديدة - وهي مذكورة في كتب التاريخ والسنة- وقد يغضب ويغار عندما يسمع سب الرسول ﷺ فيشاتمهم ومن هنا قد تأتي الحدة المذكورة والأرجح أنه سعد بن معاذ رضي الله عنه للتعليل الذي ذكره ابن خلدون وتبعه الحلبي.

---

(١) البداية والنهاية ١٠٤/٤.

(٢) السيرة الحلبية ٦٣٨/٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٧٧٣/٢.

وقال ابن كثير[١]:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ۞ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾[٢].

قال قد تقدم أن بني قريظة لما قدم جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة. نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد وكان ذلك بسفارة حيي بن أخطب النضري لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾. قال يعني بني قريظة من اليهود من بعض أسباط بني إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديماً طمعاً في إتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة الإنجيل.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[٣].

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٧٧- ٤٧٨.

(٢) سورة الأحزاب الآيتين ٢٥ - ٢٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٨٩.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ قال هو الخوف لأنهم كانوا مالؤا المشركين على حرب رسول الله ﷺ وليس من يعلم كمن لا يعلم واخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزواهم - في الدنيا - ويسودوا فيها- فانعكس عليهم الحال وانقلب إليهم القتال وانشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون فكما راموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ... الخ.

ثم قال في ختام ذلك:

وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة. ولهذا قال تعالى: ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ الآية[١].

فالذين قتلوا هم المقاتلة والأسراء هم الأصاغر والنساء[٢]. أ.هـ.

وأخيراً أود أن أشير إلى أنه قد مر بنا في الأحاديث الصحيحة أن الذي ذهب لكشف خبر بني قريظة هو الزبير بن العوام.

كما أنه مر أن الذي قام بنفس المهمة السعدان وابن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم وإزاء هذا الأشكال قال الحافظ[٣]:

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٧٧ - ٤٧٨.

(٣) هو ابن حجر.

قد استشكل ذكر الزبير في هذه القصة فقال شيخنا ابن الملقن[١] إعلم أنه وقع هنا أن الزبير هو الذي ذهب لكشف خبر بني قريظة والمشهور كما قاله شيخنا أبو الفتح اليعمري[٢]. أن الذي توجه ليأتي بخبر القوم حذيفة كما روينا من طريق ابن إسحاق وغيره. قلت[٣]. وهذا الحصر مردود فإن القصة التي ذهب لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها.

فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشاً على محاربة المسلمين.

وقصة حذيفة كانت لما أشتد الحصار على المسلمين بالخندق وتمالأت عليهم الطوائف، ثم وقع بين الأحزاب الاختلاف والقصة في ذلك مشهورة[٤]. وستأتي إن شاء الله.

---

(١) ابن الملقن هو عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الـوادياشي الأندلسي التكروري الأصل المصري الشافعي (أبو حفص فقيه أصولي محدث حافظ مؤرخ مشارك في بعض العلوم ولد بالقاهرة ٧٢٣هـ. وتوفي بها عام ٨٠٤هـ. انظر: الضوء اللامع ٦/١٠٠، معجم المؤلفين ٧/٢٩٧.

(٢) هو ابن سيد الناس وقد تقدم في ص ٥٠.

(٣) أي الحافظ ابن حجر.

(٤) فتح الباري ٧/٤٠٦- ٤٠٧.

وهذا الخلاف الذي ساقه الحافظ قد أغفل ما ذكره أصحاب المغازي والسير وقد ذكروا أن الوفد الذي تم إرساله هو السعدان ومن معهما.

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال:

بأن الزبير بن العوام رضي الله عنه ذهب للاستكشاف العام والملاحظة، وهل عند بني قريظة استعداد ظاهر يدل على نقضهم العهد أو لا؟، وقد عاد يقول بأنهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم وقد جمعوا ماشيتهم. أما السعدان ومن معهما فكان استكشافهم خاصاً حيث دار الحوار بينهم وبين اليهود وظهر للعيان نقضهم للعهد وخبثهم.

وقد ذكر المقريزي[1]:

أن الرسول ﷺ بعث خوات بن جبير لينظر غرة لنبي قريظة فكمن لهم فحمله رجل منهم وقد أخذه النوم فأمكنه الله من الرجل وقتله ولحق بالنبي ﷺ فأخبره.

وفيه غرابة . ووجه الغرابة - أن اليهود وبعد نقضهم العهد ووضوح خبثهم والوقت ليس هزل بل هو وقت خوف وشدة على الجانبين وكلاهما يتمنى أن يقتل من الجانب الآخر من ظفر به فكيف

(١) إمتاع الأسماع ١/٢٢٧- ٢٢٨.

يتسنى فعل هذا وكيف يقدم على حمل عدوه ويأمنه وهو أعلى منه والله أعلم. أما قصة حذيفة فهي واضحة لورودها في الصحيح وهي أنها كانت في اللحظات الأخيرة من الشدة والبلاء.

وبعدها نصر الله دينه ورسوله وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده حيث عاد رضي الله عنه يبشر الرسول ﷺ بانصراف الأحزاب وأنه رأي أبا سفيان قد ركب بعيره وهو معقول[١].

(١) فقه السيرة ٣٣٣.

الفصل الثالث

تخذيل المنافقين للصف الإسلامي

الفصل الثالث

في تخذيل المنافقين للصف الإسلامي

موقف المنافقين وخذلانهم للمسلمين في الأوقات الحرجة أوقات الضيق والمواقف الصعبة بينها الله سبحانه وتعالى أولاً بأول ونحن عندما نستعرض القرآن الكريم نجد وفي أول سورة منه وهي البقرة[1] بين لنا الله سبحانه وتعالى مبدأهم وأنهم إنما يخادعون الله بأعمالهم وما شعروا أنهم لا يخدعون إلا أنفسهم بين الله سبحانه هذا الموقف بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[2] ، وبين سبحانه وتعالى أن في قلوبهم مرضاً وزادهم الله مرضاً فتأصل فيهم المرض وذلك بعد أن وضح لهم الطريق على لسان محمد ﷺ قال ابن كثير[3]: وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه، بين الناس من كان يظهر الكفر وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله

---

(١) قيل إنها أول سورة نزلت بالمدينة ما عدا ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ فقد كانت آخر ما نزل كما قيل . انظر: تفسير القرآن العظيم ١/٣٥ .

(٢) سورة البقرة الآتين ٧ ، ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٤٧.

ﷺ إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، قال فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً؛ لأنه لم يكن للمسلمين شوكة تخاف، أقول: إن الحسد كان من مقومات نفاقهم - فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز دينه قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأساً في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الإسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه فأظهر الدخول في الإسلام ودخل معه طوائف ممن هم على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب أ.هـ.

قال(١): وقد نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع بذلك فساد عريض ولذلك قال سبحانه لنبيه موضحاً له ما ينطوون عليه من الكذب. ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾(٢) .

---

(١) أي ابن كثير.

(٢) سورة المنافقين الآية١٦.

وقال ابن القيم:

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القـــرآن وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها، ومن أهلها على حذر وذكر طوائف العالم الثلاث في أول سورة البقرة المؤمنين والكفار والمنافقين فــذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشـــر آيـــة لكثرقم وعموم الابتلاء هم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله فإن بليـــة الإسلام هم شديدة جداً لأهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهـــم أعداؤه في الحقيقة يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنـــه علـــم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد ثم استطرد قائلاً فلله كم من معقـــل للإسلام قد هدموه، وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه وكم من علم له قد طمسوه ... الخ[1].

واستمر هذا الوضع الخطير حتى جاءت غزوة أحد وخرج رســـول الله ﷺ لملاقاة أعدائه حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد انخذل عنه عبـــد الله ابن أبي بن سلول بثلث الناس، وقال أطاعهم وعصاني[2] ما ندري عـــلام

---

(١) صفات المنافقين ١٦.

(٢) يشير إلى المشاورة التي دارت قبل الخروج إلى أحد وكان من رأي كبير المنـــافقين القعود في المدينة ووافق الرسول مع القائلين بالخروج فأخذ من هذا حجة وذريعة.

نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس فرجع بمن إتبعه من قومه من أهل النفـــاق، والريب هكذا قال ابن إسحاق[١] واستمر وضعهم هذا حتى جاءت هذه الغزوة - غزوة الخندق- فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم سورة الأحزاب كما قال شيخ المفسرين وابن كثير وصاحب[٢] الفتوحات الإلهية[٣] أنهـــا نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله ﷺ أما الآيات من سورة الأحزاب فقد ذكر سبحانه المنافقين في تسع آيات منها حيث قال تعـــالى بعـــد أن ذكر وامتن على عباده المؤمنين بنعمته عليهم وصرف عدوهم، وبين مجئ الأحزاب والحالة الشديدة التي عاناها المسلمون والبلاء الذي امتحنهم الله به فثبت المؤمنون وانكشف أعداء الله المنافقون فقال تعالى :

١- ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ [٤].

---

(١) السيرة النبوية ٢/٦٤.

(٢) وهو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المصري المعروف بالجمل ت ١٢٠٤هـــ. انظر: معجم المؤلفين ٤/٢٧١.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢١/١٣٣، تفسير ابن كثير ٣/٤٧٠، والفتوحـــات الإلهيـــة ٣/٤٢١.

(٤) سورة الأحزاب الآية ١٢.

٢- ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (١).

٣- ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ .

٤- ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ .

٥- ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

٦- ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

٧- ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

٨- ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ .

٩- ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢).

---

(١) سورة الأحزاب الآية ١٣.

(٢) سورة الأحزاب الآيات من ١١- ٢٠.

وسأورد ملخصاً بتفسير الآيات من تفسير ابن كثير حيث قال في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ . يقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ورسول الله ﷺ بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالاً شديداً فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم ثم قال بعد إيراد الآية الأولى - ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ...﴾ : أما المنافق فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال، وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ يعني المدينة كما جاء في الصحيح[1]: (أريت في المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهلى[2] أنها هجر فإذا هي يثرب) .

قوله ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾[3]. أي ها هنا يعنون عند النبي ﷺ في مقام المرابطة. أما ابن الجوزي[4] فقد قال: إن المنافقين قالوا ذلك لكثرة العدو

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٢٢٦/٧.

(٢) الوهل - وهل إلى الشيء بالفتح يهل بالكسر وهلا بالسكون إذا ذهب وهمه إليه النهاية ٣٣٣/٥.

(٣) سورة الأحزاب الآية ١٣.

(٤) زاد المسير ٣٥٩/٦.

قال: وهذا قول الجمهور قال: وحكى الماوردي قولين آخرين أحدهما: لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب قاله الحسن[١]، والثاني لا مقام لكم على القتال فارجعوا إلى طلب الأمان قاله الكلبي. أ.هـ[٢].

وقوله ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ قال العوفي عن ابن عباس – رضي الله عنهما- هم بنو حارثة قالوا بيوتنا نخاف عليها السراق قال ابن كثير وكذا قال غير واحد، قال وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيظي يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أي ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم ثم كذبهم الله فقال ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي ليست كما يزعمون ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي هرباً من الزحف[٣].

---

(١) هو الحسن البصري.

(٢) هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي (أبو النضر) مفسر أخباري نسابة راوية ولد بالكوفة وشهد دير الجماجم مع ابن الأشعث. وتوفي في الكوفة سنة ١٤٦. من آثاره تفسير القرآن وهو متهم بالكذب عند المحدثين روى له (ت فق) . انظر في ذلك: التقريب ٢٩٨، وانظر ترجمته في معجم المؤلفين ١٥/١٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٧٣/٣.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً ...﴾ الآيات.

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن هؤلاء الذين ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ... الآية﴾ أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعاً. وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع ... وهذا ذم لهم في غاية الذم.

ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولوا الأدبار ولا يفرون من الزحف: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً﴾ أي وأن الله تعالى سيسألهم عن ذلك العهد لابد من ذلك. ثم قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ... ﴾ الآيات[1].

---

(١) يشير إلى أن أناساً غابوا عن بدر ورأو ما أعز الله به دينه وما أعطى عباده من الفضل والكرامة قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن فساق الله إليهم ذلك حتى كان في ناحية المدينة فصنعوا ما قص الله عليكم قاله قتادة.

انظر: الدر المنثور ١٨٨/٥ قال ابن جرير وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد . جامع البيان ١٣٧/٢١.

وقال:

يخبر تعالى عن احاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شـــهود الحـــرب والقائلين لإخوانهم أي أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم ﴿ هلم إلينا ﴾ أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلـــك ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ويستمر سبحانه وتعالى يبين لنبيه صفات هؤلاء المنافقين وأنهم من جبنهم وخوفهم ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وذلك لضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم[١] .

الآثار الواردة في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قـــوله : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٢] قال: قال ذلك أناس من المنافقين قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم وقد حصرنا ههنا ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته ما وعدنا ورسوله إلا غـــرورا[٣].

والأثر على ضوء هذا السند يعتبر حسناً.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٧٣/٣.

(٢) الأحزاب الآية ١١.

(٣) جامع البيان ١٣١/٢١.

وقال رحمه الله:

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد[١] قال: قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبي ﷺ يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله ﷺ (إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله فأين هذا من هذا وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ فقال له كذبت لأخبرن رسول الله خبرك قال: فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فدعاه فقال: ما قلت؟ فقال: كذب عليّ يا رسول الله ما قلت شيئاً ما خرج هذا من فمي قط قال الله ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ قال فهذا قول الله ﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ﴾[٢] . والأثر ضعيف لضعف ابن زيد لكنه يتقوى بانضمام غيره إليه.

وقال: حدثنا ابن بشار[٣] قال ثنا محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال ثنى أبي عن أبيه قال: خط رسول الله ﷺ الخندق ... وساق الحديث إلى أن قال :

---

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ضعيف من الثامنة مات سنة اثنتين وثمانين بعد المائة. روى له الترمذي وابن ماجه. التقريب ٢٠٢.

(٢) جامع البيان ١٣٣/٢١.

(٣) هو محمد بن بشار وقد تقدم السند.

فحفرنا تحت دوبار حتى بلغنا الصرى أخرج الله من بطن الخنـــدق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا ســـلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعدل عنـــها فـــإن المعدل(١) قريب وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية(٢) فقال يـــا رسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء مـــن بطـــن الخنـــدق مروة(٣) فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجئ منها قليل ولا كـــثير فمرنا بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك.

فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق ورقينا نحن التسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضـــرب الصـــخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها(٤) يعني لابتي المدينة حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فـــتح وكبر المسلمون.

---

(١) عدل عن الطريق جار ومال. انظر: مختار الصحاح ٤١٨.

(٢) لعلها مصنوعة بها فتنسب إليها.

(٣) المروة هي الحجارة البيض البراقة توري النار أو أصل الحجارة . القـــاموس المحـــيط ٣٩٢/٤.

(٤) اللابة هي الحرة والحرة هي الأرض ذات الحجارة السود. النهاية في غريب الحديث ٢٧٤/٤.

وضربها رسول الله ﷺ الثانية فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح. ثم أخذ بيد سلمان فرقى. فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط فالتفت رسول الله ﷺ فقال:

هل رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا[١].

قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج فرأيناك تكبر فنكبر ولا نرى شيئاً غير ذلك قال:

(صدقتم ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاء لي منه قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها).

(ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاء لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهر عليها).

---

(١) جامع البيان ٢١/١٣٤.

ثم ضربت ضربتي الثالثة وبرق منها الذي رأيتم أضـاءت لي منـها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر) فاستبشر المسلمون وقالوا:

الحمد لله موعود صدق بأن وعدنا الله النصر بعد الحصر. فطبقـت الأحزاب فقال المسلمون: ﴿ ...هذا ما وعدنا الله ورسوله... ﴾. الآية[١].

وقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنـتم تحفرون الخندق من الفرق[٢]. ولا تستطيعون أن تبرزوا[٣].

وأنزل القرآن ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [٤][٥] .وهكذا انتهى هذا الحديث الطويـل مـع أني اختصرت أوله؛ بل حذفته ومداره على كثير المزني وهو ضعيف كما تقدم إلا أن الحديث يتقوى بالشواهد والمتابعات.

---

(١) سورة لأحزاب جزء من آية ١٢.

(٢) الفرق : بفتح الفاء المعجمة الموحدة والراء المهملة. الخوف. مختار الصحاح ٥٠٠.

(٣) جامع البيان ٢١/١٣٤.

(٤) سورة الأحزاب الآية ١٢.

(٥) جامع البيان ٢١/١٣٤.

وقد جاء بمعناه عند النسائي[١] إلا إن عنده في الضربة الثالثة قال (فرفعت لي مدائن الحبشة) وأخرجه أبو نعيم[٢]. كما أخرجه البيهقي[٣] بلفظ مقارب له وقد ذكره ابن كثير[٤] وقال في آخره: حديث غريب.

وقد ذكر ابن كثير عن الطبراني حديثاً يقوي الحديث السابق وهو مطابق له في المعنى مخالف له في اللفظ من طريق عبد الله بن يزيد[٥] وفيه قال:

فلما أتاها أخذ المعول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: فتحت فارس، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: فتحت الروم، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: جاء الله بحمير أعوانا وأنصاراً) الحديث[٦].

---

(١) سنن النسائي ٦/٤٣- ٤٤.

(٢) في الدلائل ٣/٤٣٢.

(٣) في دلائل النبوة ٣/٣٩٩. وفيه ذكر فتح الشام وفارس واليمن.

(٤) البداية والنهاية ٤/١٠١.

(٥) هو عبد الله المعافري أبو عبد الرحمن الحبلي بضم المهملة والموحدة - ثقة - من الثالثة مات سنة مائة بأفريقية روى له (بخ م ٤) أي البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة.

(٦) البداية والنهاية ٤/١٠٠.

قال ابن كثير: حديث غريب من هذا الوجه وقال: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي - أحد رجال السند- فيه ضعف- إلا أنه لم يرد فيه ذكر للمنافقين. ثم أورد حديثاً آخر عند الطبراني وهو عن عكرمة عن ابن عباس وفيه قال:

اذهبوا بنا إلى سلمان وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها فقال رسول الله ﷺ : دعوني فأكون أول من ضربها وقال بسم الله فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال: الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة. فقال عندها المنافقون نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم[١].

وقد سكت ابن كثير عن هذا الحديث أما الهيثمي[٢] فقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد ونعيم العنبري وهما ثقتان.

وهذه الأحاديث متقاربة المعنى ويشد بعضها بعضا.

---

(١) البداية والنهاية ١٠١/٤.

(٢) مجمع الزوائد ١٣٢/٦ وقد تقدم الحديث بكامله في مبحث: دور المنافقين في هذه الغزوة.

قال الطبري :

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال ثنى يزيد بن رومان في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ﴾[1] الآية إلى قوله تعالى ... فرارا﴾ .

يقول أوس بن قيظي ومن كان على ذلك من رأيه من قومه[2].

والسند إلى يزيد بن رومان فيه ضعف لضعف ابن حميد.

قال ابن إسحاق:

وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث يا رسول الله: إن بيوتنا عورة من العدو وذلك في ملأ من قومه أ:هـ[3].

وقال السيوطي:

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي قالا قال متعب بن قشير كان محمداً يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط.

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ١٣: ويثرب اسم للمدينة قديم فغيرها النبي ﷺ وسماها طيبة وطابة كراهية التثريب وهو اللوم والتغيير، وقيل هو اسم أرضها، وقيل سميت باسم رجل من العماليق. النهاية في غريب الحديث ٢٩٢/٥.

(٢) جامع البيان ١٣٥/٢١.

(٣) السيرة النبوية ٢٢٢/٣، تفسير ابن كثير ٤٧٣/٣، البداية والنهاية ١٠٤/٤.

وقال أوس بن قيظي في ملأ من قومه بني حارثة:

إن بيوتنا عورة وهي خارجة من المدينة آئذن لنا فنرجع إلى نسائنا وأبنائنا وذرارينا) فأنزل الله على رسوله حين فرغ منهم ما كانوا فيه من البلاء يذكر نعمته عليهم وكفايته إياهم بعد سوء الظن منهم ومقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا...﴾ الخ الآية[١]. ثم قال الطبري معقباً على ذلك عند قوله تعالى:

﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ الآية قال: يقول تعالى ذكره: ويستأذن بعضهم رسول الله ﷺ في الإذن بالانصراف عنه إلى مترله ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله ﷺ[٢].

قال الطبري رحمه الله:

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي لو دخل عليهم من نواحي المدينة ثم سئلوا الفتنة أي الشرك ﴿لَآتَوْهَا﴾[٣] يقول: لأعطوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً﴾

(١) الدر المنثور ١٨٦/٥.

(٢) جامع البيان ١٣٥/٢١.

(٣) قوله تعالى لآتوها: فيها قراءتان بالمد أعطوها وبالقصر جاءوها . انظر: جامع البيان ١٣٦/٢١- ١٣٧.

يقول: إلا أعطوها طيبة بها أنفسهم[١]...

وعند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ الآية[٢].

وقال رحمه الله:

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال ثني يزيد بن رومان في قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ﴾ الآية وهم بنو حارثة وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هما بالفشل يوم أحد ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم[٣]. مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٤].

وقال السيوطي أيضا:

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي[٥] رضي الله عنه في قوله:

---

(١) جامع البيان ٢١/١٣٦- ١٣٧.

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٥.

(٣) جامع البيان ٢١/١٣٧.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٢٢.

(٥) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير القرشي (أبو محمد) مفسر سكن الكوفة توفي سنة ١٢٧هـ. من آثاره التفسير . معجم المؤلفين ١/٢٧٦. وهو عند المحدثين صدوق يهم روى له (م والأربعة) وانظر في ذلك التقريب ٣٤.

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ قال: إلى المدينة عن قتال أبي سفيان ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾ قال جاءه رجلان من الأنصار من بني حارثة أحدهما يدعى أبا عرابة بن أوس والآخر يدعى أوس بن قيظي فقالا يارسول الله:

أن بيوتتنا عورة يعنون أنها ذليلة الحيطان وهي في أقصي المدينة ونحن نخاف السرق فائذن لنا فقال الله ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ الآية[1].

وقال الطبري رحمه الله:

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ﴾ الآية. قال: كان ناس غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة)[2].

هذا الأثر سنده حسن إلى قتادة حيث إن بشر العقدي صدوق ويزيد وسعيد ثقتان. وهكذا بين الله سبحانه وتعالى لنبيه بأن هؤلاء الذين

---

(١) الدر المنثور ١٨٨/٥.

(٢) جامع البيان ١٣٧/٢١.

يستأذنون بأنه لن ينفعهم الفرار وذلك في قوله تعـالى: ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .الآيات(١) .

وقال بالنسبة للمعوقين: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢).

أما الآثار فقد قال الطبري رحمه الله:

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله:

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ : قال هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحماً لا لتهمهم أبو سفيان وأصحابه دعوا هذا الرجل فإنه هالك. وقوله: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي لا يشهدون القتال يغيبون عنه ... الخ(٣). وسند هذا الأثر مثل سابقه.

وقال رحمه الله:

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قـال: قـال ابن زيد في قوله:

---

(١) سورة الأحزاب الآية ١٥، ١٦.

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٧.

(٣) جامع البيان ١٣٩/٢١.

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ الخ الآية قال: هذا يوم الأحزاب انصرف رجل من عند رسل الله ﷺ فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ فقال له أنت ههنا في الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلم إلى هذا فقد بلغ بك وبصاحبك والذي يحلف به لا يستقبلها[1] محمد أبداً فقال كذبت والذي يحلف به قال: وكان أخاه من أبيه وأمه أما والله لأخبرن النبي ﷺ أمرك.

قال وذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره قال فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام يخبره ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ ﴾. الخ[2].

سند هذا الأثر ضعيف لضعف ابن زيد وكون يونس - صدوق يخطئ أما ابن وهب فهو ثقة وقد ذكره السيوطي عن أبن أبي حاتم ينفس اللفظ[3].

---

(١) قال في جامع البيان ٢١ (هامش ١٣٩ قال كذا في الأصل وفي الدر المنثور للسيوطي - لا يستقي لها- وما ذكره السيوطي ليس بواضح والذي ذكره الطبري أوضح نوعاً ما ومعناه والله أعلم: أن محمداً وأصحابه مهزومون لا محالة ولا يمكن أن يستقبل هذه الجموع مرة أخرى.

(٢) جامع البيان ١٣٩/٢١.

(٣) الدر المنثور ١٨٨/٥.

الباب الخامس

وصف ما دار في غزوة الأحزاب

من مناوشات

الفصل الأول

اقتحام المشركين للخندق وتصدي المسلمين لهم

الباب الخامس

في وصف ما دار في غزوة الأحزاب من مناوشات

الفصل الأول: اقتحام المشركين للخندق وتصدي المسلمين لهم

وتحته مباحث

المبحث الأول: الحصار الذي لحق بالمسلمين

بعد أن تم حفر الخندق ووصلت الأحزاب ونقض بنو قريظة العهد المبرم مع رسول الله ﷺ ونجم النفاق وقال المؤمنون: ﴿ ... هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾[1].

ولكنهم لقتلهم وكثرة العدو وأحاطته بهم من كل مكان ثقل الأمر عليهم وأشتد البلاء حيث بين الله سبحانه وتعالى ذلك الموقف بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ الآيات[2].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٢.

(٢) سورة الأحزاب الآيتين ١٠، ١١.

وقبل أن يتوجه ﷺ إلى المعسكر وكما هي عادته ﷺ كلما أراد أن يغزو ويحارب يجعل أميراً على المدينة يقوم بشؤونها حتى يعود عليه الصلاة والسلام . وكان في هذه الغزوة قد أمّر عليه الصلاة والسلام المهاجر الصابر الأعمى: عبد الله ابن أم مكتوم[1] رضي الله عنه ثم توجه إلى معسكره وبدأ المرابطة وحاصر أعداءُ الله المسلمين وقتاً ليس بالقصير وعرف المسلمون مَنْ يتربص بهم وراء هذا الحصار فقرروا مواصلة المرابطة في مكانهم ينضحون بالنبل كل مقترب ويتحملون لأواء هذه الحراسة التي تنتظم السهل والجبل وتتسع ثغورها يوماً بعد يوم. لذلك قال ابن إسحاق:

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال. إلا إن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي.

قال ابن هشام ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيس:

قال ابن إسحاق: وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب واسم أبي وهب - جعدة - المخزوميان وضرار بن الخطاب الشاعر بن مرداس أخو بني محارب بن فهر تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم. حتى مروا

---

(١) الأعمى صحابي جليل شهد القادسية واستشهد بها وقيل رجع إلى المدينة فمات بها .
انظر ترجمته في: الإصابة ٥٢٣/٣، أسد الغابة ١٢٧/٤، المعارف لابن قتيبة ١٢٦.

بمنازل بني كنانة فقالوا تهيأوا يابني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ثم اقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله أن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. أ.هـ.[١]

وبدأ الحصار واشتدت وطأته وكره فوارس من قريش أن يقفوا حول المدينة على هذا النحو فإن فرض الحصار وترقب نتائجه ليس من شيمهم وكانوا يحاولون شتى المحاولات لتحطيم هذا الحصار وهم في كل ذلك يفشلون أمام صمود المسلمين.

أما الحصار فقد اختلف فيه على أقوال:

(١) قال ابن كثير[٢] قال ابن إسحاق:

فأقام رسول الله ﷺ مرابطاً وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرميا[٣] بالنبل. وبه قال ابن جرير الطبري[٤] وابن الأثير[٥] وابن سيد الناس[٦].

---

(١) السيرة النبوية ٢/٢٢٤.

(٢) البداية والنهاية ٤/١٠٤.

(٣) الرميا بكسر الراء والميم مشددتين وتخفيف الياء أي المراماة.

(٤) تاريخ الأمم والملوك٣/٤٧، جامع البيان ٢١/١٢٨.

(٥) الكامل لابن كثير ٢/١٢٤.

(٦) عيون الأثر ٢/٦٠.

(٢) أما ابن سعد فقد ساق في ذلك حديثاً ليبين بأن الحصار دام أربعاً وعشرين ليلة - إلا أن ظاهره الإرسال وهو من رواية ابن المسيب عن النبي ﷺ [١] وقد قال قبل ذلك أي ابن سعد وحُصر النبي ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة[٢].

والذي ذكره ابن سعد على ضوء الحديث المسند وهو أربع وعشرون ليلة هو مقارب للقائلين بأن الحصار كان شهراً. وهو قول للواقدي[٣]. لكن قوله بأن المدة كانت بضع عشرة ليلة مغاير للقول الأول.

(٣) قال الحافظ[٤]: وذكر موسى بن عقبة أن مدة الحصار كانت عشرين يوماً.

(٤) قال ابن القيم[٥]: إن الحصار دام شهراً ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين .

(٥) قال القسطلاني[٦]: وفي الروضة للنووي خمسة عشر يوماً - وهذا يقوي قول ابن سعد المتقدم بأن الحصار دام بضع عشرة ليلة.

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٧٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٦٩

(٣)انظر المواهب اللدانية ٢/١١٢

(٤) فتح الباري ٧/٣٩٣.

(٥) زاد المعاد ٣/٢٧٢.

(٦) المواهب اللدانية ٢/١١٢.

والصحيح هو ما جزم به ابن القيم بدليل الآثار الآتية . وكـذلك وجد في إشعارهم ما يدل على ذلك.

أما الآثار فهي:

قال الطبري رحمه الله:

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة[١] في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ الآية قال[٢] يعني الملائكة قال نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله ﷺ شهراً ... الخ[٣]. من حديث طويل. والأثر بهذا السند حسن لذاته إلى قتادة.

وقال ابن سعد رحمه الله:

أخبرنا عارم بن الفضل[٤] أخبرنا حماد بن زيد[٥] عن يحيى بن سعيد

---

(١) السند تقدمت تراجم رجاله.

(٢) قال القائل في الأولى والثانية (قتادة).

(٣) جامع البيان ١٢٨/٢١.

(٤) عارم بن الفضل: عارم لقب واسمه محمد بن الفضل البصري – ثقة ثبت – تغير بأخر عمره من صغار التاسعة مات سنة ثلاث أو أربع وعشرين بعد المائتين روى له (ع). انظر: التقريب ٣١٥.

(٥) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري – ثقة ثبت – فقيه قيل إنه كان ضريراً ولعله طرأ عليه لأنه صح أنه كان يكتب – من كبار الثامنة– مات سنة تسع وسبعين وقيل سبع وتسعين وقيل سنة تسع وثمانين ومائة روى له (ع). التقريب ٨٢.

قال: قال سعيد بن المسيب[١] حاصر النبي ﷺ المشركون في الخندق أربعاً وعشرين ليلة ... الحديث[٢].

والأثر رجاله ثقات إلا أنه مرسل.

أما الاشعار الدالة على ذلك فقد جاء في السيرة النبوية ما يلي:

قال ضرار بن الخطاب بن مرداس[٣] وكان أحد الفرسان الذين حاولوا اقتحام الخندق وكان أيضاً أحد الشعراء المشهورين ولا يخفى ما للشعر من تأثير على النفوس في الحروب وغيرها.

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن ابن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء الاثبات الفقهاء الكبار من كبار - الثانية - اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل وقال ابن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه. مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين روى له (ع). التقريب ١٢٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٧٣/٢.

(٣) ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي كان أبوه الخطاب رئيس بني فهر في زمانه وكان يأخذ المرباع لقومه وكان ضرار يوم الفجار على بني محارب بن فهر وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم وهو أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق قال الزبير بن بكار لم يكن في قريش أشعر منه ومن ابن الزبعرى وقد أسلم يوم الفتح ووهم من ظنه أخا لعمر بن الخطاب وممن وهم في ذلك الحلبي في سيرته ٦٤٤/٢ والحقيقة أنهما لا يلتقيان إلا في فهر بن مالك. انظر المعارف لابن قتيبة ٧٧ ، أسد الغابة ٤٠/٣.

قال يوم الخندق شعراً جاء فيه:

فأحجرناهم شهراً كريتا[١]   وكنا فوقهم كالقاهرينا[٢]

ومن ذلك أيضاً ما جاء في شعر ابن الزبعرى[٣] من قصيدة طويلة:

شهراً وعشرا قاهرين محمداً   وصحابه في الحرب خير صحاب[٤]

فقد ذكر عشراً زيادة على الشهر ولعله ضرورة شعرية حتى يستقيم الوزن وإلا فالثابت شهراً.

---

(١) أحجرناهم حصرناهم وشهراً كريتا تاماً كاملاً قال في القاموس ١/١٥٥ سنة كريت تامة.

(٢) السيرة النبوية ٢/٢٢٥.

(٣) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص القرشي السهمي الشاعر أمه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن وهب بن حذافة بن جمح وكان أشد الناس على رسول الله ﷺ في الجاهلية وعلى أصحابه بلسانه ونفسه وكان يناضل عن قريش ويهاجي المسلمين وكان من أشهر شعراء قريش. أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه. أسد الغابة ٣/١٥٩.

(٤) السيرة النبوية ٢/٢٥٨.

المبحث الثاني: المبارزة

قال ابن إسحاق:

في سياق حديثه عن المناوشات التي حصلت بين الفريقين ثم تيمموا[١] مكاناً ضيقاً[٢] فضربوا خيلهم فاقتحمت[٣] منه فجالت بهم في السبخة[٤] بين الخندق وسلع.

وخرج علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة[٥] التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق[٦] نحوهم[٧] وهنا أحس الفريقان بالخطر وكانت هي الشرارة الأولى

---

(١) تيمموا: قصدوا. النهاية في غريب الحديث ٣٠٠/٥.

(٢) قال بعض المؤرخين - أن هذا المكان أغفله المسلمون ويمكن أن يقال أنه لصعوبة المكان وصلابته ولأن المنطقة كما هو معروف- أكثرها صخرية - كان هذا المكان ضيقاً والله أعلم .

(٣) اقتحمت: اقتحم في الأمر رمي بنفسه فيه من غير رويّة. مختار الصحاح ٥٢٢.

(٤) السبخة بالتحريك واحدة السباخ وهي الأرض الملحة النازة. معجم البلدان ١٨٣/٣.

(٥) الثغرة: الثلمة وهي موضع المخافة من أطراف البلاد. النهاية في غريب بالحديث ٢١٣/١.

(٦) العنق: بفتح العين والنون. نوع من سير الإبل والخيل وهو الوسط بين السريع والبطئ.

(٧) السيرة النبوية ٢٢٤/٢.

التي ألهبت حماس الفريقين فالمسلمون كان حماسهم يكمن في فرحهم بنجاح الخطة التي اتخذوها وهي -الخندق-.

والمشركون كان حماسهم لقتل بعض زعمائهم كما سيأتي وكانوا يحاولون جاهدين الانتقام وكانوا هم أشد خطراً لأنهم هم المعتدون. كما أن المسلمين أصبحوا يطوقونهم في تلك الحالة - وهم داخل معسكر المسلمين- أمامهم في الثغرة وخلفهم في المعسكر.

مقتل عمرو بن عبدود:

قال ابن إسحاق:

وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلماً[1] ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له ياعمرو: إنك كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذهما منه قال له: أجل. قال له علي فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك. قال فإني أدعوك إلى النزال فقال له لم يأبن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك. قال له علي لكني والله

(١) معلماً: المعلم الذي يجعل له علامة يعرف بها.

أحب أن أقتلك فحمي[(١)] عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره[(٢)] وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي -رضي الله عنه- وخرجت خيلهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

قال ابن إسحاق: وقال علي رضوان الله عليه في ذلك:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصوابي

فصددت حين تركته متجدلاً كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المقطر بزّني أثوابي[(٣)]

لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب[(٤)]

قال ابن هشام: وأكثر أهل الشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب[(٥)].

الآثار الدالة على ذلك:

قال الحاكم -رحمه الله-:

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار[(٦)] حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق[(٧)] قال: كان عمرو بن عبدود

---

(١) فحمي: أشتد غضبه.

(٢) عقر البعير والفرس بالسيف (فانعقر) أي ضرب قوائمه. المختار الصحاح ٤٤٥.

(٣) المقطر: هو الذي يلقي على قطره - وتقطر - تهيأ للقتال ورمي بنفسه من علو. وبزّني: سلبني ثيابي أو أي شيء كان معي. القاموس المحيط ١١٩/٢، ١١٦.

(٤) هكذا جاء عند ابن إسحاق وفي الاكتفاء للكلاعي أبياتاً أخرى فراجعه ١٦٨/٢.

(٥) السيرة النبوية ٢٢٥/٢.

(٦) هو العطاردي.

(٧) تقدم رجال السند.

فارس قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، ولم يشهد أُحُداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده فلما وقف هو وخيله قال له علي ياعمرو قد كنت تعاهد الله لقريش أن لا يدعوك رجل إلى خلتين إلا قبلت منه أحداهما فقال عمرو أجل. فقال علي -رضي الله عنه- فإني أدعوك إلى الله -عز وجل- وإلى رسوله ﷺ، والإسلام فقال لا حاجة لي في ذلك قال فإني أدعوك إلى البراز فقال يابن أخي لم؟ فوالله ما أحب أن أقتلك. فقال علي لكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو فاقتحم عن فرسه فعقره ثم أقبل فجاء إلى علي وقال من يبارز؟ فقام علي وهو مقنع في الحديد فقال أنا له يا نبي الله فقال إنه عمرو بن عبدود[1] اجلس.

فنادى عمرو ألا رجل فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه علي -رضي الله عنه- وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك *** مجيب صوتك غير عاجز *** ذو نبهة وبصيرة والصدق منجا كل فايز *** إني لأرجو أن أقيم *** عليك نائحة الجنائز *** من ضربة نجلاء *** يبقى ذكرها عند الهزاهز[2].

---

(١) قال ﷺ ذلك لعلي لأن عمراً كان فارساً مشهوراً معمراً قد جاوز التسعين فهو أدرى بالحرب وملابساتها. انظر: الطبقات الكبرى ٦٨/٢، السيرة النبوية ٦٤١/٢.

(٢) عند البيهقي أنه قال هذه الأبيات رداً على أبيات قالها عمرو سأوردها فيما بعد أن شاء الله.

فقال له عمرو: من أنت؟ قال أنا علي قال ابن من؟ ابن عبد مناف؟ فقال أنا علي بن أبي طالب فقال عندك يا ابن أخي مِنْ أعمامك من هو أسن منك[١]؟ فانصرف فإني أكره أن أهريق دمك فقال علي لكني والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب فسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله علي بدرقته[٢] فضربه عمرو في الدرقة فقدها[٣]. وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي -رضي الله عنه- على حبل العائق فسقط وثار العجاج[٤] فسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قتله وقال رضي الله عنه شعراً كان في آخره:

عبد الحجارة من سفاهة عقله[٥] وعبدت رب محمد بصواب

ثم أقبل علي -رضي الله عنه- نحو رسول الله ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- هلا استلبت درعه فليس للعرب درعاً خيراً منها.

---

(١) أسن منك: أكبر منك.

(٢) الدرقة هي الحجفة والجمع درق والدرق بالفتح الصلب من كل شيء. القاموس المحيط ٣/٣٣٠.

(٣) فقدها: القد الشق طولاً. المصدر السابق ١٠/٣٢٥.

(٤) العجاج: الغبار والدخان أيضاً. مختار الصحاح ٤١٣.

(٥) في بعض الروايات (رأيه) وكلاهما بمعنى.

فقال ضربته فأتقاني بسؤته واستحييت ابن عمـــي أن اســـتلبه[١].

وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق. أ:هـــ[٢].

وقد أورد البيهقي من طريق ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة حيث قال: وخرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنادى من يبارز؟ فقال علي -رضي الله عنه- أنا لها يانبي الله فقال إنه عمرو اجلس، ونادى عمرو ألا رجل وهو يؤنبهم[٣] ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إليّ رجلاً فقام علي فقال أنا يا رسول الله فقال اجلس ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء   بجمعكم هل من مبارز؟

ووقفت إذ جبن المشجع   موقف القرن[٤] المناجز

زاد ابن كثير[٥]:

ولـــذاك أني لم أزل   متسرعـــاً قبل الهزاهـــز

إن الشجاعة في الفتى   والجود من خير الغرائز

---

(١) هكذا ثبت في كلا الروايات وهذا يرد على صاحب السيرة الحلبية حيـــث قـــال وعندي اشتباه في هذا لأن هذه الوقعة لعلي كانت يوم أحد مع طلحـــة بـــن أبي طلحة وهذا يرده نقله نفس الكلام من السهيلي. السيرة الحلبية ٢/٦٤٣ .

(٢) المستدرك للحاكم ٣/٣٢-٣٣ ، السنن الكبرى للبيهقي ٦/٣٠٨، ٩/١٣٢.

(٣) التأنيب المبالغة في التوبيخ والتعنيف. النهاية في غريب الحديث ١/٧٣.

(٤) القرن: بكسر المثناة المعجمة وهو الكفؤ في الشجاعة. المختار ٥٣٢.

(٥) البداية والنهاية ٤/١٠٦.

قال فقام علي -رضي الله عنه- فقال يا رسول الله: أنا فقال إنه عمرو فقال وإن كان عمراً فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه حتى أتاه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو[1] نية وبصيرة والصدق منجا كل فايز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وفي رواية أنه ﷺ أعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال (اللهم أعنه عليه) وفي لفظ (اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين[2]).

فقال له عمرو من أنت؟ قال أنا علي قال ابن عبد مناف؟ قال أنا علي بن أبي طالب[3]. فقال يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك ... وساق إلى قوله ...

(١) كذا في الدلائل - وفي البداية ١٠٦/٤ (في) وفي موضع آخر ذو نبهة.
(٢) ذكر هذا صاحب السيرة الحلبية ٦٤١/٢.
(٣) واسم أبي طالب - عبد مناف.

وضربه على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رســـول الله ﷺ التكبير فعرفنا أن علياً قد قتله فثم يقول علي:

أعليّ تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي

اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ومصمم في الراس ليس بنابي

إلى أن قال:

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت رب محمد بصوابي

قال ثم أقبل علي نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل(١).

قال ابن هشام وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمـــرو فقال في ذلك حسان:

فرّ وألقى لنا رمحــــــــه لعلك عكرم لم تفعل

ووليت تعدو كعدو الظليم ما إن يحور عن المعدل

و لم تلو ظهرك مستُأنســـاً كان قفاك قفا فرعـــل

وقال ابن هشام الفراعل صغار الضباع(٢).

زاد ابن سعد حيث قال:

قال علي أنا أبارزه يا رسول الله فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه وعممه

---

(١) الدلائل للبيهقي ٤٣٩/٣، البداية والنهايــة ١٠٦/٤- ١٠٧، والـــروض الأنــف ٢٧٩/٣.

(٢) السيرة النبوية ٢٦٢/٣، بهامشها الروض الأنف ٢٨٠/٣.

وقال اللهم أعنه عليه[١].

وقال الزرقاني نقلاً عن الحاكم قال[٢]:

سمعت الأصم قال سمعت العطاردي قال سمعت يحى بن آدم[٣] يقول ما شبهت قتل علي عمراً إلا بقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾[٤] الآية. والحديث يعتبر من الشواهد المقوية. وحديث قتل علي لعمرو ذكره غير واحد منهم: ابن سعد[٥] كما أخرجه الطبري عن الزهري[٦] مرسلاً وذكره ابن الأثير[٧]. وعزاه ابن سيد الناس لابن إسحاق[٨]، وقد ذَكَره علي المتقي الهندّي، وذكر بأن المحاملي أورده في أماليه وفيه زيادةٌ هذا نصها:

---

(١) الطبقات الكبرى ٦٨/٢.

(٢) أي الحاكم ، وانظر: المستدرك ٣٦/٣.

(٣) يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي أبو زكريا مولي بني أمية - ثقة حافظ فاضل - من كبار التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين (ع) . التقريب ٣٧٣.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥.

(٥) شرح المواهب اللدنية ١١٥/٢.

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٤٨/٣.

(٧) الكامل ١٢٤/٢.

(٨) عيون الأثر ٦١/٢.

عن ابن عباس قال سَمِعْتُ عمر يقول جاء عمرو بن عبد ود فجعل يجول بفرسه حتى جاوز الخندق إلى أن قال: ... ﷺ اخرج يا علي فقال له عمرو من أنت يا ابن أخي؟ قال أنا علي فقال إن أباك كان نديماً لي لا أحب قتالك ... إلى أن قال عمرو إني نذرت أن أقتل حمزة فسبقني إليه وحشي ثم إني نذرت أن أقتل محمداً قال علي: فانزل فنزل فاختلفا في الضربة فضربه علي فقتله[1].

وقد قيل إن الرسول ﷺ لما أذن لعلي في مبارزة عمرو دعا الله وقال اللهم أعنه عليه بعد أن عممه وأعطاه سيفه ذا الفقار وكل ذلك بدون إسناد وذكروا أيضاً أن علياً قال: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق اللهم أنك أخذت عبيدة بن الحارث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وهذا علي فلا تدعني فرداً وأنت خير الوارثين أ:هـ. هكذا ذكره في كتر العمال[2] وعزاه إلى الديلمي.

مقتل نوفل المخزومي:

قال ابن سعد ثم أَجْمع رؤساؤهم أن يغدوا يوماً فغدوا جميعاً ومعهم رؤساء سائر الأحزاب وطَلَبوا مضيقاً من الخندق يقحمون منه خيلهم إلى

(١) كتر العمال ١٠/٤٥٦- ٤٥٧.

(٢) كتر العمال ١٠/٤٥٦- ٤٥٧.

النبي ﷺ وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها قالو فمن هناك إذاً، فصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون فعبر عكرمة بن أبي جهل ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب وهبيرة بن ابي وهب وعمرو بن عبد ود وذكر المبارزة إلى أن قال: وولي أصحابه(١)هاربين وظفرت بهم خيولهم(٢)وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقه باثنين(٣).

وقال البيهقي:

وذكر ابن إسحاق خروجهم ودعاء عمرو إلى البراز على وجه آخر في الإسناد الذي ذكرناه فقال: وكان ممن خرج يوم الخندق هبيرة بن أبي وهب(٤)المخزومي وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يسأل المبارزة فَخَرَج إليه الزُّبير بن العَوام رضي الله عنْه فضرَبه فشقَّه باثنتين حتى فل في سيفه فلا(٥) فانصرف وهو يقول:

أني امرؤ احمي واحتمي عن النبي المصطفى الأمي

---

(١) يرجع الضمير في قوله - وولي أصحابه - إلى عمرو بن عبدود.

(٢) الضمير محتمل الرجوع إلى خيل المسلمين وقد يكون راجعا إلى خيل الكفار.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٦٨.

(٤) هو زوج أم هانئ - أخت على رضي الله عنه-.

(٥) فل: أي في سيفه كسر. مختار الصحاح ٥١٢.

قال الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية:

وَبَرز نوفل بن عبد الله المخزومي فقتله الزبير بن العوام بالسيف حتى شقه اثنين فقطع سرجه حتى خلص إلى كاهل الفرس فقيل: ما رأينا سيفاً مثل سيفك قال ما هو السيف ولكنها الساعد أ. هـ. (١)

وقال ابن سيد الناس نقلاً عن ابن عائذ قوله:

واقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله وكبر ذلك على المشركين وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه فرد إليهم رسول الله ﷺ أنه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب(٢) لنا في ديته وقيل أعطوه في جثته عشرة آلاف(٣).

وقال ابن كثير:

وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حيث قتل وعرضوا عليه الدية فقال إنه خبيث

---

(١) شرح المواهب ٢/١١٥.

(٢) الأرب: الحاجة. مختار الصحاح ١٣.

(٣) عيون الأثر ٢/٦٠.

خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته فلا أرب لنا في ديته ولسنا نمنعكم أن تدفنوه.

قال: وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق حيث قال:

وخرج نوفل المخزومي فسأل المبارزة فذكر خروج الزبير إليه وقتله.

ثم قال:

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يامعشر العرب فنزل إليه علي فقتله وطلب المشركين رمته[1]. من رسول الله ﷺ بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ومكنهم من أخذه إليهم. قال وهذا غريب من وجهين أ.هـ. [2]ولم يبين وجه الغرابة.

ثم إن ابن جرير رواه عن الزهري والزهري رواه مرسلاً فهو ضعيف. لأن الآثار التي وردت كلها على اختلاف مراتبها تبين أن قاتله الزبير إلا أن يكونا اشتركا في قتله فالله أعلم.

على ضوء ما سبق نرى أن هناك اختلافاً حول قاتل نوفل:

---

(١) رمته: جيفته.

(٢) البداية والنهاية ١٠٧/٤.

(أ) فالأكثر أن الذي قتله الزبير وذلك بصريح الآثار وكثرة القائلين بذلك وقد تقدموا.

(ب) المعارض لهذا الرأي هو الطبري وقد تقدم قوله كما يفهم ذلك من كلام ابن الأثير[1] وإن كان لم يصرح.

والحق أن قاتله هو الزبير وذلك لما يأتي:

قال ابن جرير كما في كتر العمال:

حدثنا أبو كريب[2] حدثنا وكيع[3] عن سفيان عن عبد الكريم الجزري[4] عن عكرمة[5] قال لما كان يوم الخندق قام رجل من المشركين

---

(١) الكامل ١٢٤/٢ حيث قال بعد أن ذكر المبارزة وقتل علي عمراً قال وقتل من المشركين اثنان قتل أحدهما علي.

(٢) محمد بن العلاء بن كريب الهمذاني - أبو كريب- الكوفي مشهور بكنيته - ثقة حافظ - من العاشرة- مات سنة ٢٤٩. وهو ابن سبع وثمانين سنة (ع) التقريب ٣١٤.

(٣) وكيع بن الجراح بن فليح الرؤاسي بضم الراء ثم المهملة أبو سفيان الكوفي - ثقة حافظ- عابد من كبار التاسعة مات في آخر أو أول سنة ١٩٧. وله سبعون سنة (ع). التقريب ٣٦٩.

(٤) عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد مولى بني أمية وهو الخضرمي بالخاء والضاد المعجمتين نسبة إلى قرية من اليمامة - ثقة - من السادسة مات سنة ١٢٧ (ع) التقريب ٢١٧.

(٥) عكرمة هو مولى ابن عباس وقد تقدم.

فقال من يبارز فقال رسول الله ﷺ : قم يا زبير فقالت صفية يا رسول الله (واجدى[١] فقال رسول الله ﷺ قم يا زبير فقام فقال رسول الله ﷺ : أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير فقتله ثم جاء النبي ﷺ بسلبه فنفله إياه[٢]. والحديث على ضوء هذا السند مرسل ورجاله ثقات.

الاختلاف حول بيع جيفة الكافر:

أ- الكثيرون من أهل المغازي والسير يذكرون بأن الرسول ﷺ لم يأخذ الدية - في الكافر الذي قتل في الخندق - بل دفعه إليهم وقال بأنه خبيث الجثة وتؤيدهم الآثار التالية:

قال المتقي الهندي وعزاه لابن أبي شيبة:

عن عكرمة أن نوفلاً أو ابن نوفل تردى به فرسه يوم الخندق فقتل فبعث أبو سفيان إلى النبي ﷺ بديته مائة من الإبل فأبي النبي ﷺ وقال خذوه فأنه خبيث الدية خبيث الجثة[٣].

(١) واجدي من الوجد وهو الحزن وهو - بالجيم المعجمة - وفي المنتخب واحدى بالحاء المهملة ولعل الظاهر بالجيم المعجمة لأن صفية كان لها ابن آخر وحضر غزوة الخندق وكان يسمى - السائب - المعارف لابن قتيبة ٩٦.

(٢) كتر العمال ١٠/٤٥٥.

(٣) كتر العمال ١٠/٤٥٥.

وقال الإمام أحمد رحمه الله:

حدثنا نصر بن باب[١] حدثنا حجاج عن الحكم[٢] عن مقسم[٣] عن ابن عباس أنه قال قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوه بجيفته مالاً فقال رسول الله ﷺ أدفعوا إليهم جيفته فإنه خبيث الجثة الدية فلم يقبل منهم شيئاً[٤]. والحديث ضعيف لوجود نصر بن باب فيه. قال ابن كثير: وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة[٥] عن

---

(١) نصر بن باب أبو سهل الخراساني المروزي روى عن داود بن أبي هند وإبراهيم الصائغ وعنه أحمد وابن المديني ومحمد بن رافع. قال الذهبي:
تركه جماعة وقال البخاري يرمونه بالكذب وقال ابن معين ليس حديثه بشيء وقال ابن حبان لا يحتج به وقال أحمد ما كان به بأس إنما انكروا عليه حين حدث عن إبراهيم الصائغ قيل توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة. انظر: ميزان الاعتدال ٤/٢٥٠

(٢) الحكم بن عتيبة بالمثناة ثم الموحدة مصغراً أبو محمد الكندي الكوفي - ثقة ثبت - فقيه إلا أنه ربما دلس من الخامسة مات سنة ١١٣ أو بعدها وله نيف وستون (ع). التقريب ٨٠.

(٣) مقسم بكسر أوله ابن بجرة بضم الموحدة وسكون الجيم ويقال نجدة بفتح النون والدال أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث ويقال له مولى ابن عباس للزومه له - صدوق وكان يرسل من الرابعة مات سنة أحدى ومائة وماله في البخاري إلا حديث واحد روى له الجماعة إلا مسلماً. التقريب ٣٤٦.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٢٤٨- ٢٧١.

(٥) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ثقة عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخره من كبار الثامنة. مات سنة ١٦٧ روى له (خت م ع) . التقريب ٨٢.

حجاج وهو ابن ارطأة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيك[١] اثني عشر ألفاً فقال رسول الله ﷺ لا خير في جسده ولا في ثمنه[٢].

وقد رواه الترمذي حيث قال:

حدثنا محمود بن غيلان[٣] حدثنا أبو أحمد[٤] حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن المشركين أرادوا أن يشتروا جسد رجل من المشركين فأبى النبي ﷺ أن يبيعهم[٥]. قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديث الحكم. ولعل استغراب الترمذي أتى بسبب أبي حمد الزبيري فإنه يخطئ في حديث الثوري والرواية هنا عنه.

---

(١) كذا عند البيهقي وعند ابن كثير (نعطيهم).

(٢) البداية والنهاية ١٠٧/٤، انظر السنن الكبرى للبيهقي ١٣٣/٩.

(٣) محمود بن غيلان العدوي مولاهم أبو أحمد المروزي نزيل بغداد - ثقة - من العاشرة مات سنة ٢٣٩ وقيل بعد ذلك روى له (خ م ت ق س). التقريب ٣٣٠.

(٤) محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمرو بن درهم الأسدي أبو أحمد الزبيري الكوفي - ثقة ثبت - إلا أنه قد يخطئ في حديث الثوري من التاسعة مات سنة ٢٠٣. روى له (ع) التقريب ٣٠٤

(٥) سنن الترمذي ١٢٩/٣، وفي الميزان ٦١٥/٣ قال: حسنه الترمذي وهو غريب.

أما كلام أهل المغازي في ذلك فهو كما قال البيهقي:

وذكر ابن إسحاق في موضع آخر من هذا الكتاب عقب قتل الزبير لنوفل - أن عليا طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات في الخندق. إلى أن قال:

وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال ﷺ هو لكم لا نأكل ثمن الموتى أ.هـ.[١]

وقال الديار بكري:

وفي معالم التنزيل: طلب المشركون جيفة نوفل بالثمن فقال رسول الله ﷺ خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية[٢].أ.هـ:

(ب) في مقابل القائلين بعدم جواز بيع جيفة الكافر واعتمادهم على الآثار الواردة جاء عند الحاكم ما يخالف ذلك حيث أورد بسنده حديثاً يدل على الجواز وأخذ الدية.

حيث قال رحمه الله:

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب[٣] حدثنا أحمد بن عبد الجبار[٤]

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٣/٤٤٠.

(٢) تاريخ الخميس ١/٤٨٨.

(٣) هو النيسابوري الأصم تقدم.

(٤) هو العطاردي تقدم.

حدثنا يونس بن بكير[(١)] عن محمد بن عبد الرحمن[(٢)] عن الحكم بن عتيبة عن مقسم[(٣)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوا أن يواروه[(٤)] فأبى رسول الله ﷺ حتى أعطوه الدية[(٥)]...

قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

درجة الحديث:

الحديث ضعيف لضعف ابن أبي ليلى ثم إن الحكم ثبت أنه لم يرو عن مقسم إلا خمسة أحاديث ليس هذا منها قال الذهبي: حسنه الترمذي.

وقال عبد الحق[(٦)] في أحكامه وابن القطان[(٧)]: إسناده ضعيف

---

(١) يونس بن بكير أيضا تقدم.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي القاضي أبو عبد الرحمن - صدوق سيئ الحفظ جداً من السابعة مات سنة ثمان وأربعين ١٤٨ روى له الأربعة. التقريب ٣٠٨.

(٣) الحكم ومقسم تقدمت ترجمتهما.

(٤) يواروه: يدفنوه من ذلك قوله تعالى ﴿ فأواري سوأة أخي ﴾ المائدة الآية ٣١ .

(٥) المستدرك للحاكم ٣٢/٣.

(٦) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد الحافظ العلامة الحجة أبو محمد الأزدي الأشبيلي ويعرف أيضا بابن الخراط من مؤلفاته الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم والأحكام الكبرى وغير ذلك ت سنة ٥٨٢. تذكرة الحفاظ ١٣٥٠/٤.

(٧) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الكتامي ويعرف بابن القطان أبو الحسن محدث عارف بالرجال من أهل فارس قرطبي الأصل . من تصانيفه شرح أحكام عبد الحق وبيان الوهم والإيهام في الحديث ت سنة ٦٢٨. انظر: تذكرة الحفاظ ١٤٠٧/٤.

ومنقطع لا سماع للحكم من مقسم إلا لخمسة أحاديث ما هـذا منـها وضعفاه من جهة ابن أبي ليلى وقول الترمذي أولى[١].

ثم أن هناك اضطراباً في الإسناد فقد جاء عند الترمذي بسند فيه ابن أبي ليلى وجاء فيه أن الرسول ﷺ رفض ديته وقال أنه خبيث الدية خبيث الجثة.

وعلى ذلك:

تبين أن الصحيح هو:

عدم جواز بيع جيفة الكافر أو أخذ ديته قال الحافظ أثناء شـرحه لتبويب البخاري حيث قال (باب طرح جيف المشـركين في البئـر ولا يؤخذ لهم ثمن) ثم قال قوله (ولا يؤخذ لهم ثمن) قال: أشار به لحديث ابن عباس أن المشركين أرادوا أن يشتروا جسد رجل من المشركين فـأبي النبي ﷺ أن يبيعهم) ثم قال:

وذكر ابن إسحاق في المغازي:

أن المشركين سألوا النبي ﷺ أن يبيعهم جسد نوفل بن عبد الله بـن المغيرة وكان اقتحم الخندق فقال الـنبي ﷺ لا حاجـة لنـا بثمنـه ولا جسده[٢].

---

(١) الميزان ٣/٦١٥.

(٢) فتح الباري ٦/٢٨٢.

وبهذا وغيره مما تقدم يتضح أن الرسول ﷺ لم يأخذ مقابـــل جثـــة نوفل لا دية ولا ثمناً بل إنه أعطاهم وقال إنه خبيث الدية خبيث الجثة وفي رواية قال: لعنه الله ولعن ديته[١].

---

(١) البداية والنهاية ٤/١٠٧، عيون الأثر ٢/٦٠.

المبحث الثالث: القتلى من الجانبين

أولاً: القتلى من المسلمين:

استمرت المعركة والحصار مضروب فما مضت أسابيع ثلاثة على ذلك الحصار المضروب حتى دب القنوط والتخاذل في صفوف المهاجمين على حين بقيت جبهة المدافعين عن حوزة الدين الإسلامي - سليمة لم تثلم ورغم كثرة الأعداء وتحرشاتهم ومناوشاتهم المستمرة طيلة تلك المدة إلا أنه لم يقتل من المسلمين إلا عدد قليل وهم:

١- سعد بن معاذ سيد الأوس وحامل لوائهم يوم الخندق[1] وقد أفردت لبلائه في هذه الغزوة فصلاً خاصاً.

٢- أنس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم ابن عامر بن زاعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس وزاعورا هو أخو عبد الأشهل كذا نسبه ابن الكلبي وهو أخو مالك وعمير والحارث بني أوس. قال ابن الأثير: شهد أحداً وقتل يوم الخندق قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: رماه خالد

(١) أنظر ترجمته في: أسد الغابة ٢٩٦/٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٧/٢، الطبقات الكبرى ٤٢٠/٣.

بن الوليد بسهم فقتله و لم يشهد بدراً[١]. وذلك بدليل مـــا أورده الهيثمي حيث قال:

عن ابن شهاب قال استشهد يوم الخندق من الأنصار أنـــس بـــن معاذ[٢] بن أوس بن عبد عمرو ...الخ ثم قال رواه الطبراني[٣] ورجالـــه رجال الصحيح[٤].

وقال ابن سعد:

وكان فيمن قتل أيضاً في أيام الخندق أنس بن أوس بن عتيك مـــن بني عبد الأشهل قتله خالد بن الوليد[٥].

٣- عبد الله بن سهل الأشهلي:

قال ابن الأثير:

عبد الله بن سهل بن رافع الأنصاري ثم الأشهلي من بني زعوراء بن عبد الأشهل وقيل أنه من غسان وهو حليف لبني عبد الأشهل وقـــال:

---

(١) أسد الغابة ١٢٢/١، والاستيعاب ١٩٨/١.

(٢) هو أنس بن أوس وليس في ترجمته - معاذ - وانظر: المصـــدر الســـابق ، البدايـــة والنهاية ١١٦/٤.

(٣) المعجم الكبير ٢٦٥/١ حديث ٧٧٠.

(٤) مجمع الزوائد ١٤٢/٦.

(٥) الطبقات الكبرى ٧٠/٢.

ذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة فيمن شهد بدراً من الأنصار من بني عبد الأشهل وحلفائهم ثم قال مرة أخرى وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قتل من المسلمين يوم الخندق عبد الله بن سهل من بني عبد الأشهل والله أعلم[١].

٤- ثعلبة بن عنمة[٢] بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي شهد العقبة في البيعتين وشهد بدراً وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة قتل يوم الخندق شهيداً قاله ابن إسحاق قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي[٣]. وقد روى الزهري أثراً مرسلاً ونصه:

« استشهد يوم الخندق من الأنصار أنس بن معاذ ... إلى قوله... ومن الأنصار ثم من بني سلمة ثعلبة بن غنمة... الخ[٤]» .

وقد ذكره ابن سعد وهناك جاء اسمه ثعلبة بن عنمة بالعين المهملة[٥].

(١) أسد الغابة ١٧١/٣، والاستيعاب ٥٦/٣.

(٢) هكذا عند ابن الأثير وابن كثير في البداية والنهاية ١١٦/٩، السيرة النبوية ٢٢٢/٣ بالغين المعجمة.

(٣) أسد الغابة ٢٤٤/١.

(٤) وقد تقدم الأثر وحكم الهيثمي عليه قريباً.

(٥) الطبقات الكبرى ٧٠/٢ وقال بأن قاتله هبيرة بن أبي وهب.

كما ذكر ذلك ابن كثير وجاء في اسمه - ثعلبة بن غنمة بالغين المعجمة والنون[١].

٥- طفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي عقبي بدري استشهد يوم الخندق هذا ما قاله ابن الأثير[٢]. وذكره ابن كثير أيضاً[٣] ولم يذكره ابن سعد أثناء ذكره لمن استشهد ولكنه ذكره في طبقات البدريين من الأنصار وأن الذي قتله يوم الخندق هو وحشي[٤].

٦- كعب بن زيد النجاري:

قال ابن الأثير:

شهد بدراً قاله ابن شهاب وابن إسحاق وابن الكلبي وقال ابن الكلبي قتل يوم الخندق وقال الواقدي قتله ضرار بن الخطاب يوم الخندق

---

(١) البداية والنهاية ١١٦/٤.

(٢) أسد الغابة ٥٦/٣.

(٣) البداية والنهاية ١١٦/٤، والسيرة النبوية ٢٢٢/٣.

(٤) الطبقات الكبرى ٥٧٣/٣، السيرة الحلبية ٦٤٨/٢.

وبه قال ابن سعد[١] وقال ابن إسحاق أصابه سهم غرب يوم الخندق فقتله وبقول ابن إسحاق هذا قال ابن كثير[٢].

قال ابن الأثير ويذكرون أن الذي أصابه أمية بن ربيعة بن صخر الدؤلي وكان قد نجا يوم بئر معونة[٣].

٧ - ٨ سليط وسفيان بن عوف الأسلمي. وساق البزار حديثاً بسنده وفيه أن رسول الله ﷺ بعث سليطا وسفيان بن عوف الأسلمي طليعة يوم الأحزاب فخرجا حتى إذا كانا بالبيداء إلتفت عليهم خيل لأبي سفيان فقاتلا حتى قتلا فأتيَ بهما رسول الله ﷺ فدفنا في قبر واحداً فهما الشهيدان القرينان[٤].

وقال الهيثمي رواه البزار وفيه جماعة لم أعرفهم[٥] وقال حبيب الرحمن الأعظمي[٦].

قلت وقال الحافظ في الإصابة: في سنده من لا يعرف.

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٧٠.

(٢) البداية والنهاية ٤/١١٦.

(٣) أسد الغابة ٤/٢٤١.

(٤) كشف الأستار ٢/٣٣٣.

(٥) مجمع الزوائد ٦/١٣٥.

(٦) محقق كشف الأستار قال ذلك في ٢/٣٣٢.

٩- وقد تفرد ابن دريد[١] بقوله: ومنهم سنان بن صيفي الخزرجي شهد بدراً والعقبة وقتل يوم الخندق.

ثانياً: القتلى من المشركين:

رغم كثرة المناوشات التي قامت بها جموع الأحزاب ورغم كثرتهم ومع ذلك فقد قتل منهم ثلاثة فقط[٢] وقيل أربعة[٣] وهم:

١- من بني عبد الدار:

منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار. أصابه سهم فمات منه بمكة.

وقال ابن هشام هو:

عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق[٤].

٢- ومن بني مخزوم:

نوفل بن عبد الله بن المغيرة.

اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك[٥].

---

(١) الاشتقاق ٤٦٥. وانظر ترجمته في الطبقات الكبرى ٥٧٢/٣، أسد الغابة ٣٥٩/٢.

(٢) هذا ما اتفق على إيراده المؤرخون وأهل المغازي.

(٣) ذكر الرابع وانفرد به ابن هشام. السيرة النبوية ٢٥٣/٣.

(٤) كذلك انفرد ابن هشام بهذه التسمية والبقية يقولون أن اسمه (منبه).

(٥) البداية والنهاية ١١٦/٤.

قال في تاريخ الخميس:

وفي روضة الأحباب: اقتحم الخندق نوفل حين الفرار فسقط فيه فرماه المسلمون بالحجارة فصرخ يا معشر العرب قتله أحسن من هذه[١].

وقد تقدم الخلاف في قاتله فقيل إنه بعد تورطه وصراخه قتله علي رضي الله عنه وقيل إن الزبير قتله مبارزة وعلى كلا الحالين فقد هلك، ولأهميته لدى المشركين فقد بعثوا لشراء جسده ليدفنوه فأعطاهم الرسول ﷺ وقال لا خير في جسده ولا في ثمنه.

٣- ومن بني عامر:

عمرو بن عَبْدُود العامري. قتله علي مبارزة وقد سبق ذكرها.

هؤلاء الثلاثة أتفق أهل المغازي والسير على إيرادهم في القتلى والقائلون بذلك هم:

ابن إسحاق[٢] وابن سعد[٣] وابن جرير[٤] وابن الأثير[٥] وابن كثير[٦].

---

(١) تاريخ الخميس ٤٨٧/١.

(٢) السيرة النبوية ٢٥٣/٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٦٨/٢- ٧٠.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤٩/٣.

(٥) الكامل ١٢٤/٢.

(٦) البداية والنهاية ١١٦/٤.

٤- حسل بن عمرو. انفرد بذكره ابن هشام حيث قال:

وحدثني الثقة أنه حُدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال:

قتل علي يومئذ عمرو بن عبدود وابنه حسل بن عمرو[١].

هؤلاء الذين قتلوا من المشركين رغم كثرتهم ويمكن أن نرجع سبب قلة القتلى من الجانبين إلى أن:

وجود الخندق كان له سبب مباشر بعد الله. ذلك لأن المشركين تخوفوا من هذه المكيدة و لم يقتل إلا من اقتحم أو اقترب كما فعل نوفل وعمرو بن ود. والخندق في الحقيقة نصر من الله حيث ألهمهم الله إلى حفره وأعانهم على سرعة إنجازه فكان حاجزاً حصيناً ولكي يبين الله سبحانه لأعداء المسلمين من منافقين وكفار أن النصر بيد الله وليست بالكثرة وأنه متى كان الله سبحانه مع فئة ولو قليلة تكون لها الغلبة في النهاية ذلك لأن هذه الفئة القليلة تقاتل عن عقيدة سامية ومبدأ عظيم ألا وهو الإسلام.

(١) السيرة النبوية ٢/٢٥٣.

الفصل الثاني

اشتداد المعركة يمنع المسلمين

من الصلاة

الفصل الثاني: اشتداد المعركة يمنع المسلمين من الصلاة

اشتدت المعركة وهذا طبعى ما دام قد قتل من فرسان المشركين وصناديدهم أربعة تقريباً وذلك خلال غارة سريعة. مما زاد من حقدهم علاوة على الذي دفعهم للمجيء من مَكَّة وغيرها من بلدان الأحزاب لمحاصرة المسلمين والقضاء عليهم.

لكنهم ولله الحمد وجدوا غير ما يتوقعون. علماً بأن المسلمين شغلوا من الخلف وذلك من قبل اليهود فقد حصل منهم التعرض والتحرش بالنساء والذراري. ولما طال الحصار أخذ اليهود قبحهم الله يرسلون إمدادات للأحزاب.

ذكر ذلك صاحب السيرة الحلبية فقال:

أن دورية مسلحة من الأنصار خرج رجالها ليدفنوا ميتاً لهم فصادفوا قافلة من عشرين بعيراً محملة تمراً وشعيراً وتبناً. فأخذها المسلمون وخفف الله بها عليهم من ضائقة المجاعة التي كانوا يعانوها[1].

مما جعل الهزائم تتوالى على الأحزاب. إلا أنهم زادوا من نشاط خيلهم فكانت الخيول تطوف بأعداد كبيرة كل ليلة حول الخندق حتى الصباح فتخلفها أعداد طول النهار وأصحابها يطمعون في أخذ المسلمين على حين غرة وذلك لأن خالد بن الوليد كان في هذه الغزوة قائداً

(١) السيرة الحلبية ٢/١٠٧.

للفرسان كما كان في غزوة أحد وهو يطمع كما فعل في أحد أن يصيب غرة من المسلمين ولكن هيهات (لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين)[١].

وبعد قتل فرسانهم المشهورين في الهجمة الأولى تابعوا التحركات رجاء الانتقام لصناديد الكفر لذلك قال ابن سعد:

فكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ويغدو خالد بن الوليد يوماً ويغدو عمرو بن العاص يوماً ويغدو هبيرة بن أبي وهب الذي نجا من الكرة الأولى يوماً ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوماً فلا يزالون يجيلون خيلهم يتفرقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله ﷺ ويقدمون رماهم فيرمون[٢].

قال ابن سعد وبعد قتل أصحابهم اتعدوا أن يغدوا من الغد فباتوا يعبئون أصحابهم وفرقوا كتائبهم ونحوا[٣] إلى رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد فقاتلوهم يومهم ذلك إلى هوي من الليل ما يقدرون أن يزولوا من مواضعهم ولا صلى رسول الله ﷺ ولا أصحابه ظهراً ولا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب ٨٣، مسلم في كتاب الزهد ٦٣، وأبو داود في الأدب ٢٩، وابن ماجة في الفتن ١٣، والدارمي في الرقاق ٦٥، وأحمد ١١٥/٢، ٣٧٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٦٧/٢.

(٣) عند ابن سيد الناس جهزوا.

عصراً ولا مغرباً ولا عشاء حتى كشفهم الله فرجعوا متفرقين إلى منازلهم وعسكرهم وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله ﷺ وأقام أسيد بن الحضير[١] على الخندق في مائتين من المسلمين وكر خالد بن الوليد في خيل من المشركين يطلبون غرة من المسلمين فناوشوهم ساعة ومع المشركين وحشي[٢] فزرق[٣] الطفيلَ بن النعمان من بني سلمة بمزراقه فقتله وانكشفوا وصار رسول الله ﷺ إلى قبته فأمر بلالاً فأذن وأقام الظهر فصلى ثم أقام بعد كل صلاة إقامة وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من

(١) أسيد بضم الهمزة هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأوسي الأشهلي يكنى أبا يحيى وأسلم أسيد قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة وكان إسلامه بعد العقبة الأولى وقبل الثانية وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يكرمه ولا يقدم عليه أحد. وقد اختلف في شهوده بدراً ولكنه شهد أحد وما بعدها توفي رضي الله عنه سنة عشرين في شعبان ودفن بالبقيع . انظر: أسد الغابة ١/٩٢.

(٢) وحشي هو قاتل حمزة وهو ابن حرب الحبشي أبو دسمه وهو من سودان مكة وهو مولى لطعيمة بن عدي وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي وشرك في قتله مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام وبعد أن ضاقت عليه الدنيا عندما فتحت مكة جاء إلى رسول الله ﷺ مسلماً ولكن الرسول قال له بعد أن أسلم وشرح له قصة قتل حمزة. غيب عني وجهك قال ولم ير وجهي حتى قبضه الله، وقد مات وهو مخمور. انظر: أسد الغابة ٥/٨٣- ٨٤.

(٣) زرقه رماه والمزراق رمح قصير قاله في القاموس ٣/٢٤٠.

الصلوات وقال: شغلونا عن الصلاة الوسطى يعني العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً[١].

وقد نقل ابن العربي[٢] خلافاً في الصلاة الوسطى وأي صلاة كانت على الآتي:

١- إنها الظهر قاله زيد بن ثابت.

٢- إنها العصر قاله علي في أحدي روايتيه.

٣- إنها المغرب قاله البراء.

٤- إنها العشاء الآخره.

٥- إنها الصبح قاله ابن عباس وابن عمرو أبو أمامة والرواية الصحيحة عن علي.

٦- إنها الجمعة.

٧- إنها غير معنية.

قال: وكل قول من هذه الأقوال مستند إلى ما لا يستقل بالدليل.

فأما من قال إنها الظهر فلأنها أول صلاة فرضت.

وأما من قال إنها العصر فتعلق بحديث علي رضي الله عنه شـــغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً.

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٦٨- ٦٩.

(٢) في أحكام القرآن ١/٢٢٥.

وأما من قال إنها المغرب فلأنها وتر بين أشفاع.

وأما من قال إنها الصبح فلأنها في وقت متوسط بين الليل والنهار قاله ابن عباس[١] ومالك وقال غيرهما هي مشهودة[٢] والعصر وإن كانت مثلها فتزيد الصبح عليها بوجهين أحدهما: أنها أثقل الصلوات على المنافقين. والثاني: إن في الموطأ عن عائشة حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين.

قال وهذا يدل على أن الصلاة الوسطى غير صلاة العصر ويعارض حديث علي رضي الله عنه ويبين أن المراد أنها كانت وسطى بين ما فات وبقي.

وأما من قال إنها الجمعة فلأنها تختص بشروط زائدة وهذا يدل على شرفها وفضلها.

وأما من قال إنها غير معينة فلتعارض الأدلة وعدم الترجيح وهذا هو الصحيح[٣].

---

(١) في الأصل قدم مالك على ابن عباس.

(٢) مشهودة من الملائكة وقد قال تعالى عن القرآن ﴿ وقرآن الفجر أن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ .

(٣) أحكام القرآن ١/٢٢٥ .

قال وهذا هو الصحيح فإن الله خبأها في الصلوات كما خبأ ليلة القدر في رمضان وخبأ الساعة التي في يوم الجمعة وخبأ الكبائر في السيئات ليحافظ الخلق على الصلوات ويقوموا جميع شهر رمضان ويلزموا الذكر في يوم الجمعة كله ويجتنبوا جميع الكبائر والسيئات[1].

أقول رحم الله ابن العربي كيف يرجح أن الصلاة الوسطى مبهمة مع صريح الأدلة التي جاءت في الصحيحين وغيرهما وقد صرحت أنها صلاة العصر ، ولذلك ذكر الحافظ ابن كثير كل الأقوال في ذلك وتبين من خلال ما نقله أنها صلاة العصر[2].

وقد جاء التصريح بأن الصلاة الوسطى هي العصر في هذه الغزوة حيث قال ﷺ شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقد جاء عند البخاري ما يقوي ذلك حيث قال:

حدثنا إسحاق[3] حدثنا روح[4] حدثنا هشام[5] عن محمد[6] عن عبيدة[7] عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق (ملأ

(١) أحكام القرآن ٢٢٦/١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٩٠/١- ٢٩١.

(٣) إسحاق بن منصور السلولي بفتح المهملة واللامين مولاهم أبو عبد الرحمن صدوق .

(٤) روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القبس أبو محمد البصري - ثقة -.

(٥) هشام بن حسان الأزدي القردوسي بالقاف وضم الدال أبو عبد الله البصري-ثقة-.

(٦) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري ثقة ثبت عابد كبير القدر.

(٧) عبيدة بن عمر السلماني تابعي كبير مخضرم ثقة ثبت.

الله عليهم بيوتهم وقبرهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)[١].

وقد أخرج هذا الحديث المصرح بتعيين الصلاة الوسطى كل من: مسلم[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] وابن ماجة[٥] والدارمي[٦] وعبد بن حميد[٧] وأحمد[٨] ورواه الطبراني[٩] عن ابن عباس بلفظ ادخل الله قبورهم ناراً.

وقد أخرجه النسائي[١٠] عن عبيدة عن علي به، إلا أنه لم يرد عنده ذكر الأحزاب. وفي هذا الحديث تصريح بأن الذي فات من الصلوات وتأخرت عن وقتها هي صلاة العصر وذلك بدليل قوله (حتى غابت الشمس) وبدليل الحديث الذي رواه أحمد حيث قال:

---

(١) صحيح البخاري ٩٢/٥ كتاب المغازي باب غزوة الخندق.

(٢) صحيح مسلم ٤٣٦/١ كتاب المساجد باب التغليظ في تفويت صلاة العصر.

(٣) سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي ٢٨٧/١ كتاب الصلاة.

(٤) سنن الترمذي ٢٨٦/٤ أبواب التفسير سورة البقرة.

(٥) سنن ابن ماجة ٢٢٤/١ كتاب الصلاة.

(٦) سنن الدارمي ١٢٥/١ كتاب الصلاة.

(٧) من المنتخب لعبد بن حميد ١٥٥/١ حديث (٧٧).

(٨) مسند أحمد ٧٩/١، ٨١، ١١٣، ١٢٢، ١٢٦، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢، ٤٠٤، ٤٥٦.

(٩) المعجم الكبير للطبراني ٣٦٠/١٠.

(١٠) سنن النسائي ٢٣٦/١ باب المحافظة على صلاة العصر.

حدثنا أبو معاوية[١] حدثنا الأعمش عن مسلم[٢] عن شتير بن شكل[٣] عن علي قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً ثم صلاها بين العشائين المغرب والعشاء)[٤].

وكذا رواه مسلم من حديث أبي معاوية والنسائي[٥] من طريق

عيسى بن يونس[٦] كلاهما عن الأعمش عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن شتير بن شكل عن حميد عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ مثله[٧].

وقد رواه مسلم أيضاً من طريق شعبة بن الحكم[٨] بن عتيبة عن

(١) أبو معاوية هو محمد بن خازم الضرير الكوفي عمي وهو صغير (ثقة) احفظ الناس لحديث الأعمش وقد يهم في حديث غيره.

(٢) مسلم بن صبيح بالتصغير الهمداني أبو الضحى الكوفي العطار مشهور بكنيته (ثقة) فاضل.

(٣) شتير بمثناة مصغراً ابن شكل بفتح المعجمة والكاف العبسي بموحدة الكوفي يقال إنه أدرك الجاهلية (ثقة).

(٤) مسند أحمد ٧٩/١.

(٥) سنن النسائي ٢٣٦/١.

(٦) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي بفتح المهملة وكسر الموحدة أخو إسرائيل كوفي نزل الشام مرابطاً (ثقة) مأمون.

(٧) صحيح مسلم ٤٣٧/١ كتاب المساجد.

(٨) الحكم بن عتيبة أبو محمد الكندي وقد تقدم.

يحيى الجزار[١] عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ مثله[٢].

ورواه الترمذي والنسائي من طريق الحسن البصري عن علي به.

قال الترمذي ولا يعرف سماعه منه[٣].

قال الإمام ابن كثير:

وقال ابن أبي حاتم[٤] حدثنا أحمد[٥] بن سنان حدثنا عبد الرحمن[٦] بن مهدي عن سفيان[٧] عن عاصم[٨] عن زر[٩] قال قلت لعبيدة سل علياً

---

(١) يحي بن الجزار العُرنى بضم المهملة وفتح الراء ثم نون الكوفي.

(٢) صحيح مسلم ٤٣٧/١.

(٣) أي سماع حسن البصري لا يصح من علي. انظر: تفسير ابن كثير ٢٩١/١.

(٤) ابن أبي حاتم تقدم في ص ١١٤.

(٥) أحمد بن سنان بن أسد بن حيان بكسر المهملة بعدها موحدة أبو جعفر القطان الواسطي (ثقة) حافظ . التقريب ١٣.

(٦) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم أبو سعيد البصري (ثقة ثبت) حافظ عارف بالرجال والحديث قال ابن المديني ما رأيت أعلم منه من التاسعة مات سنة ١٩٨ وهو بن ثلاث وسبعين سنة (ع). التقريب ٢١٠.

(٧) سفيان هو الثوري كما في القواعد المفيدة في معرفة أسماء الرجال المذكورين في جامع الإمام البخاري ص ٩ وقد تقدمت ترجمته في ص ٢٤٠.

(٨) هو عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري (ثقة) من الرابعة لم يتكلم فيه إلا القطان وكان بسبب دخوله الولاية مات بعد سنة ١٤٠(ع)التقريب ١٥٩.

(٩) زر بكسر أوله وتشديد الراء ابن حبيش بمهملة وموحدة ومعجمة مصغر ابن حباشة بضم المهملة بعدها موحدة ثم معجمة : الأسدي الكوفي أبو مريم (ثقة) جليل مخضرم مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثمانين وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة (ع). التقريب ١٠٦.

عن الصلاة الوسطى فسأله فقال: كنا نراها الفجر أو الصبح حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وأجوافهم أو بيوتهم ناراً)[١].

ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي به[٢].

وقال: حديث يوم الأحزاب وشغل المشركين رسول الله ﷺ وأصحابه عن أداء صلاة العصر يومئذ روي عن جماعة من الصحابة وإنما المقصود رواية من نص منهم في روايته أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر قال[٣] وقد رواه مسلم أيضاً من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب رضي الله عنهما[٤].

وقد جاء عند البخاري[٥] في كتاب الدعوات:

عن علي رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وهي صلاة العصر وقد عقب الحافظ على ذلك قائلاً وقوله في هذه الرواية: (وهي صلاة العصر).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١.

(٢) جامع البيان ٥٥٨/٢.

(٣) أي ابن كثير.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١.

(٥) البخاري مع فتح الباري ١٩٤/١١ كتاب الدعوات باب الدعاء على المشركين.

جزم الكرماني بأنه مدرج في الخبر من قول بعض رواته:

قال وفيه نظر فقد تقدم في الجهاد من رواية عيسى بن يونس ، وفي المغازي من رواية روح بن عبادة، وفي التفسير من رواية يزيد بن هارون، ومن رواية يحي بن سعيد كلهم عن هشام كذلك ، ولكن بلفظ (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر).

وكذا أخرجه من طريق شتير بن شكل (عن علي ومن طريق مرة عن عبد الله بن مسعود مثله سواء وأصرح من ذلك ما أخرجه من حديث حذيفة مرفوعاً (شغلونا عن صلاة العصر) وهو ظاهر في أنه من نفس الحديث[1]. قال[2] وروى أحمد والترمذي من حديث سمرة رفعه (الصلاة الوسطى صلاة العصر) ومن طريق كهيل[3] بن حرملة سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى فقال اختلفنا فيها ونحن بفناء بيت رسول الله ﷺ وفينا أبو هاشم[4] بن عتبة فقال أنا أعلم لكم فقام فاستأذن على رسول الله ﷺ ثم خرج إلينا فقال أخبرنا أنها صلاة العصر. ومن طريق عبد العزيز

(١) فتح الباري ١٩٥/١١ كتاب الدعوات باب الدعاء على المشركين.

(٢) قال ابن حجر.

(٣) هو كهيل بن حرملة النميري . الجرح والتعديل ١٧٣/٧.

(٤) هو أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي العبشمي قيل اسمه خالد، وقيل مهشم وقيل هشام صحابي من مسلمة الفتح مات في خلافة عثمان (ت س ق) التقريب ٤٣٠، الاستيعاب ٣٣٣/٤.

بن مروان أنه أرسل إلى رجل فقال أي شيء سمعت من رسول الله ﷺ في الصلاة الوسطى؟ فقال أرسلني أبو بكر وعمر أسأله وأنا غلام صغير فقال هي العصر.

ومن حديث أبي مالك[١] الأشعري رفعه الصلاة الوسطى صلاة العصر.

قال وروى الترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود مثله.

وروى ابن جرير من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال كان في مصحف عائشة: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر)[٢].

قال[٣]:

وروى ابن المنذر من طريق مقسم [٤]عن ابن عباس قال شغل الأحزاب النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى غابت الشمس فقال

---

(١) أبو مالك الأشعري هو الحارث بن الحارث الأشعري الشامي صحابي يكنى أبا مالك تفرد بالرواية عنه أبو سلام وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا. التقريب ٥٩، الاستيعاب ٣٠٨/٤.

(٢) فتح الباري ١٩٥/٨ وفيه رد على ابن العربي حيث ذكر فيما تقدم أن في مصحف عائشة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر.

(٣) قال أي الحافظ ابن حجر.

(٤) مقسم هو مولى ابن عباس وهو صدوق وقد تقدم.

شغلونا عن الصلاة الوسطى ثم ساق الاختلاف حول الصلاة الوسطى ثم قال وشبهة من قال أنها الصبح قوية لكن كونها العصر هو المعتمد وبه قال ابن مسعود وأبو هريرة وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول أحمد والذي صار إليه معظم الشافعية لصحة الحديث فيه. قال الترمذي هو قول أكثر علماء الصحابة. وقال الماوردي هو قول جمهور التابعين.

وقال ابن عبد البر هو قول أكثر أهل الأثر.

وبه قال من المالكية ابن حبيب[١] وابن العربي وابن عطية[٢]، ويؤيده أيضاً ما رواه مسلم عن البراء بن عازب: (نزل حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها ما شاء الله ثم نسخت فنزلت (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فقال رجل فهي إذن صلاة العصر فقال أخبرتك كيف نزلت[٣].

---

(١) هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي العباسي الأندلسي القرطبي المالكي (أبو مروان) الفقيه المشهور صدوق ضعيف الحفظ كثير الغلط من كبار العاشرة مات سنة ٢٣٩. التقريب ٢١٨.

(٢) ابن عطية هو عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد ت سنة ٥٤٦هـ. وذلك في كتابة المحرر الوجيز ٢/٢٣٥. وانظر ترجمته في السير ١٩/٥٨٧.

(٣) فتح الباري ٨/١٩٦.

وهذه الأحاديث على اختلاف طرقها وكثرتها جاءت خاصة بصلاة العصر وأنها هي الوسطى وقد استطرد في ذلك ابن جرير[١] عند تفسير آية المحافظة على الصلوات.

كما أنه ورد عند البخاري حديث آخر عن عمر مشابه لحديث علي ومصرح بأن الذي فاتهم من الصلوات هي العصر حيث قال رحمه الله:

حدثنا معاذ بن فضالة[٢] قال حدثنا هشام[٣] عن يحي عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر ابن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش فقال يارسول الله ما كدت اصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب قال النبي والله ما صلينا فقمنا إلى بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب[٤].

---

(١) جامع البيان ٢/٥٥٣- ٥٧٢.

(٢) معاذ بن فضالة الزهراني أو الطفاوي أبو زيد البصري - ثقة - من العاشرة وهو من كبار شيوخ البخاري مات سنة ٢١٠ روى له البخاري . التقريب ٣٤٠.

(٣) هشام بن أبي عبد الله سنبر بمهملة ثم نون ثم موحدة أبو بكر البصري الدستوائي بفتح الدال وسكون سين مهملتين وفتح المثناة ثم مد - ثقة ثبت - وقد رمي بالقدر . التقريب ٣٦٤.

(٤) صحيح البخاري ٥/٩٢ كتاب المغازي.

وقد أورده البخاري على عادته في عدة أماكن[١] كما رواه مسلم[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤] قال الحافظ:

وفي حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي: (أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شاء الله)[٥].

أما النسائي فلم يصرح بأن ذلك كان يوم الخندق[٦].

أما الترمذي فقد روى حديث ابن مسعود الذي ذكره الحافظ إلا أن فيه أن المشركين شغلوا النبي ﷺ وأصحابه عن أربع صلوات وهذا نصه:

قال الترمذي رحمه الله:

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٦٨/٢ كتاب المواقيت ، ٧٢/٢، ١٢٣/٢ كتاب الأذان، ٤٣٤/٢ كتاب الخوف.

(٢) صحيح مسلم ٣٤٨/١ كتاب المساجد.

(٣) سنن الترمذي ١١٦/١.

(٤) سنن النسائي ٢٩٧/١.

(٥) فتح الباري ٦٩/٢.

(٦) سنن النسائي ٢٩٧/١.

حدثنا هناد[١] حدثنا هشيم[٢] عن أبي الزبير[٣] عن نافع[٤] بن جبير بن مطعم عن أبي عبيدة[٥] بن عبد الله بن مسعود قال: قال عبد الله بن مسعود إن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شاء الله فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء.

قال الترمذي وفي الباب عن أبي سعيد وجابر.

قال أبو عيسى حديث عبد الله ليس بإسناده بأس إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله قال وهو الذي اختاره بعض أهل العلم في الفوائت أن

---

(١) هناد بن السرى بتشديد النون بعدها ألف وكسر الراء الخفيفة ابن مصعب التميمي أبو السري الكوفي (ثقة). التقريب ٣٦٥.

(٢) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي أبو معاوية بن أبي خازم بمعجمتين الواسطى (ثقة ثبت) كثير التدليس والإرسال الخفي . التقريب ٣٦٥ .

(٣) هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي مولاهم أبو الزبير المكي (صدوق) إلا أنه يدلس . التقريب ٣١٨.

(٤) نافع بن جبير بن مطعم النوفلي أبو محمد أو أبو عبد الله المدني (ثقة فاضل). التقريب ٣٥٥.

(٥) أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود مشهور بكنيته والأشهر أنه لا اسم له غيرها ويقال اسمه عامر كوفي (ثقة) من كبار الثالثة والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه مات سنة ثمانين . التقريب ٤١٦.

يقيم الرجل لكل صلاة إذا قضاها وإن لم يقم أجزأه وهو قول الشافعي[١].

وبذلك قال ابن عبد البر فقد بين أن الذي فاقم يوم الأحزاب إنما هي أربع صلوات قال أبو عمر بعد أن ساق اختلاف الأئمة حول قضاء الفوائت هل يؤذن ويقيم لكل صلاة أم يقيم فقط أم لا يؤذن ولا يقيم...الخ.

وقال: روى هذا الخبر عن النبي ﷺ أبو سعيد الخدري وابن مسعود[٢] أما حديث ابن مسعود فقد رواه الترمذي وقد تقدم وبين الترمذي هناك أنه لا بأس به، وقال إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود وقد أكد ذلك الحافظ[٣].

أما حديث أبي سعيد الخدري فقد رواه أحمد بسند رجاله ثقات وقد أثبته ابن عبد البر وكلا الطريقين[٤] عن ابن أبي ذئب[٥] عن المقبري[٦]

(١) سنن الترمذي ١١٥/١ باب ما جاء في الرجل تفوته الصلوات بأيتهن يبدأ.
(٢) التمهيد ٢٣٤/٥- ٢٣٧.
(٣) التقريب ٤١٦.
(٤) أي الطريق التي رواه بها أحمد والطريق التي أخرجه بها ابن عبد البر.
(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري الحارث المدني (ثقة فاضل) . التقريب ٣٠٨.
(٦) هو سعيد بن أبي سعيد بن كيسان المقبري أبو سعد المدني ثقة من الثالثة تغير قبل موته بأربع سنين وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة مات في حدود العشرين وقيل قبلها وقيل بعدها . التقريب ١٢٢.

عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري وفيه أن رسول الله ﷺ دعا بــلالاً فأقام فصلى الظهر ثم أقام العصر ثم أقام المغرب ثم أقام العشاء وذلك قبل أن ينــزل الله في صلاة الخوف ﴿ فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً ﴾[١].

وقد اختلف العلماء في ذلك على ما يلي:

١- مالك والشافعي والأوزاعي وأصحابهم قالوا فيمن فاتته صــلاة أو صلوات حتى خرج وقتها أنه يقيم لكل واحدة إقامة ولا يؤذن.

٢- الثوري قال ليس عليه في الفوائت أذان ولا إقامة.

٣- أبو حنيفة وأصحابه قالوا من فاتته صلاة واحدة صــلاها بــأذان وإقامة فإن لم يفعل فصلاته تامة.

٤- قال محمد بن الحسن إذا فاتته صلوات فإن صلاهن بإقامة إقامــة كما فعل النبي ﷺ يوم الخندق فحسن وإن أذن وأقام لكل صــلاة فحسن و لم يذكر خلافاً.

٥- أحمد بن حنبل وأبو ثور وداود بن علي قالوا يؤذن ويقيم لكــل صلاة فاتته على ما روي عن النبي ﷺ إذ نام عن الصلاة وهذا هو الراجح ثم عقب قائلاً:

---

(١) مسند أحمد ٤٩/٣.

حجة من قال إنه يقيم لكل صلاة فاتته ولا يؤذن لها أن رسول الله ﷺ حبس يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء إلى هوي من الليل ثم أقام لكل صلاة و لم يؤذن. وروى هذا الخبر عن النبي ﷺ أبو سعيد الخدري وابن مسعود وقد تقدم[١].

ثم أورد[٢] حديث ابن مسعود كما ورد عند الترمذي بنفس السند إلا أنه قال هكذا قال هشيم في هذا الحديث فأذن ثم أقام فصلى الظهر فذكر الأذان للظهر وحدها قال: وكذلك رواه أبو بكر بن أبي شيبة[٣] عن هشيم سواء. وخالفه هشام الدستوائي فقال فيه فأمر بلالاً فأقام فصلى الظهر و لم يذكر أذاناً للظهر ولا لغيرها.

ثم ذكر رحمه الله سنداً آخر له ولكنه عن أبي عبيدة وقد ثبت أنه لم يسمع من أبيه وفيه فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأقام فصلى الظهر وفي آخره ثم طاف علينا فقال ما على الأرض عصابة يذكرون الله غيركم[٤] إلا أنه لم يصرح عند أحمد بأن ذلك كان يوم الخندق وعلى كل حال وعلى ضوء ما تقدم فالحديث منقطع.

---

(١) التمهيد ٥/٢٣٤- ٢٣٧.

(٢) أي ابن عبد البر.

(٣) المصنف ٢/٧٠.

(٤) مسند أحمد ١/٤٢٣.

أقول:

وفي هذا دليل على أن الذي فاتهم من الصلوات أربع وهذا لا ينطبق على العشاء لأن وقتها ممتد قال الحافظ[١] لأن العشاء لم تكن فاتت.

قال: قال اليعمري[٢] من الناس من رجح ما في الصحيحين وصرح بذلك ابن العربي فقال إن الصحيح أن الصلاة التي شغل عنها رسول الله ﷺ واحدة هي العصر قلت: ويؤيده حديث علي في مسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر قال ومنهم من جمع بأن الخندق كانت وقعته أياماً فكان ذلك في أوقات مختلفة في تلك الأيام.

قال وهذا أولى. قلت[٣] ويقربه روايتي أبي سعيد وابن مسعود وليس فيهما تعرض لقصة عمر بل فيهما أن قضاءه وقع بعد خروج وقت المغرب[٤]. وهذا أولى بمعنى أنه إذا لم نرجح ما في الصحيحين فالمصير إلى الجمع أفضل خروجاً من المعارضة.

---

(١) فتح الباري ٢/٦٩.

(٢) هو ابن سيد الناس وقد تقدم.

(٣) أي الحافظ ابن حجر.

(٤) فتح الباري ٢/٧٠.

قال الحافظ[١]:

وقد اختلف في سبب تأخير النبي ﷺ الصلاة ذلك اليوم؟. فقيل كان ذلك نسياناً واستبعد أن يقع ذلك من الجميع ويمكن أن يستدل له بما رواه أحمد من حديث أبي جمعة[٢] أن رسول الله ﷺ صلى المغرب فلما سلم قال هل علم رجل منكم أني صليت العصر؟ قالوا لا يارسول الله فصلى العصر ثم صلى المغرب : قال وفي صحة هذا الحديث نظر لأنه مخالف لما في الصحيحين من قوله ﷺ لعمر (والله ما صليتها). ويمكن الجمع بينهما بتكلف.

وقيل كان عمداً لكونهم شغلوه فلم يمكنوه من ذلك وهو أقرب لاسيما وقد وقع عند أحمد[٣] والنسائي[٤] من حديث أبي سعيد أن ذلك كان قبل أن يترل الله في صلاة الخوف ﴿ فرجالاً أو ركبانا ﴾[٥].

---

(١) فتح الباري ٦٩/٢.

(٢) أبو جمعة الأنصاري أو الكناني اسمه حبيب بن سباع ويقال جنبذ بضم الجيم والموحدة بينهما نون ساكنة ابن سباع صحابي سكن الشام ثم مصر مات بعد السبعين . التقريب ٣٩٩، الاستيعاب ١٨٧/٤.

(٣) مسند أحمد ٤٩/٣.

(٤) سنن النسائي ١٧/٢.

(٥) سورة البقرة جزء من آية ٢٣٩.

وكونهم تركوها عمداً هو الأقرب كما ذكر ذلك الحافظ لأنهم شغلوه ﷺ فلم يمكنوه من ذلك لأنه قد بلغ الضيق والجهد والكرب والخوف بهذه الصفوة المباركة شأوا بعيداً إلى درجة أنهم في تلك اللحظات الأخيرة من محنة الغزو المرعب جاءوا إلى النبي ﷺ وأفصحوا له بصراحة عما يعانونه من شدة الخوف والضيق والكرب فقالوا له يارسول الله لقد بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء نقوله قال نعم قولوا: (اللهم أستر عوراتنا وآمن روعاتنا) .

وهذا الحديث رواه أحمد(١) وابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن أبي عامر وقد حسنه الألباني(٢).

وخلاصة القول أن فوات الصلاة أو الصلوات عليهم في تلك الأيام كانت قبل نزول الأمر بصلاة الخوف وقد صرح بذلك الحافظ(٣) وغير واحد. وأن نزولها كان في غزوة ذات الرقاع(٤).

وقد نقل الحافظ الاختلاف فيها وأثبت أنها بعد الخندق كما ذكر

---

(١) مسند أحمد ٣/٣.

(٢) حاشية فقه السيرة للغزالي ٢٢٩.

(٣) فتح الباري ٧/٤٢١- ٤٢٤.

(٤) غزوة ذات الرقاع ذكرها ابن سعد قبل الخندق ولكن الراجح ما رجحه البخاري وبعده الحافظ وصاحب أضواء البيان.

ذلك ابن عبد البر[١] ورجح ذلك الشنقيطي[٢] حيث قـــال: واعلـــم أن التحقيق أن غزوة ذات الرقاع بعد خيبر وإن جزم جماعـــة كـــبيرة مـــن المؤرخين بان غزوة ذات الرقاع قبل خيبر قال: والدليل على ذلك الحديث الصحيح أن قدوم أبي موسى الأشعري على النبي ﷺ حـــين خيـــبر مـــع الحديث الصحيح أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع.

وقد قال البخاري رحمه الله: باب غزوة ذات الرقاع وهي غـــزوة محارب خصفة من بني ثعلبة من غطفان فنـــزل نخلاً وهي بعد خيـــبر لأن أبا موسى الأشعري جاء بعد خيبر ثم قال رحمه الله: بل التحقيق أن صلاة الخوف ما شرعت إلا بعد الخندق.

---

(١) التمهيد ٥/٢٣٤.

(٢) أضواء البيان ١/٣١٠- ٣١٢.

الفصل الثالث

دور سعد بن معاذ وبلاؤه

في هذه الغزوة

الفصل الثالث: دور سعد بن معاذ وبلاؤه في هذه الغزوة

كان سعد بن معاذ -رضي الله عنه- من السابقين الأولين لاعتناق هذا الدين الحنيف بل أنه بإسلامه أسلم قومه بني عبد الأشهل وقد أسلم -رضي الله عنه- على يد أول سفير أرسله رسول الله ﷺ إلى المدينة كان ذلك على يد مصعب بن عمير -رضي الله عنه وأرضاه-.

وقد شهد سعد رضي الله تعالى عنه بدراً وكان له الموقف المشجع والشهير والذي حمده عليه رسول الله ﷺ. حيث قال للرسول ﷺ بعد كلام جميل ... فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقي بنا عدونا غداً أنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله. قال فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه[١].

وقال ابن الأثير:

ومقاماته في الإسلام مشهورة وكبيرة ولو لم يكن له إلا يوم بدر لكفى[٢]. أما دوره في هذه الغزوة فهو عظيم حيث أنه رضي الله عنه

(١) البداية والنهاية ٢٦٢/٣.

(٢) أسد الغابة ٢٩٨/٢- ٢٩٩.

جاهد في الله حق جهاده حتى ضحى في النهاية بنفسه في سبيل الله وفي سبيل إعلاء دينه حيث مات شهيداً من آثار رمية رماه بها أحد المشركين أيام غزوة الأحزاب، وسلم نفسه رضي الله عنه لله راضياً مرضياً.

بعد أن حكم في بني قريظة حيث كانت مشاعر التغيظ في أفئدة المسلمين نحوهم قد بلغت ذروتها. وعن مشاركته في الخندق يقول ابن إسحاق:

وحدثني أبو ليلي عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة[١] أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ في الحصن قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب قالت فمر سعد وعليه درع مقلصة[٢] قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرقد[٣] بها ويقول:

---

(١) أبو ليلى عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري المدني ويقال اسمه عبد الله - ثقة - من الرابعة. قال البخاري عبد الله بن سهل سمع من عائشة. التقريب ٤٢٤، تهذيب التهذيب ٢١٥/١٢.

(٢) مقلصة: قصيرة قد ارتفعت يقال تقلص الشيء إذا ارتفع وانقبض. مختار الصحاح ٥٤٨، النهاية في غريب الحديث ١٠٠/٤ حيث قال ومنه حديث عائشة أنها رأت على سعد درعاً مقلصة. أي مجتمعة منضمة.

(٣) هكذا في سيرة ابن هشام ٢٢٦/٢ ثم قال الشراح في الهامش: يرقد يسرع وفي سائر الأصول: يرقل: والظاهر أنها كما في الأصل: يرقد - قال في القاموس المحيط ==

لبث قليلاً يشهد الهيجاء حمل[1] لا بأس بالموت إذا حـــان الأجـــل

فقالت أمه[2] إلحق بني فقد والله أخرت قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ[3] مما هي عليه قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل[4]

(=) أثناء شرحه لكلمة (الرقد) والأرقداد الأسراع. وهو مصدر. انظـر القـاموس ٢٩٥/١ . وكما قال السهيلي أن يرقد بمعنى يسرع - الروض الأنـف ٢٨٠/٣ ويمكن أن تكون (يرقل) إلا أنها بعيدة بناء على ما ذكره صاحب القاموس حيث قال في ٣٨٦/٣ في كلمة الرقلة وأرقل أسرع: على وزن أفعل . ويمكن أن تكون (يرفل) بالفاء المعجمة الموحدة بناء على ما ذكره صاحب القاموس حيث قـال في ٣٨٦/٣ في كلمة - رفل - وأرفل جر ذيله وتبختر أو خطر بيده. وقد جـاء في غزوة أحد أن أباد جانة كما قال ابن إسحاق كان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب وأنه خرج عصابة حمراء فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين فلما رآه ﷺ قال أنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن. انظر البداية والنهاية ١٥/٤ والله أعلم.

(١) ورد في بعض الأصول (جمل) بالجيم المعجمة ويبدو أنه تصحيف والحق أنه حمـل بن سعد بن حارثة بن معقل بن عليم بن جناب الكلبي. انظر: الـروض الأنـف للسهيلي ٢٨٠/٣، فقه السيرة للغزالي هامش صفحة ٣٢٧.

(٢) اسمها كبشة بنت رافع وهذا يدل على تضحيتها وفدائها حيث تحث ابنـها علـى الإسراع إلى الجهاد في سبيل الله. وانظر ترجمتها في الاستيعاب ٤٦٠/٤ .

(٣) أسبغ: أكمل وأطول.

(٤) الأكحل عرق في الذراع ويسمى عرق الحياة وهو في وسط الذراع ويقـال أن في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الأكحل وفي الظهر الأبهر وفي الفخذ النســاء إذا قطع لم يرقأ الدم. انظر النهاية في غريب الحديث ١٥٤/٤، فتح الباري ٤١٣/٧.

رماه كما حدثني عاصم بن قتادة[1] حبان[2] بن قيس بن العرقة[3] أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة فقال له سعد:

عرق الله وجهك في النار[4] اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه.

اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله[5] لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة[6]. والحديث حسن على ضوء هذا السند.

وقد أورده الهيثمي بسياق أطول مما هنا وفيه تفسير لبعض الغريب وهذا نصه: وعن عائشة قالت خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس فسمعت وئيد الأرض من ورائي يعني حس الأرض قالت فإذا أنا بسعد

---

(١) قد تقدمت ترجمته.

(٢) قال السهيلي في الروض ٣/٢٨٠ والذي رمى سعداً هو حبان بن قيس وقد قيل في الذي رماه غير ذلك وسيأتي.

(٣) العرقة اسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم سميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة أم أمها هالة وتكنى أم فاطمة. الروض الأنف ٣/٢٨٠.

(٤) وفي مكان آخر أن قائل هذا الدعاء هو النبي ﷺ.

(٥) الضمير يرجع إلى الجرح الذي حصل له من الرمية التي رمي بها رضي الله عنه.

(٦) السيرة النبوية ٢/٢٢٧.

بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه[١] قالت فجلست إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم قالت فمر وهو يرتجز[٢].

قالت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبغة له تعني المغفر فقال عمر ما جاء بك لعمري إنك لجريئة وما يؤمنك ألا يكون تحوز[٣] قالت فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها، قال[٤] فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله فقال ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز والفرار إلا إلى الله تعالى قالت ويرمي سعداً رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له فقال له

---

(١) المجن: هو الترس لأنه يواري حامله أي يستره والميم زائدة. النهاية في غريب الحديث ٣٠٨/١.

(٢) قولها يرتجز إشارة إلى البيت الذي قاله وثبت عند ابن إسحاق وهو: لبث قليلاً يشهد الهيجا حمل.

(٣) ذكر ابن الأثير في مادة (حوز) ومعناه التنحي إلى مكان آمن كما في قوله تعالى: ﴿ أو متحيزاً إلى فئة ﴾ النهاية لابن الأثير بتصرف ٤٥٩/١.

(٤) احسب أن بدل قال قلت حتى تعود لعائشة كسابقه.

خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله سعد فقال اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فيخرجوا من صياصيهم[1]. ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من أدم[2] فضربت على سعد في المسجد[3]. أ.هـ. من حديث طويل ذكر فيه بني قريظة أيضاً.

وقد خرج حديث عائشة هذا الطبري[4] كما ذكره ابن كثير[5] وغيره من المؤرخين. قال الهيثمي قلت: في الصحيح بعضه[6] ثم قال: رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات.

وهو من زوائد عبد الله بن أحمد وهذا نصه:

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا ابن نمير ثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن

(١) صياصيهم: حصونهم.

(٢) من أدم أي من جلد وقد جاء أنها خيمة رفيدة الأسلمية لأنها كانت تداوى فيها الجرحى. انظر: البداية والنهاية ٤/١٢١.

(٣) مجمع الزوائد ٦/١٣٧.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٣/٤٩- ٥٠.

(٥) البداية والنهاية ٤/١٠٨.

(٦) مجمع الزوائد ٦/١٣٨.

العرقة في الأكحل فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب [١]. والحديث بهذا السند يعتبر صحيحاً والله أعلم.

قلت: وذكره الألباني في الصحيحة[٢] وعزاه إلى من تقدم ذكرهم.

وقال الحاكم:

سعد يكنى أبا عمرو وكان لواء الأوس معه يوم الخندق فرمي في أكحله بسهم فقطعه ونزف وذلك في سنة خمس من الهجرة أ.هـ. [٣]

وقال ابن الأثير:

ورمي سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله رماه حبان بن قيس بن العرقة... وساق الكلام بمثل ما جاء في حديث عائشة المتقدم[٤]. كما ذكر ذلك البيهقي عن ابن إسحاق[٥].

قال المقريزي في سياقه لحديث الخندق:

قال محمد بن مسلمة وغيره كان ليلنا بالخندق نهاراً وكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه .. إلى أن قال:

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥٦/٦، ١٤١ وهو في الأخيرة أتم.

(٢) ١٠٣/١.

(٣) المستدرك ٢٠٥/٣.

(٤) الكامل ١٢٤/٢- ١٢٥.

(٥) الدلائل ٤٤١/٣.

حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفاً شديداً وكان معهم رماة يقـدمونهم إذا غدوا متفرقين أو مجتمعين بين أيديهم وهم حبان بن العرقة وأبو أسامة الجشمي في آخرين[١] فتناوشوا يوماً بالنبل ساعة وهم جميعـاً في وجـه واحد وجاه قبة رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ قائم بسلاحه على فرسـه فرمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله وقال خـذها وأنا ابن العرقة فقال ﷺ عرق الله وجهه في النار ويقال بل رماه أبو أسامة الجشمي أ.هـ.[٢]

قال ابن الأثير وقيل إن الذي رمى سعداً هو أبو أسـامة الجشـمي حليف بني مخزوم[٣]. قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبيـد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول:

ما أصاب سعداً يومئذ بالسهم إلا أبو أسامة الجشمي حليف بـني مخزوم وقال في ذلك شعراً ذكره ابن إسحاق حيث قال: وقد قـال أبـو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل:

(١) وقيل كان ثالثهم وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه في غزوة أحد.

(٢) إمتاع الأسماع ٢٣٢/١.

(٣) الكامل ١٢٥/٢.

أعكرم هـلا لمتني إذ تقـول لي فـداك بآطـام المـدينة خالـد
ألست الذي ألزمت سعداً مرشة لها بين أثناء المـرافق عانـد[١]
قضى نحبـه منها سعيد فاعولت عليه مـع الشمط العذاري النواهد[٢]

وكان قد قال ابن إسحاق:

رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حبان بـن قـيس بـن العرقة...الخ[٣]. وبهذا القول قال الطبري[٤].

أما ابن هشام فقد قال:

ويقال إن الذي رمى سعداً: خفاجة بن عاصم بن حبان[٥]. وعلى كل حال فالله أعلم أي ذلك كان فبالنسبة للقولين الذين ذكرهمـا ابـن إسحاق فهما منقطعان والذين روى عنهما ابن إسحاق كلاهما ثقـة إلا أنهما متأخران. فأحدهما من الطبقة الثالثة وهو عبيد الله بن كعب والثاني من الطبقة الرابعة وهو عاصم بن عمر بن قتادة.

---

(١) العاند: العرق الذي لا ينقطع منه الدم.

(٢) النحب: الموت وأعولت بكت بصوت مرتفع والشمط جمع شمطاء وهي التي خالط شعرها الشيب والعذارى الأبكار والنواهد جمع ناهد وهي التي ظهر نهدها. السيرة النبوية ٢/٢٢٧.

(٣) انظر: السيرة النبوية ٢/٢٢٧.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٢/٤٩.

(٥) السيرة النبوية ٢/٢٢٨.

أما رأي ابن هشام فقد ورد بصيغة التمريض فهو متنـــف وبعيـــد. والراجح مع القائلين بأنه - حبان بن العرقة - لكثرتهم أما من قال أنه أبو أسامة الجشمي فلعله شارك إلا أنه ينتفي لتحديدهم الرمية في الأكحل.

قال ابن الأثير:

فلما قال سعد ما قال انقطع الدم وقد أعطاه الله ما طلب فانـــدمل جرحه واستمر يجاهد مع رسول الله ﷺ في تلك الغزوة(١).

قال ابن كثير:

وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة أقـــر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك. فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم حتى أن الرسول ﷺ قال له لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة(٢).

هذا جانب من جهاد سعد بن معاذ رضي الله عنه وهـــو جانـــب مشرق حقاً يدل لذلك دعاءه عندما أصيب في أكحله وقد روى البخاري حديثاً اشتمل على بعض ما تقدم وفيه زيادة حسنة وهذا نصـــه: قـــال البخاري رحمه الله:

---

(١) الكامل ١٢٥/٢.

(٢) البداية والنهاية ١٠٨/٤.

حدثنا زكريا بن يحي[1] حدثنا عبد الله بن نمير[2] حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة رماه في الأكحل فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعته أخرج إليهم قال النبي ﷺ فأين: فأشار إلى بني قريظة فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم. قال هشام:

فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه. اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك وإن كنت وضعت الحرب

---

(١) زكريا بن يحي بن زكريا بن أبي زائدة الوادعي أبو زائدة الكوفي صدوق من الحادية عشرة روى له (خ) التقريب ١٠٨.

(٢) عبد الله بن نمير بنون مصغراً همداني أبو هشام الكوفي - ثقة صاحب حديث- من أهل السنة من كبار التاسعة مات سنة ١٩٩هـ. التقريب ١٩٢.

فأفجرها واجعل موتى فيها. فانفجرت من لبته[١] فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار - إلا الدم يسيل إليهم. فقالوا يا أهل الخيمة ما هـذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو[٢] جرحه دماً فمات منها رضي الله عنه. أ.هـ.[٣]

ورواه أحمد بأخصر من هذا[٤] عن ابن نمير وتقدم في أول هـذا المبحث: وقد ساق الترمذي حديثاً يبين معاناة سعد من ذلك الجرح ولما دعا الله استمسك حتى أقر الله عينه في بني قريظة ووفى له ما طلب مات رضي الله عنه.

قال أبو عيسى رحمه الله:

---

(١) انفجرت من لبته: اللبة بفتح اللام وتشديد الموحدة هي موضع القلادة من الصدر وهو مشكل حيث أنه الأكحل بعيد عن لبته إلا أن الحافظ بين ذلك حيث قال: وكان موضع الجرح ورم حتى اتصل إلى صدره فأنفجر من ثم . انظر: الفتح ٤١٥/٧ وعن سبب الانفجار قال الحافظ بين سبب ذلك في مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد ولفظه: أنه مرت به عتر وهو مضطجع فأصاب ظلفها الجرح فانفجر حتى مات. انظر: فتح الباري ٤١٥/٧.

(٢) يغذو بغين وذال معجمتين أي يسيل.

(٣) صحيح البخاري ٥١/٥، فتح الباري ٤١١/٧- ٤١٥.

(٤) مسند الإمام أحمد ٥٦/٦.

حدثنا قتيبة حدثنا الليث[١] عن أبي الزبير عن جابر أنه قال (رمـــي يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله أو أبجله[٢] فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده فتركه فترفه[٣] الدم فحسمه أخرى فانتفخت يده فلما رأى ذلك قال:

اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فأرسل إليه فحكم أن يقتل رجالهم وتستحي نساؤهم يستعين بهم المسلمون فقال رســـول الله أصبت حكم الله فيهم، وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات[٤]. ورواه مسلم[٥] بأخصر من هذا وفيه فحسمه رســـول الله ﷺ بمشقص[٦] وفيه بدل انتفخت ورمت ورواه أحمد[٧] والدارمي[٨] وقـــد

(١) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري - ثقة ثبت - فقيه إمام مشهور من السابعة مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة. التقريب ١٨٧.

(٢) شك من الراوي وكلاهما يصح فالأكحل تقدم بيانه والأبجل قال فيـــه صـــاحب القاموس هو عرق غليظ في الرجل وفي اليد بإزاء الأكحل. القاموس ٣٣٢/٣ .

(٣) الترف: هو السيلان بكثرة.

(٤) سنن الترمذي ٧١/٣، ٧٢ وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٥) صحيح مسلم ١٧٣١/٤ كتاب السلام.

(٦) المشقص: هو حديد طويل غير عريض كنصب السهم. انظر: القاموس ٣٠٦/٢.

(٧) مسند الإمام أحمد ٣١٢/٣، ٣٥٠، ٣٨٦.

(٨) سنن الدارمي ١٥٦/٢.

أورده ابن كثير[1] بهذا اللفظ وعزاه للإمام أحمد.

فضله رضي الله عنه:

كان رضي الله عنه في أثناء حياته ملازماً لرسول الله ﷺ لم يخرج إلى غزوة إلا خرج سعد معه فنجده في الغزوات المشهورة والعظيمة مثل بدر وما قام به من دور فيها مشهور وفي غزوة أحد كان له دوره المشرف وجاءت غزوة الخندق حيث أراد الله له الحسنى فضرب أروع الأمثلة.

وحتى بعد أن رمي في أكحله استمر مجاهداً في سبيل الله حتى حقق الله ما طلب وشفى قلبه من اليهود الذين خذلوا دين الله وخذلوا رسوله في وقت عصيب ولكن الله سبحانه وتعالى رد كيدهم في نحورهم، وحكم فيهم سعد رضي الله عنه فأخذوا وقتلوا تقتيلاً على مرأى ومسمع من المسلمين وذلك انتقام من الله جزاء بعض ما فعلوه.

عقب ذلك كله مات رضي الله عنه راضياً مرضياً. ويظهر فضله ويبرز للعيان بعد موته ونعمت النهاية التي جاهد في حياته لنيلها يتمثل ذلك في اهتزاز العرش لموته روى الإمام مسلم رحمه الله حيث قال:

---

(١) البداية والنهاية ٤/١٢٠، التفسير ٤/٤٧٨.

حدثنا عبد بن حميد[١] أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج[٢] أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله ﷺ وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم (إهتز لها عرش الرحمن) ... الحديث[٣].

كما رواه البخاري[٤] والترمذي[٥] والنسائي[٦] ولفظه (تحرك له العرش) - ولم يذكر فيه سعد - وابن ماجه[٧] وأحمد[٨].

ما قاله العلماء حول تفسير هذا الحديث:

قال النووي وقد اختلف العلماء في تأويله. فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحاً بقدوم سعد وجعل الله في العرش تمييزاً

---

(١) عبد بغير إضافة ابن حميد بن نصر أبو محمد - ثقة حافظ ت ٢٤٩هـ. التقريب ٢١٩.

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي - ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل. التقريب ٢١٩.

(٣) صحيح مسلم ١٩١٥/٤ كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح البخاري مناقب الأنصار ١٢، الفتح ١٢٢/٧.

(٥) سنن الترمذي ٣٥٣/٥ المناقب.

(٦) سنن النسائي ١٠١/٤.

(٧) سنن ابن ماجه المقدمة ٥٦/١.

(٨) مسند أحمد ٢٤/٣، ٢٣٤، ٤٥٢/٤، ٣٢٩/٦، ٤٥٦.

حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (١)الآية. وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار.

وقال آخرون المراد اهتزاز العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة فحذف المضاف والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها(٢).

وكانت هذه المنقبة العظيمة له عند موته.

كما أن منزلته رضي الله عنه في الجنة عظيمة وذلك لما قدمه من تضحيات وفداء في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمته ونصر دينه فوفاه الله ما وعده لذلك قال البخاري رحمه الله: حدثنا مسدد(٣) حدثنا يحي بن سعيد(٤) عن سفيان(٥) قال حدثني أبو إسحاق(٦) قال سمعت البراء بن

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية ٧٤.

(٢) صحيح مسلم وشرحه للنووي ١٩١٥/٤.

(٣) مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي البصري أبو الحسن - ثقة - حافظ من العاشرة ت سنة ثمان وعشرين بعد المائتين ويقال اسمه عبد الملك بن عبد العزيز ومسدد لقبه. التقريب ٣٣٤.

(٤) يحي بن سعيد هو القطان وهو ثقة وقد تقدم.

(٥) سفيان هو الثوري وقد تقدم.

(٦)أبو إسحاق هو السبيعي ثقة وقد تقدم.

عازب رضي الله عنهما قال أُتي رسول الله ﷺ بثوب من حرير فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه فقال رسول الله ﷺ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا؟ (١).

كما رواه مسلم(٢) والترمذي(٣) والنسائي(٤) وابن ماجه(٥) والإمام أحمد(٦). هذا جانب من دوره رضي الله عنه في سبيل نصر هذا الدين حتى إنه وفي آخر أيامه وبعد إصابته في أكحله صبر وصابر واحتسب وهانت نفسه في سبيل الله ودعا بدعائه المشهور وأبقاه الله حتى نفذ حكم الله في أعداء الله وأعداء رسوله وما مات حتى قرت عينه ورضي قلبه من أولئك اليهود الذين ما فتئوا يكيدون للإسلام وأهله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

أما حكمه رضي الله عنه في بني قريظة فكان قوياً ومؤثراً وقاطعاً لدابر أي محاولة أخرى من قبل اليهود حيث صدر الحكم ممن يرجون

---

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب ص ١٢، بدء الخلق ب ٨ ، والفتح ٦/٣١٩.

(٢) صحيح مسلم ٤/١٩١٦ فضائل الصحابة.

(٣) سنن الترمذي ٣/١٣٣، ٥/٣٥٢.

(٤) سنن النسائي ٨/١٩٩.

(٥) سنن ابن ماجه ١/٥٥- ٥٦.

(٦) مسند الإمام أحمد ٣/١١١، ١٢٢، ٢٠٧.

ويأملون منه المساعدة وهذه حكمة الله حيث أهلكهم بحكم سعد رضي الله عنه وكانوا حلفاؤه ومواليه ولكنه رضي الله عنه أطلق كلمته المشهورة (قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم) [١].

قال ابن سعد:

وبعد أن حكم فيهم مرت عنـــز وهو مضطجع فأصابت الجـــرح بظلفها فما رقأ حتى مات[٢] قال ابن إسحاق وقالت أمه حين احتمل سعد على نعشه تندبه:

ويل أم سعد سعدا صرامـــة وجـــدا
وســـؤدداً ومجـــدا وفـــارساً معـــدا
ســـدبـــه مســـدا يقـــدها ما قـــدا[٣]

قال ابن كثير وكانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ثم استطرد مبيناً حديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت: ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك قال فانفجر

---

(١) البداية والنهاية ١٢٤/٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٧٨/٢، فتح الباري ٤١٥/٧.

(٣) يقدها يقطعها . انظر: السيرة النبوية ٢٥٢/٢.

كلمه وكان قد برئ حتى لا يرى منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت: فو الذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكـــاء أبي بكر وانا في حجرتي وكانوا كما قال الله ﴿ رحماء بينهم ﴾[1]. قـــال علقمة فقلت يا أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإنما آخذ بلحيته[2]. قال ابن كـــثير وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة.

---

(١) سورة الفتح الآية الأخيرة.

(٢) البداية والنهاية ١٢٤/٤، الصحيحة للألباني ١٠٥/١.

الفصل الرابع

دور نعيم بن مسعود الأشجعي

في هذه الغزوة

الفصل الرابع:

دور نعيم بن مسعود الأشجعي في هذه الغزوة

إن دور نعيم -رضي الله عنه- في هذه الغزوة عظيم. خاصة إذا عرفنا أنه في أول أيام دخوله في الإسلام. وقد اشتهر هذا الدور عند المؤرخين.

بيد أني رغم ذلك لم أجد سنداً يؤكده ويؤيده، ولكنه مستفيض عند المؤرخين وقد كان دوره حاسماً في القضية حيث شتت الله شملهم، وفرق جمعهم، وأرسل الله عليهم الريح، وجنوداً من عنده - وكان السبب في زعزعة الأحزاب هو نعيم بعد الله عز وجل-.

قال ابن إسحاق عن هذا الدور:

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن منقذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله: إنما أنت فينا رجل واحد فخذّل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة(١).

(١) صحيح البخاري الجهاد ١٥٧، المناقب ٢٥، الإستبانة٦، وأخرجه مسلم في الجهاد ١٨، ١٩، الزكاة ١٥٣، وأبو داود في الجهاد ٩٢، والسنة ٢٨، كما ==

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية؛ فقال يا بني قريظة قد عرفتم وُدِّي إياكم وخاصةَ ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم إن قريشاً وغطفانَ ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره.

وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره. فليسوا كأنتم.

فإن رأوا نهزة[1] أصابوها؛ وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه. فقالوا له لقد أشرت بالرأي.

قال[2]: ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن

(=) أخرجه الترمذي في الجهاد ٥، وابن ماجه في الجهاد ٢٨، وأخرجه أحمد في مسنده ٨١/١، ٩٠، ١١٣، ١٢٦، ١٣١، ١٣٤، ٣١٢/٢، ٣١٤، ٢٢٤/٣، ٢٩٧، ٣٠٨، ٣٨٢/٦، ٤٥٩، انظر: فتح الباري ١٥٧/٦- ١٥٨ حيث قال الحافظ ذكر الواقدي أن أول ما قال النبي ﷺ الحرب خدعه في غزوة الخندق . وانظر: فتح الباري ٦١٨/٦ كتاب المناقب، ٢٨٣/١٢.

(١) النهزة اختلاس الشيء بسرعة والأصل - فرصة.

(٢) أي ابن إسحاق.

معه من رجال قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وأنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني، فقالوا نفعل قال تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم أن نعم فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني، فقالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا عني قالوا نفعل فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم[1].

هذا ما تناقله أهل السير عن نعيم، وبعضهم يذكر ما لا يذكره الآخر وبعضهم يزيد وبعضهم ينقص.

أما الواقدي فقد ذكر القصة باستفاضة وهذا كلامه:

---

(١) السيرة النبوية ٣/٢٢٩- ٢٣٠.

قال:

حدثنا عبد الله بن عاصم الأشجعي عن أبيه[١] قال: قال نعيم بن مسعود: كانت بنو قريظة أهل شرف وأموال، وكنا قوماً عرباً لا نخل لنا ولا كرم، وإنما نحن أهل شاة وبعير؛ فكنت أقدم على كعب بن أسد فأقيم عندهم الأيام أشرب من شرابهم وآكل من طعامهم ثم يحملونني تمراً على ركابي ما كانت. فأرجع إلى أهلي، فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ سرت مع قومي وأنا على ديني.

وقد كان رسول الله ﷺ عارفاً فأقامت الأحزاب ما أقامت حتى أجدب الجناب وهلك الخف والكراع[٢] وقذف الله عز وجل في قلبي الإسلام وكتمت قومي إسلامي، فأخرج حتى آتي رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء، وأجده يصلي فلما رآني جلس ثم قال ما جاء بك يا نعيم؟ قلت: إني جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فمرني بما شئت يا رسول الله فوالله لا تأمرني بأمر إلا مضيت له، قومي لا يعلمون إسلامي ولا غيرهم. قال ما استطعت أن تخذل الناس فخذل؛ قال: قلت أفعل ولكن يا رسول الله أقول؟ فاذن لي، قال: قل ما بدا لك فأنت في

(١) لم أجد لهما ترجمة.

(٢) يريد بالخف الإبل وفي بعض النسخ الحافر وهو الخيل.

حلّ، قال فذهبت حتى جئت بني قريظة فلما رأوني رحبـوا وأكرمـوني وحيوا وعرضوا علي الطعام والشراب، فقلت إني لم آت لشيء من هـذا وإنما جئتكم نصباً بأمركم وتخوفاً عليكم لأشير عليكم برأي، وقد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم فقالوا قد عرفنا ذلك وأنت عنـدنا على ما تحب من الصدق والبر، قال: فاكتموا عني قالوا نفعل قال إن أمر هذا الرجل بلاء – يعني النبي ﷺ – صنع ما قد رأيتم ببني قيقناع وبـني النضير وأجلاهم عن بلادهم بعد قبض الأموال.

وكان ابن أبي الحقيق قد سار فينا[1] فاجتمعنا معه لنصـركم وأرى الأمر قد تطاول كما ترون وأنكم والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة، أما قريش وغطفان فهم قوم جاءوا سيارة حتى نزلوا حيث رأيتم فإن وجدوا فرصة انتهزوها.

وإن كانت الحرب أو أصابهم ما يكرهون انشـمروا إلى بلادهـم وأنتم لا تقدرون على ذلك البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم وقد غلظ عليهم جانب محمد أجلبوا عليه أمس إلى الليل[2] فقتل رأسـهم عمرو بن عبد وهربوا منه مجرحين وهم لا غناء بهم عنكم لمـا يعرفـون

---

(١) يريد الذي ذهب محرضاً ضمن الوفد اليهودي.

(٢) اجلبوا: توعدوا بشر وأجلب على فرسه صاح. القاموس ١/٤٧.

عندكم[١]، فلا تقاتلوا مع قريش وغطفان حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، تستوثقون به منهم ألا يناجزوا محمداً، قالوا أشرت بالرأي علينا والنصح، ودعوا له وتشكروا وقالوا نحن فاعلون، قال ولكن اكتموا عني قالوا نعم نفعل.

ثم خرج إلى أبي سفيان بن حرب في رجال من قريش فقال: يا أبا سفيان قد جئتك بنصيحة فاكتم عني قال أفعل. قال تعلم أن قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمدٍ، وأرادوا إصلاحه. ومراجعته أرسلوا إليه وأنا عندهم أنّا سنأخذ من قريش وغطفان من أشرافهم سبعين رجلاً نسلمهم إليك تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم يعنون بني النضير – ونكون معك على قريش حتى نردهم عنك، فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهناً فلا تدفعوا إليهم أحداً، واحذروهم على أشرافكم، ولكن اكتموا عني ولا تذكروا من هذا حرفاً قالوا لا نذكره، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان إني رجل منكم فاكتموا عني واعلموا أن قريظة بعثوا إلى محمد وقال لهم مثل ما قال لقريش فاحذروا أن تدفعوا إليهم أحداً من رجالكم، وكان رجلاً منهم فصدقوه[٢].

---

(١) يشير إلى أنهم أهل حلقة وسلاح.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٤٨١- ٤٨٢.

وأرسلت اليهود عزال بن سموأل إلى أبي سفيان بن حرب وأشراف قريش إن ثواءكم[١] قد طال، ولم تصنعوا شيئاً، وليس الذي تصنعون برأي، إنكم لو وعدتمونا يوماً تزحفون فيه إلى محمد فتأتون من وجه وتأتي غطفان من وجه ونخرج نحن من وجه آخر لم يفلت من بعضنا.

ولكن لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا بِرِهَانٍ[٢] من أشرافكم يكونون عندنا فإنا نخاف إن مستكم الحرب[٣] وأصابكم ما تكرهون شمرتم وتركتمونا في عقر دارنا وقد نابذنا[٤] محمداً بالعداوة، فانصرف الرسول إلى بني قريظة، ولم يرجعوا إليهم شيئاً، وقال أبو سفيان هذا ما قال نعيم، فخرج نعيم إلى بني قريظة فقال: يا معشر بني قريظة أنا عند أبي سفيان حتى جاء رسولكم إليه يطلب منه الرهائن فلم يرد عليه شيئاً فلما ولى قال لو طلبوا مني عناقاً[٥] ما رهنتها، أنا أرهنهم سراة أصحابي يدفعونهم إلى محمد يقتلهم، فارتأوا آراءكم حتى تأخذوا الرهن فإنكم إن لم تقاتلوا محمداً وانصرف أبو سفيان تكونوا على مواعدتكم الأولى. قالوا

---

(١) طال ثواءنا: أي طال مقامنا.

(٢) برهان: بكسر المعجمة فما بعدها من الرهن.

(٣) في بعض المراجع ضرستكم الحرب.

(٤) نابذنا: نبذ العهد إذا نقضه وألقاه إلى من كان بينه وبينه. النهاية ٥/٧.

(٥) العتاق: الأنثى من أولاد المعز.

نرجو ذلك يا نعيم؟ قال نعم قال كعب بن أسد فإنا لا نقاتله والله لقد كنت لهذا كارهاً، ولكن حيي رجل مشؤم.

قال الزبير بن باطا: إنْ انكشفت قريش وغطفان عن محمد لم يقبل منا إلا السيف، قال نعيم لا تخش ذلك يا أبا عبد الرحمن. قال الزبير بلى والتوارة، ولو أصابت اليهود رأيها، ولحِمَ الأمر، لتخرجن إلى محمد ولا يطلبون من قريش رهناً فإن قريشاً لا تعطينا رهنا أبداً . وعلى أي وجه تعطينا قريش الرهن وعددهم أكثر من عددنا ومعهم كراع ولا كراع معنا وهم يقدرون على الهرب ونحن لا نقدر عليه؟ وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض تمر الأوس وتنصرف فأبى محمد إلا السيف فهم ينصرفون بغير شيء[1].

فلما كانت ليلة السبت كان مما صنع الله تعالى لنبيه أن قال أبو سفيان يا معشر قريش إن الجناب. قد أجدب، وهلك الكراع، والخف، وغدرت اليهود، وكذبت وليس هذا بحين مقام فانصرفوا، قالت قريش فاعلم علم اليهود، واستيقن خبرهم، فبعثوا عكرمة بن أبي جهل حتى جاء بني قريظة عند غروب الشمس مساء ليلة السبت فقال: يا معشر اليهود

(١) مغازي الواقدي ٢/٤٨٢.

إنه قد طال المكث وجهد الخف والكراع وأجدب الجناب وإنا لسنا بدار مقامه.

اخرجوا إلى هذا الرجل حتى نناجزه بالغداة، قالوا غداً السبت لا نقاتل ولا نعمل فيه عملاً، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم إذا انقضى سبتنا حتى تعطونا رهاناً من رجالكم يكونون معنا لئلا تبرحوا حتى نناجز محمداً. فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتدعونا وإياه في بلادنا ولا طاقة لنا به، معنا الذراري والنساء والأموال فرجع عكرمة إلى أبي سفيان فقالوا ما وراءك؟ قال أحلف بالله أن الخبر الذي جاء به نعيم حق لقد غدر أعداء الله، وأرسلت غطفان إليهم مسعود بن رخيلة في رجال منهم بمثل رسالة أبي سفيان فأجابوهم بمثل جواب أبي سفيان.

وقالت اليهود حيث رأوا ما رأوا منهم نحلف بالله إن الخبر الذي قال نعيم لحق، وعرفوا أن قريشاً لا تقيم فسُقِطَ في أيديهم.

فكر أبو سفيان إليهم وقال إنا والله لا نفعل إن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت اليهود مثل قولهم الأول وجعلت اليهود تقول الخبر ما قال نعيم وجعلت قريش وغطفان تقول الخبر ما قال نعيم، ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء واختلف أمرهم، فكان نعيم يقول أنا خذلت بين

الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره فكان صحيح الإسلام بعد[١].

وهناك بعض الآثار نوردها كشواهد لهذه القصة وهي من منتخب كتر العمال.

وفي المنتخب قال:

عن إبراهيم بن صابر الأشجعي عن أبيه عن أمه[٢] ابنة نعيم بن مسعود عن أبيها قال: قال لي رسول الله ﷺ يوم الخندق (خذل عنا فإن الحرب خدعة[٣]).

وفي موضع آخر قال:

عن عروة قال كان في أصحاب رسول الله ﷺ رجل يقال له مسعود وكان نماماً، فلما كان يوم الخندق بعث أهل قريظة إلى أبي سفيان أن ابعث إلينا رجالاً يكونون في آطامنا حتى نقاتل محمداً مما يلي المدينة وتقاتل أنت مما يلي الخندق، فشق ذلك على النبي ﷺ أن يقاتل من وجهتين فقال لمسعود يا مسعود إنا نحن بعثنا إلى بني قريظة أن يرسلوا إلى

(١) مغازي الراقدي ٤٨٢/٢.
(٢) لم أجد أحداً منهم في كتب التراجم التي بين يدي.
(٣) المنتخب من كتر العمال حاشية مسند أحمد ٢٩٤/٢.

أبي سفيان فيرسل إليهم رجالاً فإذا أتوهم قتلوهم فما عدا أن سمع ذلـــك من رسول الله ﷺ فما تمالك حتى أتى أبا سفيان فأخبره فقال صدق والله محمد ما كذب قط فلم يبعث إليهم أحداً[١] .

ثم قال وعن عائشة قالت إن نعيم بن مسعود قال يـــا نـــبي الله إني أسلمت و لم أعلم قومي بإسلامي فمرني بما شئت، فقال إنما أنـــت فينـــا كرجل واحد فخادع إن شئت فإن الحرب خدعة[٢].

سبت اليهود كان من عوامل التفرق والهزيمة:

قال الواقدي:

فحدثني موسى[٣] بن محمد بن إبراهيم[٤] عن أبيه قال لمـــا قالـــت قريظة لعكرمة بن أبي جهل[٥] ما قالت قال أبو سفيان بن حرب لحيي بن أخطب أين ما وعدتنا من نصر قومك؟ قد خلونا وهم يريدون الغدر بنا.

---

(١) المصدر السابق ٢/٢٩٥. قلت: هذه القصة غير ثابتة وسندها منقطع وقد ذكرهـــا ابن قانع في معجم الصحابة ٣/١٤٨.

(٢) المصدر السابق ٢/٢٩٥.

(٣) موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أبو محمد المدني – منكر الحديث من السادسة مات سنة ١٥١هـــ. روى له (ت ق) التقريب ٣٥٢.

(٤) محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي أبو عبد الله المدني – ثقة له أفراد مـــن الرابعة مات سنة ١٢٠هـــ على الصحيح (ع). التقريب ٢٨٨.

(٥) حيث أنه ذهب كسفير لقريش ليعرف خبر اليهود حول القتال.

قال حيي: كلا والتوارة ولكن السبت قد حضر ونحن لا نكسر السبت فكيف ننصر على محمد وأصحابه إذا كسرنا السبت؟ فإذا كان يوم الأحد اغدوا على محمد وأصحابه بمثل حرق النار وخرج حيي بن أخطب حتى أتى بني قريظة فقال فداءكم أبي وأمي إن قريشاً قد اتهمتكم بالغدر واتهموني معكم وما السبت لو كسرتموه لما قد حضر من أمر عدوكم قال: فغضب كعبد أسد ثم قال:

لو قتلهم محمد حتى لا يبقى منهم أحداً ما كسرنا سبتنا، فرجع حيي إلى أبي سفيان بن حرب فقال[1] ألم أخبرك يا يهودي إن قومك يريدون الغدر؟ قال حيي : لا والله ما يريدون الغدر ولكنهم يريدون الخروج يوم الأحد فقال أبو سفيان وما السبت؟ قال يوم من أيامهم يعظمون القتال فيه وذلك أن سبطاً[2] منا أكلوا الحيتان يوم السبت فمسخهم الله قردة وخنازير.

قال أبو سفيان لا أراني أستنصر بإخوة القردة والخنازير، ثم قال أبو سفيان قد بعثت عكرمة بن أبي جهل وأصحابه إليهم فقالوا لا نقاتل حتى

---

(١) القائل هو أبو سفيان.

(٢) مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾. الآية في سورة البقرة ٦٥.

تبعثوا لنا بالرهائن من أشرافكم وقبل ذلك ما جاءنا عزال بن سموأل برسالتهم قال أبو سفيان أحلف باللات إن هو إلا غدركم.

وإني لأحسب أنك قد دخلت في غدر القوم . قال حيي والتوراة التي أنزلت على موسى يوم طور سيناء[١] ما غدرت ولقد جئتك من عند قوم هم أعدى الناس لمحمد وأحرصهم على قتاله، ولكن ما مقام يوم واحد حتى يخرجوا معك، قال أبو سفيان لا والله ولا ساعة.لا أقيم بالناس انتظار غدركم، حتى خاف حيي بن أخطب على نفسه من أبي سفيان فخرج معهم من الخوف حتى بلغ الروحاء[٢] فما رجع إلا متسرقاً لما[٣] أعطى كعب بن أسد من نفسه ليرجعن إليه. فدخل مع بني قريظة حصنهم ليلاً. ويجد رسول الله ﷺ قد زحف إليهم ساعة ولت الأحزاب[٤].

قال ابن جرير:

وخذل الله بينهم وبعث الله عز وجل عليهم الريح في ليلة شاتية شديدة البرودة فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم فلما انتهى إلى

---

(١) طور سيناء: قال ياقوت وسيناء بكسر أوله ويفتح اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ونودي فيه وهو كثير الشجر. معجم البلدان ٣/٣٠٠.

(٢) الروحاء مكان غرب المدينة على طريق مكة تبعد عن المدينة بحوالي سبعين كيلا.

(٣) بكسر اللام.

(٤) مغازي الواقدي ٢/٤٨٥.

رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً(١).

هكذا جاءت هذه القصة في كتب المغازي وهي مشهورة جداً ولكنها بدون إسناد يعتمد عليه إلا أن أهل المغازي والسير تناقلوها عن ابن إسحاق وقد ذكر ذلك الغزالي في فقه السيرة(٢) فعلق عليه ناصر الدين الألباني حيث قال: هذه القصة ذكرها ابن إسحاق بدون إسناد وعنه ابن هشام. لكن قوله ﷺ الحرب خدعة صحيح متواتر عنه ﷺ وقد مر تخريجه(٣).

وقال ابن كثير(٤) عقب سرد القصة، وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة، وقد أورده عنه البيهقي في الدلائل فإنه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث فاتفق أنه مر برسول الله ﷺ ذات يوم عشاء فأشار إليه أن تعال فجاء فقال ما وراءك؟ فقال إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فينا جزوك، فقالت قريظة " نعم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢/٥١.
(٢) فقه السيرة للغزالي ٣٣٢.
(٣) في أول هذا المبحث.
(٤) البداية والنهاية ٤/١١٣.

فأرسلوا إلينا بالرهن. وقد ذكر فيما تقدم أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حيي بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة قال فقال له رسول الله إني مسر إليك شيئاً فلا تذكره، قال إنهم قد أرسلوا إلي يدعونني إلى الصلح، وأرد بني النضير إلى دورهم وأموالهم، فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان وقال رسول الله ﷺ : الحرب خدعة، وعسى أن يصنع الله لنا. فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا[1]، قلت وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله ﷺ يريدون منه الصلح على أن يرد بني النضير إلى المدينة والله أعلم.

وقد ذكر أهل المغازي والسير والتفاسير وكل من تعرض لسيرته ﷺ وغزواته هذه القصة وممن ذكرها:

ابن إسحاق[2]، والواقدي[3]، وابن سعد[4]، والبلاذري[5]،

---

(١) القائل هو ابن كثير.

(٢) السيرة النبوية ٢/٢٢٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢/٤٨٠.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/٥٦.

(٥) أنساب الأشراف ١/١٦٥.

والطبري[(١)]، والبيهقي[(٢)]، وابن عبد البر[(٣)]، والسهيلي[(٤)]، وابن الأثير[(٥)]، والكلاعي[(٦)]، وابن سيد الناس[(٧)]، وابن القيم[(٨)]، وابن كثير[(٩)]، والسمهودي[(١٠)]، والسيوطي[(١١)]، والقسطلاني[(١٢)]، وغيرهم.

كلمة عن نعيم:

قال ابن الأثير: هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن حلاوة[(١٣)] بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان الغطفاني الأشجعي أبو سلمة، أسلم في وقعة الخندق، وهو الذي أوقع الخلاف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق، وخذل بعضهم عن

(١) تاريخ الأمم والملوك ٣/٤٤.
(٢) دلائل النبوة ٣/٤١٥.
(٣) الدرر ١٨٦- ١٨٧.
(٤) الروض الأنف ٦/٢٧٧.
(٥) الكامل ٢/١٢٥.
(٦) الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ٢/١٧٢.
(٧) عيون الأثر ٢/٦٤.
(٨) زاد المعاد ٢/١٣١.
(٩) البداية والنهاية ٤/١١١- ١١٢.
(١٠) وفاء الوفا ١/٢١٧.
(١١) الدر المنثور ٥/١٩٢.
(١٢) المواهب اللدنية ١/١١٣.
(١٣) في بعض الراجع (خلاوة) بالخاء المعجمة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/٢٧٧، جوامع السيرة ١٩٠.

بعض وأرسل الله عليهم الريح والبرد والجنود وهم الملائكة فصرف كيد الكفار عن النبي ﷺ ، ولما أسلم واستأذن النبي ﷺ في أن يخذل الكفار قال له النبي ﷺ خذل ما استطعت فإن الحرب خدعة، رواه عنه ابنه سلمة[١].

وقد نقل ابن الأثير رواية له عن ابنه سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ كتاب مسيلمة قال للرسولين فما تقولان أنتما قالا نقول كما قال: فقال رسول الله ﷺ لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما، ومات نعيم في زمن خلافة عثمان وقيل بل قتل يوم الجمل قبل قدوم علي البصرة مع مجاشع بن مسعود السلمي وحكيم بن جبلة العبدي[٢].

وبهذا القول قال الحافظ[٣] إلا أنه لم يذكر أن قول الرسول ﷺ له (خذل ما استطعت فإن الحرب خدعة) من رواية ابنه سلمة كما جزم هنا ابن الأثير. أما الذهبي[٤] فلم يذكر ذلك ولكنه جزم برواية ابنه سلمة عنه وأنه توفي قبل الجمل.

---

(١) أكثر المراجع لا تذكر رواية سلمة لهذا.

(٢) أسد الغابة ٥/٣٣-٣٤، وانظر للزيادة في ترجمته رضي الله عنه : الاستيعاب ٤/٧٠ (ت ٢٦٥٨)، تجريد أسماء الصحابة ٢/١١١، تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٦.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٥٦٨.

(٤) تجريد أسماء الصحابة.

وقال النووي:

نعيم بن مسعود كان يسكن المدينة، وهو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيس بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان الغطفاني الأشجعي الصحابي أبو سلمة[1].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/١٣١.

الفصل الخامس

دور حذيفة بن اليمان

في هذه الغزوة

الفصل الخامس:

دور حذيفة –رضي الله عنه– في هذه الغزوة

إن لحذيفة –رضي الله عنه– دوراً عظيماً كما كان لغيره من الصحابة –رضي الله عنهم– فقد جاهدوا في الله حق جهاده وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمته.

لكن بعضهم اشتهر عن بعض بأعماله أو بمواقف خاصة وقفها تميزت وحفظت في السنة المطهرة.

وحذيفة واحد من أولئك الصحابة الذين تميزوا عن غيرهم في هذه الغزوة، فكانت له ميزة فريدة حيث كان أمين سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره نستشف ذلك من ترجمته التالية:

قال ابن الأثير:

حذيفة بن اليمان: وحذيفة بن حسل ويقال حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان –أبو عبد الله– العبسي واليمان لقب (حسل بن جابر).

وقال ابن الكلبي هو لقب جروة بن الحارث وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دماً في قومه فهرب إلى المدينة وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار فسماه قومه – اليمان- لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن.

روى عنه ابنه أبو عبيدة وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل وزيد بن وهب وغيرهم.

وهاجر إلى النبي ص فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة وشهد مع النبي ﷺ أحداً وقتل أبوه بها[١].

وقد قتله المسلمون خطأ، أخرج ذلك ابن الأثير بسنده عن محمود بن لبيد[٢] قال لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رفع حسيل بن جابر وهو اليمان –أبو حذيفة- وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان وهما شيخان كبيران فقال أحدهما لصاحبه لا أبالك ما تنظر[٣]؟ فوالله ما بقي لأحدنا من عمره إلا مثل ظمء حمار[٤] إنما نحن

---

(١) أسد الغابة (٣٩١/١).

(٢) هو صحابي صغير وجل روايته عن الصحابة مات سنة ست وتسعين وقيل سنة سبع وتسعين وله تسع وتسعون سنة. روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة. التقريب ٣٣٠.

(٣) لعلها – ما ننتظر – لأنها جاءت هكذا في ترجمة ثابت بن وقش. أسد الغابة ٢٣٤/١.

(٤) ظمء حمار: أي يسير لأنه ليس شيء أقصر ظمأ من الحمار. انظر: القاموس المحيط ٢٢/١.

هامة[١] اليوم أو غداً، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ . فأخذا أسيافهما ولحقا برسول الله ﷺ ودخلا في المسلمين ولا يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش[٢] فقتله المشركون. وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين وهم لا يعرفونه فقتلوه فقال حذيفة أبي أبي. فقالوا والله ما عرفناه فصدقوا. فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين[٣].

فأراد رسول الله ﷺ أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده[٤] رسول الله ﷺ خيراً[٥].

قال ابن الأثير:

وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله ﷺ وسأله عمر بن الخطاب أفي عمالي أحد من المنافقين؟ قال نعم واحد، قال من هو قال لا أذكره قال حذيفة فعزله

---

(١) هامة: قال الفيروز أبادي في كلمة (الهم) واستطرد حتى قال: والهم والهمة بكسرهما. الشيخ الفاني. انظر: القاموس المحيط ١٩٢/٤.

(٢) هو ثابت بن وقش بن زعوراء الأنصاري كذا نسبه ابن مندة وأبو نعيم وقال أبو عمر ثابت بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل فزاد في النسب زغبة وهو الصحيح . انظر: أسد الغابة ٢٣٤/١، الاستيعاب ٢٧٩/١.

(٣) هذا قول المؤمنين الصابرين الصادقين المصدقين فبمجرد قولهم له ما عرفناه صدقهم واستغفر لهم وتصدق بدية أبيه على المسلمين فطوبى له ذلك الفعل.

(٤) لعله فزاده ذلك الفعل وهو تصدقه بدية أبيه على المسلمين - خيراً ورفعة عند رسول الله ﷺ.

(٥) أسد الغابة ١٦/٢.

كأنما دل عليه. وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فإنْ حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر[١].

وشهد حذيفة الحرب بِنَهَاوَنْد فلما قتل النعمان بن مقرن أمير ذلك الجيش أخذ الراية، وكان فتح همدان والري والدنيور على يده، وشهد فتح الجزيرة، ونزل نصيبين وتزوج فيها، وكان يسأل النبي ﷺ عن الشر ليتجنبه وأرسله النبي ﷺ ليلة الأحزاب على سرية ليأتيه بخبر الكفار، ولم يشهد بدراً لأن المشركين اخذوا عليه الميثاق ألا يقاتلهم فسأل النبي ﷺ حل يقاتل أم لا، فقال ﷺ بل نفي لهم[٢] ونستعين بالله عليهم.

وسأل رجل حذيفة أيّ الفتن أشد؟ قال: أن يُعرض عليك الخير والشر ولا تدري أيهما تركب، وكان موته رضي الله عنه بعد قتل عثمان بأربعين ليلة سنة ست وثلاثين[٣].

أما بالنسبة لدوره العظيم في هذه الغزوة فقد قام رضي الله عنه بدور استكشاف خطير، ودخل في وسط الصفوف صفوف الأعداء رغم احتراسهم

---

(١) أسد الغابة ١/٣٩٠- ٣٩١.

(٢) نفي لهم : من الوفاء بالعهد.

(٣) أسد الغابة ١/٣٩٠ - ٣٩١ وانظر ترجمته رضي الله عنه في :
الاستيعاب ١/٢٧٦، والإصابة ١/٣١٧، الطبقات الكبرى ١/٢٥، سير أعلام النبلاء ٢/٣٦٠، تهذيب التهذيب ٢/٢١٩، صفوة الصفوة ١/٢٤٩، تاريخ الإسلام ٢/١٥٢، المعارف ١١٤، النجوم الزاهرة ١/٧٦، ٨٥، ١٠٢.

وحراسهم المليئة قلوبهم بالحقد على المسلمين وخاصة بعد أن قتل بعض صناديدهم ورغم الظروف الخطيرة التي كانت تحيط به -رضي الله عنه- فقد ذهب في رعاية الله وحفظه ودعا له الرسول ﷺ بالحفظ من بين يديه ومن خلفه واستجاب الله دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام، ودخل حذيفة مع الأعداء وتوغل في صفوفهم حتى أشرف على القائد أبي سفيان، وحفظه الله ورجع إلى رسول الله ﷺ بأخبارهم ورحيلهم.

روى ذلك كله الإمام مسلم -رحمه الله- حيث قال:

حدثنا زهير بن حرب[1]، وإسحاق[2] بن إبراهيم جميعاً عن جرير[3] قال زهير: حدثنا جرير عن الأعمش[4] عن إبراهيم[5] التيمي

---

(١) زهير بن حرب بن شداد أبو خيثمة نزيل بغداد - ثقة ثبت - روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث. التقريب ١٠٨.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهوية المروزي- ثقة حافظ مجتهد - قرين أحمد. ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير. التقريب ٢٧.

(٣) جرير بن عبد الحميد بن قرط بضم القاف وسكون الراء بعدها طاء مهملة الضبى الكوفي نزيل الري وقاضيها - ثقة - صحيح الكتاب قيل كان في آخر عمره يهم من حفظه . مات سنة ١٨٨هـ. تهذيب التهذيب ٧٥/٢.

(٤) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي الأعمش - ثقة حافظ عارف بالقراءة - ورع لكنه يدلس من الخامسة. التقريب ١٣٦.

(٥) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي يكنى أبا أسماء الكوفي العابد ثقة إلا أنه يرسل ويدلس من الخامسة مات سنة ١٩٢هـ. وله أربعون سنة روى له الجماعة . التقريب ٢٤.

عن أبيه[١] قال كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسـول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت[٢]فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك[٣]؟ لقد رأيتنـا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقـر[٤] ، فقـال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يـوم القيامـة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يـوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم. فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: (اذهب فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ[٥]،فلما وليت مـن عنده جعلت كأنما أمشي

---

(١) يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي ثقة يقال أنه أدرك الجاهلية من الثانية مات في خلافة عبد الملك روى له الجماعة. التقريب ٣٨٢.

(٢) أبليت أي بالغت في نصرته كأنه أراد الزيادة على نصرة الصحابة رضوان الله عليهم شرح النووي على صحيح مسلم ١٤١٤/٣.

(٣) استفهام إنكاري أي فعلنا ما نستطيع وهو ما لا تقدر عليه. المصدر السابق.

(٤) القّر: هو البرد الشديد.

(٥) ولا تذعرهم على: أي لا تفزعهم على ولا تحركهم علي وقيل معنـاه لا تنفـرهم والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضرراً علي لأنـك رسـولي وصاحبي (من صحيح مسلم) ١٤١٤/٣ هامش الصفحة.

في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يُصْلَيْ ظهره[١] بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس[٢] فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ (ولا تذعرهم عليّ) ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت[٣]، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائماً حتى أصبحت[٤] فلما أصبحت قال قم يا نومان[٥].

قصة حذيفة هذه وذهابه إلى الكفار ودخوله بينهم صحيحة وذكرها أهل السير والمغازي، وهي عند بعضهم أتم من بعض والذي سقته هو ما جاء عند مسلم[٦].

قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة:

هذه القصة صحيحة وسياقها هنا مركب من ثلاث روايات:

---

(١) يصلى ظهره: يدفئه.

(٢) كبد القوس: مقبضها وكبد كل شيء وسطه كما في القاموس ٣٣٢/٧.

(٣) قررت: أي بردت.

(٤) أصبحت: أي طلع الفجر.

(٥) نومان: كثير النوم.

(٦) صحيح مسلم ١٤١٤/٣- ١٤١٥.

الأولى: عند الحاكم[١] والبيهقي[٢] في الدلائل من طريق عبد العزيز بن أخي حذيفة عن حذيفة، وقد ذكر ابن كثير لفظها في التاريخ[٣].

الثانية: عند ابن هشام[٤] عن محمد بن إسحاق بسنده عن محمد بن كعب القرظي عن حذيفة. وكذلك أخرجها أحمد[٥] من مسند حذيفة عن ابن إسحاق قال وظاهر إسناده الاتصال فهو صحيح.

الثالثة: أخرجها مسلم من طريق إبراهيم التيمي عن أبيه عن حذيفة. ولها طريق رابعة أخرجها الحاكم في المستدرك[٦] من طريق بلال العبسي عن حذيفة وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وأخرجه البزار[٧] وقال رجاله ثقات[٨]، وقد أخرجه بزيادة حسنة وهذا نصه: قال حذيفة: إن الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب

(١) المستدرك ٣/٣١.
(٢) دلائل النبوة ٣/٤٦٣.
(٣) البداية والنهاية ٤/١١٣- ١١٥.
(٤) السيرة النبوية ٢/٢٣١، ٢٣٢.
(٥) مسند الإمام أحمد ٥/٣٩٢، ٣٩٣.
(٦) المستدرك ٣/٣١.
(٧) كشف الأستار ٢/٣٣٥.
(٨) فقه السيرة ٣٣٣، ٣٣٤.

فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأتاني رسول الله ﷺ وأنا جاثم[1] من النوم فقال يا ابن اليمان: قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب فانظر إلى حالهم.

قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما قمت إليك إلا حياءً من البرد. قال انطلق يا ابن اليمان فلا بأس عليك من برد ولا حر حتى ترجع إليّ.

قال فانطلقت حتى آتي عسكرهم فوجدت أبا سفيان يوقد النار في عصبة حوله وقد تفرق الأحزاب عنه، فجئت حتى أجلس فيهم فحس أبو سفيان أنه قد دخل فيهم من غيرهم، فقال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه قال فضربت بيدي على الذي عن يميني فأخذت بيده، ثم ضربت بيدي على الذي عن يساري فأخذت بيده فلبثت فيهم هنيهة ثم قمت فأتيت النبي ﷺ وهو قائم يصلي فأومئ إلي أن ادنو فدنوت حتى أرسل علي من الثوب الذي كان عليه ليدفئني، فلما فرغ من صلاته قال يا ابن اليمان اقعد ما خبر القوم؟ قلت يا رسول الله تفرق الناس عن أبي سفيان فلم يبق إلا في عصبة يوقد النار وقد صب الله عليهم من البرد مثل الذي صب علينا ولكنا نرجو من الله ما لا يرجون أ:هـ[2].

---

(١) جاثم: جثم لزم مكانه فلم يبرح. القاموس ٤/٨٧ وعند البيهقي جاثي.

(٢) كشف الأستار ٢/٣٣٥، ٣٣٦.

أما البيهقي فقد عقد لذلك باباً حيث قال:

باب إرسال رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه– إلى عسكر المشركين، وما ظهر له في ذلك من أمارات النبوة بوقوفه ليلتئذ على ما أرسل على المشركين من الريح والجنود وتصديق الله سبحانه وتعالى قول نبيه ﷺ فيما وعد حذيفة من حفظ الله إياه عن الأسر والبرد.

ثم أورد القصة من خمس طرق:

الأولى: من طريق إبراهيم التيمي عن أبيه وقد رواها بهذا الطريق الإمام مسلم(١).

الثانية: من طريق بلال العبسي وقد شاركه في هذه الطريق الحاكم(٢).

الثالثة: عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة وقد شاركه فيها الحاكم(٣).

الرابعة: عن عمران بن سريع وقد ذكر ذلك أيضاً الحافظ(٤).

الخامسة: عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب " أن رجلاً قال لحذيفة(٥)".

---

(١) دلائل النبوة ٣/٤٤٩، صحيح مسلم ٣/١٤١٤– ١٤١٥ كتاب الجهاد والسير.

(٢) دلائل النبوة ٣/٤٥٠، المستدرك ٣/٣١.

(٣) دلائل النبوة ٣/٤٥١، المستدرك ٣/٣١.

(٤) دلائل النبوة ٣/٤٥١، والحافظ في الفتح ٧/٤٠٠ كتاب المغازي باب غزوة الخندق.

(٥) دلائل النبوة ٣/٤٥٤.

وشيخه البيهقي في كل الطرق ماعدا الرابعة (أبو عبد الله الحافظ[١]). أما الطريق الرابعة فشيخه فيها أبو طاهر الفقيه[٢].

والرواية التي جاءت من طريق ابن أخي حذيفة هي أتم وفيها زيادات حسنة قال البيهقي:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدرابردي بمروٍ قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البوني حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن محمد بن عبيد أبي قدامة الحنفي[٣] عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه أما والله لو كنا شهدنا ذلك لفعلنا وفعلنا[٤] فقال حذيفة لا تمنوا ذلك[٥] فلقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود.

وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً في أصوات ريحها

---

(١) أبو عبد الله الحافظ هو الحاكم وقد تقدمت ترجمته.

(٢) أبو طاهر الفقيه هو ابن محمش ذكر ذلك الذهبي في التذكرة ١١٣٢/٣ في ترجمة البيهقي و لم أجده الآن.

(٣) تقدمت تراجم بعض رجال السند.

(٤) هذا كلام من لم يعايش المحنة والابتلاء فهو يتكلم من مكان آمن.

(٥) مشيراً بذلك إلى قوله ﷺ لا تتمنوا لقاء العدو.

أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ، ويقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيأذن لهم فيتسللون ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك إذا استقبلنا[١] رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى مر علي وما عَليَّ جنة[٢] من العدو ولا من البرد إلا مرط[٣] لامرأتي ما يجاوز ركبتي قال فأتاني وأنا جاثي على ركبتي فقال من هذا؟ قلت حذيفة فقال حذيفة؟ قال فتقاصرت بالأرض، فقلت بلى يا رسول الله، كراهية أن أقوم، قال قم فقمت فقال إنه كاين في القوم خبر فاتني بخبر القوم، قال وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قراً فخرجت فقال رسول الله ﷺ اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته، قال فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قراً في جوفي[٤] إلا خرج من جوفي فما أجد منه شيئاً.

(١) أي استعرضنا واحداً كأنه يتخير.

(٢) الجنة السترة والوقاية ومنه حديث (والصوم جنة) . النهاية في غريب الحديث ٣٠٨/١.

(٣) المرط: بكسر الميم وسكون الراء وهو الكساء ويكون من صوف وربما كان من الخزّ أو غيره. النهاية في غريب الحديث ٣١٩/٤.

(٤) أراد بالجوف القلب. النهاية في غريب الحديث ٣١٦/١.

قال فلما وليت قال: يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني، فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل، و لم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش فأضعه على كبد قوسي لأرميه في ضوء النار، فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن شيئاً حتى تأتيني؛ فأمسكت ورددت سهمي في كنانتي، ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر، يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم، وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي ﷺ فلما انتصف بي الطريق أو نحو ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين(١) فقالوا أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة(٢) يصلي فوالله ماعدا أن رجعت راجعني القر وجعلت أقرقف فأومأ إلي رسول الله ﷺ وهو يصلي فدنوت منه فأسبل علي شملته، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه(٣) أمر صلى فأخبرته

---

(١) يشير بذلك إلى الملائكة وقد أرسلهم الله للتضييق على الكفار.

(٢) في بعض الروايات أنه كان مشتمل بمرط أحدى نسائه.

(٣) أي إذ نزل به مهم وقد روى هذا الإمام أحمد ٣٨٨/٥، النسائي ٢٨٩/١ وحزبه كلمة واحدة وليست مركبة من (حز) و (به) كما يتوهم البعض.

خبر القوم وأخبرته أني تركتهم يترحلون فأنزل الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾[١] الآية.

وهكذا نفذ حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه– ما أمره به النبي ﷺ، وهي مهمة شاقة ولكن دعاء النبي ﷺ له كان من الأسباب التي جعلته ينجح في تلك المهمة رغم ما صادف من مآزق وأهم مأزق واجهه عندما قال أبو سفيان لينظر امرؤ من جليسه، وهو تحفظ من أبي سفيان خوفاً من أن يكون داخل المعسكر أحد يتجسس لحساب المسلمين[٢] ولكنه لذكائه –رضي الله عنه– تخلص من هذا المأزق حيث سارع إلى الرجل الذي بجانبه وبدأه بالسؤال قائلاً من أنت؟.

وبهذا العمل تمكن حذيفة من الخروج من المأزق الذي وقع فيه والذي كاد أن يوقعه في قبضة المشركين لو انكشف أمره[٣] ، ثم سلط الله عليهم تلك الريح الهوجاء وأرسل عليهم ملائكته فزلزلتهم وجعلتهم يرتحلون، وفرق الله جمعهم وخذلهم وكفى الله المؤمنين شرهم ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٤].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٩، دلائل النبوة ٣/٤٥٣.

(٢) غزوة الأحزاب لباشميل ٢٦٥.

(٣) السيرة الحلبية ٢/٦٥٣.

(٤) سورة الحج الآية ٤٠.

الفصل السادس

حصول النزاع

بين الأحزاب وانهزامهم

الفصل السادس:

حصول النزاع بين الأحزاب وانهزامهم

المبحث الأول: هبوب الريح

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المعركة وتناول مراحلها في عدة آيات من سورة الأحزاب.

وأول ما تحدث عنه القرآن هو نزول البلاء على المسلمين بوصول قوات الأحزاب، وإنعام الله على المسلمين بدحر[1] تلك القوات، وتسليط الله الريح عليهم، وإزعاجهم بجنود من عنده لم يرها أحد، مما أدى إلى إجبارهم على الرحيل عن المدينة وفك الحصار عنها فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾[2] الآية.

ويعني القرآن الكريم بالجنود الذين جاءوا لحرب المسلمين قريش، وغطفان، وبني قريظة، أما الجنود الذي أشار القرآن إلى أن الله أرسلهم لإزعاج الأحزاب فقد ذكر كثير من أهل المغازي والتفاسير أنهم

---

(١) دحره: طرده وأبعده . مختار الصحاح ١٩٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٩.

(الملائكة)، ولم يثبت أنهم قاتلوا الأحزاب، ولكنهم أرسلوا للإزعاج والتضييق[١]. لذلك روى البخاري رحمه الله حيث قال:

حدثنا مسدد[٢]، حدثنا يحى بن سعيد عن شعبة قال: حدثني الحكم[٣] عن مجاهد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور"[٤]. كما رواه مسلم[٥] وأحمد[٦] كلهم عن ابن عباس.

وقد روى الإمام أحمد حديثاً بهذا المعنى عن أبي سعيد الخدري وهذا نصه: قال ثنا أبو عامر[٧] ثنا الزبير بن عبد الله[٨] حدثني ربيح[٩] بن أبي

---

(١) غزوة الأحزاب لمحمد باشميل ٢٧٨.

(٢) مسدد هو مسرهد الأسدي البصري ويقال أن مسدد هو لقب وقد تقدم.

(٣) الحكم هو ابن عتيبة وقد تقدم.

(٤) صحيح البخاري ٤٧/٥.

(٥) صحيح مسلم ٦١٧/٢.

(٦) مسند الإمام أحمد ٢٢٣/١، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٥٥، ٣٧٣.

(٧) أبو عامر هو عبد الملك بن عمر القيس العقدي بفتح المهملة والقاف - ثقة - وقد تقدم.

(٨) الزبير بن عبد الله بن أبي خالد الأموي مولاهم ويقال له ابن رهيمة - مقبول روى له أبو داود من المراسيل . التقريب ١٠٦.

(٩) ربيح بمهملة وموحدة مصغراً ابن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري المدني يقال اسمه سعيد وربيح لقب - مقبول - . التقريب ١٠٠.

سعيد الخدري عن أبيه[١] قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم:" اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا". قال فضرب الله عز وجل وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله عز وجل بالريح[٢].

قال الألباني في فقه السيرة[٣] مشيراً إلى هذا الحديث:

حديث حسن أخرجه أحمد وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي سعيد الخدري أهـ كلامه. كما روى البزار حديثاً آخر بسنده عن عكرمة حيث قال:

حدثنا عبد الله بن سعد[٤] حدثنا حفص بن غياث[٥] عن داود[٦] عن عكرمة عن ابن عباس قال: أتت الصبا إلى الشمال ليلة الأحزاب

---

(١) أبوه هو أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٣.

(٣) فقه السيرة ٣٢٩.

(٤) عبد الله بن سعد بن عثمان الدشتكى أبو عبد الرحمن المروزي نزيل مرو صدوق . التقريب ١٧٥.

(٥) حفص بن غياث بمعجمة مكسورة ابن طلق بن معاوية النخعي أبو عمر الكوفي القاضي – ثقة فقيه – تغير حفظه قليلاً في الآخر. التقريب ٧٨- ٧٩.

(٦) داود بن الحصين الأموي مولاهم أبو سليمان المدني – ثقة – إلا في عكرمة ورمي برأي الخوارج . التقريب ٩٥.

فقالت مري ننصر رسول الله ﷺ فقالت الشمال إن الحرة[١] لا تسري بالليل فكانت الريح التي نصر بها رسول الله ﷺ الصبا.

قال: ورواه جماعة عن داود مرسلاً، ولا نعلم أحداً وصله إلا حفص ورجل من أهل البصرة وكان ثقة يقال له خلف بن عمرو ثم قال الهيثمي رواه البزار ورجاله رجال الصحيح[٢].

قال الشوكاني[٣]:

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في الكنى وأبو الشيخ، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال:

لما كان في ليلة الأحزاب جاءت الشمال للجنوب فقالت انطلقي فانصري الله ورسوله فقالت الجنوب إن الحرة لا تسري بالليل فغضب الله عليها وجعلها عقيماً فأرسل عليهم الصبا فأطفأت نيرانهم وقطعت أطنابهم فقال رسول الله ﷺ نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور".

وقد أخرج ابن سعد عن سعيد بن جبير قال:

لما كان يوم الخندق أتى جبريل عليه السلام ومعه الريح فقال حين

---

(١) الحرة عكس المملوكة والأمة.

(٢) القائل هو البزار في كشف الأستار ٢/٣٣٦.

(٣) مجمع الزوائد ٦/١٣٩.

أتى جبريل: ألا أبشروا ثلاثاً، فأرسل الله عليهم الريح فهتكت القباب، وكفأت القدور، ودفنت الرحال[١]، وقطعت الأوتاد، فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾[٢] .

وقد روى البيهقي في الدلائل حديثاً بهذا المعنى عن طريق زيد بن أسلم أن رجلاً قال لحذيفة: أدركتم رسول الله ﷺ ولم ندركه... إلى أن ذكر حذيفة رضي الله عنه خبر انطلاقه إلى معسكر الكفار، وأنهم تجادلوا، وبعث الله عليهم الريح فما تركت لهم بناء إلا هدمته ولا إناء إلا أكفأته[٣].

قال الحافظ ومن طريق عمرو بن سريع عن حذيفة نحوه وفيه:

أن علقمة بن علاثة صار يقول يا آل عامر إن الريح قاتلي، وتحملت قريش وإن الريح لتغلبهم على بغض أمتعتهم[٤]. وقد تقدم في دور حذيفة أنه وجد الريح في معسكر بني عامر وأنها ما تجاوزهم شبراً وأنهم يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل.

---

(١) الرحال: جمع رحل وهو مركب يوضع على ظهر البعير . القاموس ٣٨٣/٣.
(٢) الطبقات الكبرى ٧١/٢.
(٣) دلائل النبوة ٤٥١/٣.
(٤) فتح الباري ٤٠٠/٧.

الريح التي سلطها الله سبحانه على الأحزاب:

في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[١] ومسلم[٢] وأحمد[٣] وغيرهم أن الريح التي نصر بها رسول الله ﷺ هي (الصبا). والصبا كما قال الحافظ: هي بفتح المهملة وتخفيف الموحدة الريح الشرقية، وضدها الدبور وهي الريح الغربية ذلك لأنه حصل خلاف حول الريح التي نصرت رسول الله ﷺ فمع كون الأحاديث صرحت بأنها هي الصبا جاءت بعض الأحاديث بأن الحوار حصل بين الشمال، والجنوب، وحصل اختلاف حول التي أبت من نصر رسول الله ﷺ فقيل إن التي أبت هي الشمال وقيل إنها الجنوب.

لكن الحافظ بين أن هذا الخلاف ليس له معنى وأن الصبا والدبور متعاكسان يقابلان الشمال والجنوب وهذا كلامه:

الصبا: يقال لها القبول بفتح القاف لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدبور وهي التي أهلكت بها قوم عاد[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٤٧/٥.

(٢) صحيح مسلم ٦١٧/٢.

(٣) مسند الأمام أحمد ٢٢٣/١، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٥٥، ٣٧٣.

(٤) فتح الباري ٥٢١/٢.

قال الحافظ ومن لطيف المناسبة: كون القبول نصرت أهل القبول وكون الدبور أهلكت أهل الأدبار، وأن الدبور أشد من الصبا[١] قال: ولما علم الله رأفة نبيه ﷺ بقومه رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا؛ فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحداً و لم تستأصلهم.

ومن الرياح أيضا: الجنوب والشمال فهذه الأربع تهب من الجهات الأربع، وأي ريح هبت من بين جهتين منها يقال لها النكباء بفتح النون وسكون الكاف بعدها موحدة ومد[٢].

وقال الحافظ في موضع آخر: وقيل إن الصبا هي التي حملت قميص يوسف عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام قبل أن يصل إليه وإنها هي التي تؤلف السحاب وتجمعه[٣].

وقال الهمداني[٤]: رياح المشرق القبول وهي الصبا، ويقابلها من المغرب الدبور، والجنوب تهب من اليمن، ويقابلها الشمال، وما هب بين

(١) فتح الباري ٢/٥٢١.
(٢) فتح الباري ٢/٥٢١.
(٣) فتح الباري ٦/٣٠١.
(٤) هو: الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان بن عمرو بن الحارث الهمداني ويعرف بابن الحائك أبو محمد عالم أديب من مؤلفاته الأكليل في مفاخر قحطان وذكر اليمن ت ٣٣٤. معجم المؤلفين ٣/٣٠٤.

الجنوب والقبول يسمى النكباء، وما بين الجنوب والدبور الداجن، وما بين الشمال والدبور وهي مقابلة النكباء: أزيب ... وساق الكلام إلى أن قال اثنتا عشرة ريحاً لاثني عشر برجاً(١) وتبعه في هذا المسعودي(٢).

وهكذا يتبين أن لله سبحانه وتعالى جنوداً أقوياء ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(٣)، فقد سلط الله سبحانه هذا النوع من جنده فزلزلت الأعداء، وأزعجهم هذا الوضع وخاصة بعد أن حصل ما حصل من التخذيل بينهم وبين حلفائهم اليهود، وظن بعضهم ببعض سوءاً. ووصل الخلاف والتنافر بين الفريقين إلى درجة أصبح الحلف العسكري المعقود بينهما في حكم المنتهي وصار كل فريق يحمل الآخر مسؤولية انفصام عرى هذا الحلف.

عندئذ سلط الله عليهم القوة الإلهية. وقد فكرت عندئذ القيادة المشتركة للأحزاب في إنهاء الحصار المضروب على المدينة، والرجوع بجيوشها كلٌ إلى بلاده، وترك اليهود وشأنهم ليلقوا مصيرهم الرهيب، وفي النهاية وعندما أذن الله وأراد نصر أوليائه هبت على المنطقة التي يعسكر

(١) صفة جزيرة العرب ٣٠٠.
(٢) التنبيه والأشراف ص ١٦.
(٣) سورة المدثر جزء من آية ٣١.

فيها الأحزاب رياح قوية كانت لقوتها تقتلع الخيام وتهد الأبنيــة وتكفــأ القدور، ولا تترك ناراً تشتعل مما جعل أبو سفيان يقول:

يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شــدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنــا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل[1].

وقد بلغ من خوف القوم عندما توالت عليهم عوامل الهزيمة أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم – ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيــده حذراً من أن يدخل بينكم عدو.

وقد حل عقال بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل، فقال له صفوان بن أمية إنك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي، فنزل أبو ســفيان وأذن بالرحيــل وترك خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم، وأزاح الله عن المسلمين تلك الغمة، ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منّة منه وفضلاً لساءت الحال وكــان جــلاء الأحــزاب في ذي القعدة[2].

---

(١) الاكتفاء ٢/١٧٥.

(٢) نور اليقين ١٥٥.

حقيقة أنها نعمة، وأيما نعمة! حيث انقشعت الغمة، وخلص الله المسلمين من براثن المحنة، وقطف المؤمنون الصادقون ثمار صدقهم، وصبرهم، وثباتهم، مع نبيهم الحبيب ﷺ في تلك الليالي الرهيبة، المرعبة، التي زاغت فيها الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، فقد أخذت جيوش الأحزاب في فك الحصار عن المدينة.

وأخذت كتائبهم تولي الأدبار تجر أذيال الخيبة والخسران لم تجن من غزوها الكبير هذا سوى التعب والنصب(١) ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٢) ذلك؛ لأن المسلمين رغم قلتهم وقلة عتادهم فقد نصرهم الله؛ لأنهم كانوا يدافعون عن عقيدة سامية ارتضاها الله لهم، لا كما يدافع المسلمون اليوم عن الحزب والوطن والتراب ويزعمون أنهم ينصرون بسبب إخلاصهم لتلك المبادئ الفانية.

وهذا والله هو من أسباب الخذلان فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) غزوة الأحزاب لمحمد باشميل ٢٦٧.

(٢) سورة الحج الآية ٤٠.

المبحث الثاني: نتائج الغزوة

بالنظر في وقائع هذه الغزوة وبالرجوع والتفكير في مقدماها وعندما ترى أو تسمع اجتماع تلك الجيوش الجرارة يحدوها الحقد والكراهية وترفرف عليها فكرة استئصال شوكة الإسلام والمسلمين. تلك الفكرة التي كان اليهود سبباً في رواجها وانتشارها بين جيوش الأحزاب عندما تنعم النظر في ذلك كله وترجع إلى المقاييس المادية – الأكثر يغلب الأقل- وتنسى قدرة الله سبحانه وتعالى.

تعلم علم اليقين أن عشرة آلاف أو أكثر تستطيع أن تهزم عدوها والذي كان يبلغ عدده على الأكثر وفي أغلب الأقوال ثلاثة آلاف.

بيد أن ابن إسحاق قال: إنهم كانوا سبعمائة فقط[1].

وقال ابن حزم: إنهم كانوا تسعمائة قال وهو الصحيح[2] وقد تقدم الراجح أنهم كانوا ثلاثة آلاف. لكن الله سبحانه قوي عزيز فقد أمد هذه القلة بنصر من عنده، وأعانهم بجند من جنده، وزودهم بثبات وطمأنينة فهونّ أمامهم المصائب والمحن فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

(١) ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد ٢٧١/٣، ورده عليه وقال هذا غلط من خروجه يوم أحد.

(٢) جوامع السيرة ١٨٧.

عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾[١] الآية.

إذن فالمقاييس عنده تختلف، إذ أنها ليست على حسب الكثرة أو القوة، ولكن القلوب التي ملئت بتوحيده سبحانه وتعالى، وملئت بالتقوى التي تهون أمامها الدنيا وزخارفها أصبح الواحد منهم يتصور الجنة وكأنه ينظر إليها ومنهم من بشر بها وهو على قيد الحياة؛ فرخصت أنفسهم في سبيل الله لما أعد لهم سبحانه من نعيم مقيم، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فكانوا يخرجون سراعاً مع النبي ﷺ ولا تهمهم قلتهم وكثرة عدوهم؛ لأن الله سبحانه كان يشد من أزرهم فيرسل معهم جنداً من جنوده الكثيرة، فقد أرسل معهم في بدر كما هو معلوم ملائكته فحاربت مع المسلمين.

وفي هذه الغزوة يخبر الله سبحانه وتعالى أنه رد الكافرين بغيظهم لم ينالوا ما أرادوا مما اجتمعوا عليه وذلك أنهم أرادوا في الواقع استئصال تلك القلة المباركة فقال تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾[٢] .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٥.

قال ابن كثير:

يقول تعالى مخبراً عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح أشد من الريح العقيم التي أرسلها على عاد، لكنه قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾(١). فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم أخلاط من قبائل شتى أحزاب وأراء.

فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم(٢) لم ينالوا خيراً لا في الدنيا مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة وهمهم بقتله واستئصال جيشه(٣). فقال تعالى: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ .

كان ذلك نتيجة واستجابة من الله لدعاء نبيه ﷺ على الأحزاب فقد دعا عليهم بدعاء رواه البخاري رحمه الله حيث قال:

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٣.

(٢) الحنق: الغيظ: مختار الصحاح ١٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٧٦- ٤٧٧.

حدثنا محمد[١]، أخبرنا الفزاري[٢] وعبدة[٣] عن إسماعيل[٤] بن أبي خالد قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى[٥] رضي الله عنهما يقول دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: " اللهم مترل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم[٦]". كما رواه مسلم[٧]، وأبو داود[٨] والترمذي[٩]، وابن ماجه[١٠]، وعبد بن حميد[١١]، وأحمد[١٢].

(١) محمد بن سلام بن الفرج السلمي مولاهم البيكندي أبو جعفر - ثقة ثبت - . التقريب ٣٠١.

(٢) مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري أبو عبد الله الكوفي نزيل مكة ثم دمشق - ثقة حافظ - وكان يدلس أسماء الشيوخ. التقريب ٣٣٣.

(٣) عبدة بن سليمان الكلابي أبو محمد الكوفي يقال اسمه عبد الرحمن - ثقة ثبت - . التقريب ٢٢٣.

(٤) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي - ثقة ثبت - التقريب ٣٣.

(٥) عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي صحابي جليل شهد الحديبية وعمر بعد النبي ﷺ دهراً مات سنة سبع وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة . التقريب ١٦٨، الاستيعاب ٧/٣.

(٦) صحيح البخاري ٩٢/٥ كتاب المغازي،صحيح البخاري مع فتح الباري ١٠٦/٦، ١٢٠/٦، ٤٠٦/٧.

(٧) صحيح مسلم ١٣٦٣/٣ كتاب الجهاد.

(٨) سنن أبي داود ٩٦/٣.

(٩) سنن الترمذي ١١٣/٣.

(١٠) سنن ابن ماجه ٩٣٥/٢.

(١١) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١٨٦/١ حديث رقم (٥٢٣).

(١٢) مسند الإمام أحمد ٣٨١/٤،٣٥٥،٣٥٣.

وقد قال الحافظ أثناء شرحه لهذا الحديث:

قوله : اللهم مترل الكتاب ... الخ".

أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم فبالكتاب إلى قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[١]، وبمجري السحاب إلى القدرة الظاهرة وتسخير السحاب حيث يحرك الريح بمشيئة الله تعالى وحيث يستقر في مكانه مع هبوب الريح وحيث تمطر تارة وأخرى لا تمطر.

فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم قال وكلها أحوال صالحة للمسلمين.

ثم قال: وروى الإسماعيلي[٢] في هذا الحديث من وجه آخر أنه ﷺ دعا أيضاً فقال: " اللهم أنت ربنا وربهم ونحن عبيدك وهم عبيدك نواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم". ثم قال: ولسعيد بن منصور[٣]

---

(١) سورة التوبة الآية ١٤.

(٢) هو الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني ولد عام (٢٧٧) من تصانيفه الصحيح على شرط البخاري والفرائد والعوالي وغيرهما. انظر السير ١٦/٢٩٢.

(٣) سعيد بن منصور بن شبه أبو عثمان الخراساني نزيل مكة ثقة مصنف وكان لا يرجع عما في كتابه لشدة وثوقه به مات سنة (٢٢٧) التقريب ١٢٦.

من طريق أبي عبد الرحمن الحُبلي[١] عن النبي ﷺ مرسلاً نحوه لكن بصيغة الأمر عطفاً على قوله " وسلوا الله العافية " في حديث آخر، فإن بليتم بهم فقولوا (اللهم) فذكره وزاد " وغضوا أبصاركم " واحملوا عليهم على بركة الله أهـ[٢].

ثم كفى الله المؤمنين القتال، ونصر عبده، وأعز جنده؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول " لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده" رواه البخاري[٣]، ومسلم[٤]، وأبو داود[٥]، والنسائي[٦]، وابن ماجه[٧]، ومالك[٨]، وأحمد[٩]. وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ . إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش[١٠].

---

(١) هو عبد الله بن يزيد المعافري أبو عبدالرحمن الحبلي بضم المهملة والموحدة –ثقة– وقد تقدم في ص ٢٧٣.
(٢) فتح الباري ١٥٧/٦.
(٣) صحيح البخاري ٤٩/٥ كتاب الجهاد.
(٤) صحيح مسلم ٩٨٠/٢ كتاب الحج باب ما يقوله إذا قفل من سفر الحج وغيره.
(٥) سنن أبي داود ٢١٤/٣ كتاب الجهاد.
(٦) سنن النسائي القسامة ٣٤.
(٧) سنن ابن ماجة ٨٧٨/٢ كتاب الديات.
(٨) موطأ مالك ٢٤٣.
(٩) مسند الإمام أحمد ٤٤٤/١، ٥/٢، ١٠، ١١، ١٥، ٢١، ٣٨، ٦٣.
(١٠) تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/٣.

وهكذا حصل حيث أن المشركين لم يغزوا المسلمين بعدها بل غزاهم المسلمون في بلادهم. أشار إلى ذلك الحديث الصحيح الذي رواه البخاري رحمه الله حيث قال:

حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان[1] عن أبي إسحاق[2]، عن سليمان بن صرد[3] قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب "نغزوهم ولا يغزوننا"[4].

كما رواه أحمد[5].

وقد رواه البخاري من وجه آخر عن عبد الله بن محمد وقد صرح فيه بسماع أبي إسحاق له منه وفيه زيادة وهي كالآتي:

قال البخاري رحمه الله:

حدثني عبد الله بن محمد[6]، حدثنا يحى بن آدم[7]، حدثنا إسرائيل[8]

---

(١) سفيان هو الثوري وقد تقدم.

(٢) هو السبيعي وقد تقدم.

(٣) سليمان بن صرد بضم المهملة وفتح الراء بن الجون الخزاعي أبو مطرف الكوفي صحابي قتل بعين الوردة سنة (٦٥هـ) وعين الوردة جهة كربلاء بالعراق. التقريب ١٣٤، والاستيعاب ٢/٢١٠.

(٤) صحيح البخاري ٥/٤٨.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤/٢٦٢.

(٦) هو المسندي . سمي بذلك لأنه كان يحب الإسناد ويرغب عن المرسلات وقد تقدم.

(٧) هو يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي. وقد تقدم.

(٨) إسرائيل هو بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني أبو سيف الكوفي ثقة تكلم فيه بلا حجة. التقريب ٣١.

سمعت أبا إسحاق يقول: سمعت سليمان بن صرد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه الآن: "نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم[١]".

لذلك قال ابن كثير قال ابن إسحاق:

لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا "لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم". فلم تغز قريش بعد ذلك، وكان رسول الله ﷺ هو يغزوهم بعد ذلك، حتى فتح الله تعالى مكة[٢] كما رواه الطبراني[٣]. وقد أورده الهيثمي وقال رواه البزار ورجاله ثقات[٤].

مما تقدم نرى أن هذه الغزوة كانت نتيجتها هي انتصار المسلمين، وانهزام أعدائهم، وتفرقهم، ورضاهم من الغنيمة بالإياب[٥].

---

(١) صحيح البخاري ٤٨/٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/٣.

(٣) المعجم الكبير ١١٥/٧.

(٤) مجمع الزوائد ١٣٩/٦.

(٥) قال في مجمع الأمثال ٢٩٥/١، وأول من قاله امرؤ القيس بن حجر في قوله:

ولقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

ويقال عند القناعة بالسلامة.

وقد أخبر الرسول ﷺ بأنهم – أي الأحزاب – أو كفار قـــريش لا يغزوا المسلمين بعد هذه الغزوة وهذا علم من أعلام نبوته ﷺ حيث حصل ذلك حتى فتح مكة تلك التي أخرجه كفارها في بداية ظهور الإســـلام، وخرج منها خائفاً يترقب، ولكنه بقوة الله وتأييده رجع إليها فاتحاً رافعاً راية التوحيد، حامداً ربه شاكراً له.

الخاتمة

في الأحكام والفوائد والعبر المستنبطة

من هذه الغزوة

الخاتمة

في الأحكام والفوائد والعبر المستنبطة من هذه الغزوة

أذكر في هذه الخاتمة خلاصة لما اشتملت عليه هذه الغزوة من أحكام، وفوائد، وعبر، وذلك من خلال دلالة النصوص الواردة، أو مقتضى عمله ﷺ، وقد مرت بعض الأحكام في مواضعها.

وإنما جعلت هذه الخاتمة لإجمال ما سبق تفصيله وليكون كالخلاصة الجامعة يمكن للقارئ من خلالها الوقوف بسهولة على بعض تلك الأحكام.

وقد أكون مقلداً في هذا العمل الإمام ابن القيم[1] -رحمه الله- فقد ذكر أشياء كثيرة عقب كل غزوة، إلا أنه للأسف لم يعرج على غزوة الخندق كما فعل ذلك أيضاً في غزوة بدر الكبرى حيث لم يتكلم عن الأحكام المستفادة من الغزوتين[2].

---

(١) في كتابه القيم زاد المعاد.

(٢) بدر والخندق.

ولكنْ حسبي أن أنهج نهجه في بقية الغزوات، حيث سأذكر بعض الأحكام الفقهية المستنبطة من هذه الغزوة المباركة، والتي كانت بمثابة درس أخير للكفر وأهله. فأيقنوا أن الله مع المؤمنين ومن كان الله معه كفاه شر أعدائه.

ومن تلك الأحكام:

١- الشورى:

الشورى في الإسلام مبدأ من مبادئ نظام الحكم الإسلامي، وعليه المعول عندما لا يوجد دليل من الكتاب أو السنة يحتم الأخذ بشيء معين.

وقد شاور الرسول ﷺ أصحابه كثيراً، كما فعل ذلك الخلفاء الراشدون بعده.

والشورى مصطلح إسلامي لا ينبغي أن يطلق على غير مدلوله الشرعي؛ لأن الشورى في الإسلام لها ميزات لا توجد في أي نظام آخر، أو أي قانون مستحدث[1].

وهي خاصة بأهل الحل والعقد، فلا يدخل فيها من لا يستحقها لأن ذلك يخل بهذا المبدأ العظيم، وفي غزوة الخندق حصلت المشاورة من النبي ﷺ لأصحابه حول خطة الدفاع التي يتخذونها حيال الجموع الزاحفة

(١) مرويات غزوة بدر الكبرى ١٤٢.

صوب المدينة، التي جاءت من بلادها عاقدة النية استئصال هـذا الـدين الحنيف الذي أصبح يهدد كيانهم ويبدد أصنامهم.

وقد أشار عليه سلمان الفارسي(١) -رضي الله عنه- بحفر الخنـدق وذلك لإقتناعه بأنها خطة عظيمة جيدة في هذا الظرف الخطير؛ والوقـت القصير؛ ولأنها قد نفذت في بلاد فارس ونفعت.

واقتنع رسول الله ﷺ بهذا الرأي السـديد، وسـارع إلى تنفيـذه، وسارع أصحابه -رضي الله عنهم- في هذا العمل العظيم، وأنجـزوه في مدة وجيزة(٢) حيث لا تستطيع الآلات الحديثة في هذا العصـر المتطـور مادياً أن تفعل فعلهم إذا أخذنا في الحسبان أنهم حفروا من طرف الحـرة الغربية(٣) الشرقي إلى طرف الحرة الشرقية(٤) الغربي.

علماً بأن الحفر واسع وعميق بحيث لم تستطع الخيل اقتحامه مما يدل دلالة واضحة على عِظمه واتساعه، وما ذلك إلا بقدرة الله وقوته وتوفيقه

---

(١) تقدمت ترجمته في الباب الثالث الفصل الأول منه.

(٢) ذلك لأنه قد تقدم الخلاف في ذلك والأكثر متفقون على أنهم مكثوا في الحفر ستة أيام.

(٣) الحرة الغربية وتسمى — حرة الوبرة-.

(٤) وتسمى حرة واقم لكنهم بدأوا من طرف حرة بني حارثة.

لرسوله ﷺ ولأصحابه الكرام –رضي الله عنهم- ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[١].

٢ – مشروعية جعل الإمام من ينوب عنه أثناء غيابه في قتال أو غيره.

وهذا مبدأ إسلامي مشروع شرعه النبي ﷺ في عهده فالاقتداء بـه في ذلك مشروع.

وقد كان ﷺ في كل غزوة، وفي كل سفر يعزم عليه يعين نائباً على المدينة يقوم بالصلاة بأهلها ممن تخلفوا عن القتال لعجز، أو إعالة ضعفاء، أو تمريض مرضى، وغير ذلك من رعاية شئون أهل المدينة.

وفي هذه الغزوة عين ﷺ ابن أم مكتوم وقد تقدم الخلاف في اسمه. قال الحافظ: وكون اسمه عمرو أشهر وأكثر قال وقد استخلفه النبي ﷺ على المدينة ثلاثة عشرة مرة قال وكان يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته وأشار إلى هذا قبله ابن الأثير[٢].

٣ – التواضع في الإسلام:

مبدأ شرعي من مبادئ هذا الدين الحنيف وخلق كريم، ولقد وقف النبي ﷺ يوم عرفة في حجته التي تسمى حجة الوداع وقال: " أيها الناس

---

(١) سورة الحج الآية ٤٠.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٤/٨، أسد الغابة ١٠٣/٤.

ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلغت..."[١]. الحديث، من هذا المنطلق يتبين أن التواضع من الرئيس لمرؤسيه؛ ومن الكبير للصغير، بل التواضع من كل أحد مما دعا إليه الإسلام وقد فعل ذلك ﷺ وطبق بنفسه هذا المبدأ العظيم.

حيث باشر بنفسه في هذه الغزوة حفر الخندق، ونقل التراب وقد روى البراء بن عازب – رضي الله عنه – أنه ﷺ فعل ذلك حتى اغبر بطنه.

وما ذلك إلا لمعرفته بالله، وتواضعه لمن شرح صدره، ووضع وزره ورفع ذكره، حيث لا يذكر الله إلا ويذكر ﷺ . وتواضعه يتجلى دائماً بين أصحابه سواء في الحرب أو في السلم وسنته مليئة بمثل ذلك.

٤ – المبارزة:

وهي ملاقاة الند[٢] من المشركين أمام الصفوف واحداً لواحد.

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤١١/٥ وقد جاء في صحيح مسلم ٢١٩٩/٤ أن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد. الحديث.

(٢) الند: بالكسر المثل وبالفتح الطيب. القاموس ٣٤١/١.

وقد حصل في هذه الغزوة المباركة لقاء هام بين علي رضي الله عنه وبين أعتى أعداء الله عمرو بن عبد ود حتى إن المؤرخين أثبتوا جميعاً بأنه فارس قريش وأحد شجعانها المبرزين.

ومبارزة علي لعمرو رواها الحاكم في مستدركه وهي ثابتة عنده[١].

وقد تقدم الكلام عليها في مبحث خاص وهي جائزة وبالجواز قال الجمهور وخالف في ذلك الحسن البصري.

٥ - بيع جيفة الكافر جوازها وعدمه:

وقد جاء في كتب الحديث ما يمنع ذلك فقد عنون البخاري بقوله: باب (طرح جيف المشركين في البئر ولا يؤخذ لهم ثمن) وفي ذلك دليل على أنه لا يجوز بيع جيفة المشرك قال المباركفوري: وإنما لا يجوز بيعها وأخذ الثمن فيها لانها ميتة لا يجوز تملكها ولا أخذ عوض عنها وقد حرم الشارع ثمنها وثمن الأصنام[٢].

قال الحافظ: قوله ولا يؤخذ لهم ثمن أشار به إلى حديث ابن عباس أن المشركين أرادوا أن يشتروا جسد رجل من المشركين فأبى النبي ﷺ أن يبيعهم[٣].

---

(١) المستدرك ٣/٣٢.

(٢) تحفة الأحوذي ٥/٣٧٦.

(٣) فتح الباري ٦/٢٨٢ كتاب الجزية.

٦ – لا يعدل عن الوضوء إلى التيمم مع وجود الماء:

أي أن الوضوء قد أوجبه الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(١) الآية.

قال الحافظ والوضوء بالضم الفعل وبالفتح الماء الذي يتوضأ به على المشهور فيهما(٢). والوضوء واجب إلا في حالات نادرة.

والرسول ﷺ لم يترك الوضوء حتى في أثناء الحروب ذلك لأنه لما كان في هذه الغزوة وفاتته صلاته العصر كما مر في الأحاديث الصحيحة وفي بعضها أنه فاتته الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

عمد ﷺ عندئذ إلى بطحان(٣) ليتوضأ، وترك التيمم مع أنه في وقت حرب وأوضاع حرجة؛ ولأنه هو المشرع ﷺ ؛ ولوجود الماء قريباً منه لم يترك الوضوء لما فيه من الأجر العظيم لذلك روى البخاري حيث قال في حديث تقدم وشاهدنا منه هو:

قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ﷺ والله ما صليتها فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان

(١) سورة المائدة الآية ٦.

(٢) فتح الباري ١/٢٣٢.

(٣) أحد أودية المدينة المشهورة وانظر: ١٩٤.

فتوضأنا لها. الحديث[١].

قال الحافظ:

والوضوء فُرض على النبي ﷺ وهو بمكة، كما فرضت الصلاة وأنه لم يصل قط إلا بوضوء، وهذا يوضح أنه من شروط الصلاة؛ لذلك ذكر الحاكم حديث ابن عباس: دخلت فاطمة على النبي ﷺ وهي تبكي فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاهدوا ليقتلوك فقال" ائتوني بوضوء" فتوضأ الحديث. قلت[٢] وهذا يصلح رداً على من أنكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على من أنكر وجوبه حينئذ قال وقد جزم ابن الجهم المالكي بأنه كان قبل الهجرة مندوباً[٣].

٧ – الخديعة في الحرب:

قال الحافظ : وأصل الخداع إظهار أمر وإضمار خلافه[٤].

وقد أورد البخاري رحمه الله في ذلك حديثين أحدهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ (سمى الحرب خدعة)[٥].

---

(١) صحيح البخاري ٥/٤٧.

(٢) أي ابن حجر.

(٣) فتح الباري ١/٢٣٢.

(٤) فتح الباري ٦/١٥٨.

(٥) صحيح البخاري ٤/٢٤ كتاب الجهاد.

والثاني عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: "الحرب خدعة[١]"، وقد أورد مسلم أحدهما عن أبي هريرة[٢].

ثم قال النووي:

واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف أمكن الخداع، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل[٣].

قال الطبري: إنما يجوز من الكذب في الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب فإنه لا يحل[٤].

قال الحافظ:

ذكر الواقدي أن أول ما قال النبي ﷺ (الحرب خدعة) في غزوة الخندق[٥].

وقد فعل ذلك نعيم بن مسعود رضي الله عنه في الخندق حيث أنه كان قد أسلم و لم يعلم به قومه فذهب إلى النبي ﷺ وأخبره بإسلامه وأن قومه لا يعلمون بذلك.

---

(١) فتح الباري ١٥٨/٦.

(٢) صحيح مسلم ١٣٦٢/٣ كتاب الجهاد.

(٣) المصدر السابق ١٣٦٢/٣.

(٤) فتح الباري ١٥٩/٦.

(٥) المصدر السابق ١٥٨/٦.

وأراد مساعدة المسلمين فقال له النبي ﷺ إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت، فذهب لتوه إلى بني قريظة فقريش فغطفان وخذلهم الله وفرق جمعهم وشتت شملهم وكان نعيم سبباً هاماً في ذلك.

ولذلك قال الحافظ:

وفي الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة(١).

٨ – مشروعية إرسال العيون لأخذ أخبار الأعداء:

قال البخاري: باب الجاسوس(٢).

قال الحافظ:

الجاسوس بجيم ومهملتين أي حكمه إذا كان من جهة الكفار ومشروعيته إذا كان من جهة المسلمين.

من هذا المنطلق فقد بعث النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليلة الأحزاب ليأتيه بأخبار تلك الجموع التي حاولت جاهدة في حرب المسلمين وإيذائهم.

وقد قام حذيفة رضي الله عنه بالمهمة خير قيام، حيث ذهب إليهم، وجلس بينهم، وسمع ما يدور في معسكرهم، وقد كان على مسافة قريبة

---

(١) المصدر السابق ١٥٨/٦.

(٢) صحيح البخاري ١٨/٤.

من القائد أبي سفيان وأراد أن يرميه فتذكر تحذير النبي ﷺ له من ذلك "ولا تذعرهم علي"[١]". فعاد رضي الله عنه يحمل أخباراً سارة وبشرى هامة هي رحيلهم، وانكشافهم عن المدينة التي ضاقت بهم ذرعاً ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾[٢] الآية.

من هنا يؤخذ:

جواز استعمال العيون، وإرسالها للتعرف على حالة الأعداء، ومدى استعدادهم، وكيفية تحركاتهم، حتى يكون المسلمون على علم بأعدائهم فيعد المسلمون لكل أمر عدته ولا ينبغي للمسلمين أن يغفلوا عن تحركات أعدائهم وما يكيدونه للإسلام وأهله.

٩- **استعراض الإمام للجيش قبل وقوع القتال** كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما (أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه) الحديث.

وقد وقع هذا من النبي ﷺ في بدر وغيرها. وخروج صغيري السن لم يحدث إلا عند أولئك الذين يستشعرون قيمة الشهادة وهون أنفسهم في سبيل الله طمعاً فيما عنده من مغفرة ورضوان.

---

(١) صحيح مسلم ٣/١٤١٤-١٤١٥.

(٢) سورة الأحزاب جزء من الآية ٢٥.

أما في هذه العصور المتأخرة التي طغى فيها حب الحياة وحب متاعها الفاني فلربما لا يخرج كبار السن إلا بالقوة ويدفعون إلى الخير دفعاً.

قال الحافظ:

وعند المالكية والحنفية لا تتوقف الإجازة للقتال على البلوغ بل للإمام أن يجيز من الصبيان من فيه قوة ونجدة فرب مراهق أقوى من بالغ.

ثم قال:

وحديث ابن عمر حجة عليهم ولا سيما الزيادة التي جاءت عن ابن جريج ولفظها: (عرضت على النبي ﷺ يوم الخندق فلم يجزني و لم يرني بلغت[١]).

وفي الحديث أيضاً من العبر:

حسن أخلاقه ﷺ ومعرفته التامة بأحوال أصحابه واحترامه لهم ولأبنائهم رغم عظم الرسالة والأعباء التي حملها ولا غَرْوَ فقد قال ﷺ: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا و لم يوقر كبيرنا[٢]".

١٠ – تعاون الجميع إذا هوجمت البلاد:

وفي ذلك حديث سهل بن سعد الساعدي وحديث أنس رضي الله

(١) فتح الباري ٢٧٩/٥.

(٢) رواه الترمذي في البر ١٥ ، وأحمد ٢٥٧/١، ٢٠٧/٢.

عنهما وكلاهما في الحفر، وما دار فيه ففيهما من العبر والدروس الشي الكثير منها:

١- أنهم باعوا أنفسهم لله وحرصوا على كل خير يقربهم إليه وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو القدوة في ذلك.

٢- مباشرة الرسول ﷺ الحفر بنفسه تحريضاً للمسلمين على العمل ليتأسوا به في ذلك، وحتى يبتعدوا عن الاتكالية وما يعقبها من تبعات.

٣- فيهما إشارة إلى تحقير عيش الدنيا مهما بلغ لما يعرض له من التكدير وسرعة الفناء ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١)، ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾(٢).

٤- ترديده ﷺ بعض الكلمات إجابة لأصحابه لما كانوا يقولونه أثناء الحفر وذلك مما ينشط حيث إن الإنسان إذا اشتغل في عمل جسماني شاق فالسكوت يشق عليه ويتعب بسرعة أكثر مما لو كان يتكلم حيث ينسيه الكلام التعب وهذا مجرب.

٥- ملاطفته لأصحابه رضي الله عنهم وهو الموصوف بقول ربه تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣). حيث كان أصحابه يرتجزون أثناء

(١) سورة الأعلى الآية ١٧.

(٢) سورة الضحى الآية ٤٢.

(٣) سورة القلم الآية ٤.

الحفر برجل من المسلمين يقال له جعيل[١] فسماه الرسول ﷺ عمرا فكانوا يقولون:

سماه من بعد جعيل عمرا وكان للبائس يوماً ظهرا

فإذا مروا بعمرو قال ﷺ : عمراً وإذا مروا بظهر قال ﷺ ظهرا.

١١ – من المعجزات التي حصلت في هذه الغزوة:

الكدية والطعام المبارك فيؤخذ منه:

١- طاعتهم رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ ومحافظتهم على ذلك بدليل أنهم لما صادفوا تلك العقبة لم يتصرفوا حسب أرائهم بل رجعوا إلى النبي ﷺ في ذلك ونتيجة لتلك الطاعة أعانهم الله عز وجل على تلك العقبات فأنجزوا ذلك العمل في وقت وجيز.

٢- حبهم الشديد لله، ولرسوله، وشفقتهم على بعضهم ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ[٢] ﴾ ذلك أنه حينما رأى جابر ما يعانيه المصطفى ﷺ من الجوع استأذن وعاد أدراجه إلى بيته ليجهز ما يستطيع عليه من طعام يدعو إليه رسول الله ﷺ وثلة من أصحابه وفعلاً

---

(١) انظر أسد الغابة ١/٢٩٠، وحاشية الأولياء ١/٣٥٣ رقم الترجمة (٥٥).

(٢) سورة الفتح جزء من الآية الأخيرة.

وجد عناقاً وصاعاً من شعير فذبح العناق، وطحنت زوجته صاع الشعير وجهزوه وعاد جابر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وجاء به ومن معه ضيفاً على تلك المأدبة المتواضعة.

٣- تكثير الطعام الذي خجل(١) جابر من قلته فأكل الجميع وشبعوا وذلك بفضل الله على نبيه وإظهاره على يديه تلك المعجزات الباهرة.

٤- تواضعه عليه الصلاة والسلام لربه ولأصحابه حيث كان يغرف بنفسه اللحم، ويكسر لهم الخبز حتى صدروا عنه.

٥- الإهداء للجيران من الطعام سنة، وخاصة في أوقات المجاعة وقد أوصى رسول الله ﷺ بذلك كما في حديث أبي ذر(٢). حيث قال: إن خليلي أوصاني " إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف".

١٢- أهمية الصلاة:

وفيه حديث عمر رضي الله عنه: (يا رسول الله ما كدت أن أصلي) .. الخ(٣). وفيه من الفوائد:

---

(١) الخجل: التحير والدهش من الاستحياء. مختار الصحاح ١٧٠.

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٠٢٥.

(٣) صحيح البخاري ٥/٩٢.

١- جواز اليمين من غير استحلاف إذا اقتضت مصلحة من زيادة طمأنينة أو نفي توهم.

٢- استحباب قضاء الفوائت في جماعة وبه قال أكثر أهل العلم إلا الليث مع أنه أجاز صلاة الجمعة جماعة إذا فاتت.

٣- استدل به على عدم مشروعية الأذان للفائتة.

١٣ - كثرة جند الله:

وفيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما (نصرت بالصبا) وفيه:

١- تفضيل بعض المخلوقات على بعض.

٢- إخبار المرء عن نفسه بما فضله الله به على سبيل التحدث بالنعمة، وبيان المترلة لا على الفخر.

٣- الإخبار عن الأمم الماضية وكيفية هلاكها.

٤- الصبا هي أفضل الرياح التي تهب حيث أنها بفضل الله مبشرة بالخير، ويستفيد منها الزرع بخلاف غيرها من الرياح فمثلاً الرياح الشمالية إذا هبت تميت المزروعات غالباً وهذا ما جربه الفلاحون.

وقد ذكر ذلك الحافظ[1] وعليه فالرياح هي:

---

(١) فتح الباري ٢/٥٢١.

أ- شرقية وهي الصبا وهي مباركة بدليل الحديث حيث أرسلها الله عذاباً لأعدائه وخيريتها مجربة لدى المزارعين.

ب- غربية وهي الدبور وقد أرسلت على عاد فأهلكتهم.

ج- جنوبية وهي التي تهب من جهة الجنوب وهي في الدرجة الثانية بعد الصبا من حيث خيريتها.

د- شمالية وهي إذا هبت بإذن الله جاءت بالزمهرير –البرد القارس– وتؤثر على الزرع وتتغير منها الأجسام.

١٤ – الجاسوس في الإسلام:

١- جواز استعمال التجسس في الإسلام.

٢- منقبة للزبير رضي الله عنه وقوة قلبه وصحة يقينه.

٣- جواز سفر الرجل وحده وأن النهي عن سفر الإنسان وحده إنما هو حيث لا تدعو الضرورة إلى ذلك.

أما في مثل هذه المهمات فهو جائز لأن فيه مصلحة للمسلمين. وقد يحدث للإنسان حاجة للسفر، ولا يجد من يرافقه فهل يا ترى يترك أمـــراً هاماً لأنه لم يجد مرافقين والأمر بذلك إنما هو للاستحباب.

قال الحافظ:

وقد وقع في كتب المغازي بعث كل من حذيفة ونعيم بن مسعود وغيرهما[(١)]. أما حديث الزبير حينما أرسله الرسول ﷺ إلى قريظة. وهو عن عبد الله بن الزبير عن أبيه[(٢)] ...

ففيه كما قال الحافظ:

صحة سماع الصغير. وأنه لا يتوقف على أربع أو خمس لأن ابن الزبير كان يومئذ ابن سنتين وشهراً أو ثلاث وشهراً بحسب الاختلاف في وقت مولده وفي تاريخ الخندق[(٣)].

١٥ – أهمية الدعاء:

وفيه حديث عبد الله ابن أبي أوفى " اللهم مترل الكتاب " ومن الفوائد ما ذكره الحافظ: أن فيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث: إنزال الكتاب- إجراء السحاب- هزيمة الأحزاب. وفيه استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار.

ووصية المقاتلين بما فيه صلاح أمرهم، وتعليمهم ما يحتاجون إليه، وسؤال الله تعالى بصفاته الحسنى وبنعمه السابغة ومراعاة نشاط النفوس

---

(١) فتح الباري ١٣٨/٦.

(٢) المصدر السابق ٨٠/٧ رقم الحديث ٣٧٢٠.

(٣) فتح الباري ٨١/٧.

لفعل الطاعة والحث على سلوك الأدب وغير ذلك[١].

وفيه حديث علي رضي الله عنه (لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ ... ملأ الله بيوهم وقبورهم ناراً ..) الحديث[٢].

قال الحافظ:

وفيه الدعاء عليهم بأن يملأ الله بيوهم وقبورهم ناراً، وليس فيه الدعاء عليهم بالهزيمة لكن يؤخذ من لفظ الزلزلة لأن في إحراق بيوهم غاية التزلزل لنفوسهم.

وقال: وفيه جواز الدعاء على المشركين بمثل ذلك.

كما تضمن كذلك دعاء صدر من النبي ﷺ على من يستحقه وهو من مات مشركاً منهم. وفيه شدة حرص النبي ﷺ على أداء الصلوات وخاصة صلاة العصر والتي قال ﷺ في تاركها من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله[٣].

وأخيراً يتبين من مجريات الأمور والأحداث في هذه الغزوة وغيرها من الغزوات أن النصر في المعارك لا يكون بكثرة العدد ووفرة السلاح وإنما يكون بقوة الروح المعنوية لدى الجيش.

---

(١) فتح الباري ١٥٧/٦.

(٢) انظر الحديث في الصحيح ٤٧/٥.

(٣) فتح الباري ١٠٦/٦، وقد أخرجه البخاري في المواقيت حديث رقم (٥٥٣، ٥٩٤) والنسائي في الصلاة.

وقد كان الجيش الإسلامي في هذه المعارك يمثل العقيدة النقية والإيمان الصادق والفرح بالاستشهاد والرغبة في ثواب الله وجنته.

كما يمثل الفرحة من الانعتاق من الضلال والفرقة والفساد. بينما كان جيش المشركين يمثل فساد العقيدة وتفسخ الأخلاق، وتفكك الروابط الاجتماعية، والانغماس في الملذات.

والعصبية العمياء للتقاليد البالية والآباء الماضين والآلهة المزيفة انظر إلى ما كان يفعله الجيشان قبل بدء القتال.

فقد حرص المشركون قبل بدء معركة بدر مثلاً على أن يقيموا ثلاثة أيام يشربون فيها الخمور، وتغني لهم القيان، وتضرب لهم الدفوف، وتشعل عندهم النيران لتسمع العرب بما فعلوا فتهابهم.

وكانوا يظنون ذلك سبيلاً إلى النصر، بينما كان المسلمون قبل بدء أي معركة يتجهون إلى الله بقلوبهم يسألونه النصر، ويرجونه الشهادة، ويشمون روائح الجنة ويخر الرسول ﷺ ساجداً مبتهلاً يسأل ربه أن ينصر عباده المؤمنين، وقد ابتهل كثيراً في هذه الغزوة ودعا الله حتى نصره وكانت النتيجة أن انتصر الأتقياء الخاشعون وانهزم اللاهون العابثون(١).

---

(١) السيرة النبوية دروس وعبر ١١٤-١١٥.

والذي يقارن بين أرقام المسلمين في أي معركة وبين أرقام المشركين يجد دائماً أن المشركين أكثر من المسلمين أضعافاً مضاعفة ومع ذلك فقد كان النصر حليف المسلمين رغم ذلك كله.

والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس المصادر

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس القبائل

فهرس الأشعار

فهرس الموضوعات

فهـــرس
المصـــــــادر

فهرس المصادر

القرآن الكريم

١- أحكام القرآن - لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت ٥٤٣هـ. ط. عيسى البابي الحلبي.

٢- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار - لعبد الله بن قدامة ت ٦٢٠هـ. دار الفكر.

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - مطبوع بحاشية الإصابة لابن حجر توفي ابن عبد البر سنة ٤٦٣هـ. مطبعة السعادة بمصر - تصوير دار الفكر - لبنان- ط الأولى ١٣٢٨هـ.

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة - للحافظ عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري ت سنة ٦٣٠هـ. ط. المطبعة الإسلامية طهران ١٣٨٠هـ.

٥- الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد سنة ٣٢١هـ. ط. مطبعة السنة المحمدية - مصر ١٣٧٨هـ.

٦- الإصابة في تمييز الصحابة - للحافظ أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر ٨٥٢هـ. تصوير دار الفكر - لبنان.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي ت سنة ١٣٩٣هـ. ط. مطبعة المدني. الأولى ١٣٨٦هـ.

٨- الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء - لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ت سنة ٦٣٤هـ. ط. مطبعة السنة المحمدية - مصر ١٣٨٧هـ.

٩- أنساب الأشراف - لأحمد بن يحيى البلاذري ت ٢٧٩هـ. ط. دار المعارف تحقيق محمد حميد الله.

١٠- إمتاع الأسماع - لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف بابن المقريزي ت سنة ٨٤٥هـ. ط. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١م.

حرف البـاء

١١- بدائع المنن في ترتيب مسند الشافعي والسنن - عبد الرحمن البنا - الشهير بالساعاتي ط. دار الأنوار - مصر ط. الأولى ١٣٦٩هـ.

١٢- البداية والنهاية - لعماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت عام ٧٧٤هـ. ط. مكتبة المعارف تصوير عن الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

حرف التـــاء

١٣- تاج العروس - لمحمد مرتضى الزبيدي. ت سنة ١٢٠٥هـ. ط. المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

١٤- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغـدادي . ت سنة ٤٦٣هـ. نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

١٥- تاريخ ابن خلدون - لعبد الرحمن بن محمد الحضرمي الأشـبيلي . ت سنة ٨٠٨هـ. ط. دار البيان - بيروت.

١٦- تاريخ خليفة بن خياط العصفري. ت سنة ٢٤٠هـ تحقيق أكرم العمري. ط. دار القلم ومؤسسة الرسـالة - بـيروت . الثانيـة ١٣٩٧هـ.

١٧- تاريخ الخميس - لحسين بن محمـد الـديار بكـري. ت سـنة ٩٦٦هـ. تصوير لبنان.

١٨- تاريخ الإسلام - لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. ت سنة ٧٤٨هـ. ط. مكتبة القدس.

١٩- تاريخ الأمم والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. ت سنة ٣١٠هـ. ط. المطبعة الحسينية الأولى - بمصر.

٢٠- تاريخ اليعقوبي - لأحمد بن أبي يعقوب العباسي. ت سنة ٢٨٤هـ. دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ.

٢١- تجريد أسماء الصحابة - للذهبي تقدم - ط. دارالمعرفة - بيروت.

٢٢- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي - لأبي العلي محمد بن عبدالرحمن المباركفوري. ت ١٣٥٣هـ. تصوير عن الطبعة الثالثة- دار الفكر ١٣٩٩هـ.

٢٣- تدريب الراوي - للسيوطي ت سنة ٩١١هـ. ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - ط. الثانية ١٣٩٢هـ.

٢٤- تذكرة الحفاظ للذهبي - تقدم - دار إحياء الفكر - بيروت.

٢٥- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة - ابن حجر - تقدم- دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٦- تفسير القرآن العظيم - لعماد الدين أبو الفداء ابن كثير - دار إحياء التراث - بيروت ١٣٨٨هـ.

٢٧- تفسير النسفي - المسمى بمدارك التنزيل ت ٧٠١هـ. ط. مؤسسة الرسالة.

٢٨- تقريب التهذيب - ابن حجر العسقلاني - تقدم - الطبعة الهندية.

٢٩- تلخيص الحبير - ابن حجر - تقدم - المطبعة العربية - باكستان.

٣٠- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير - لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي القرشي التيمي البكري المعروف بابن الجوزي. ت سنة ٥٩٧هـ. ط. مطبعة الآداب - الأولى مصر.

٣١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد -لابن عبد البر - تقدم- مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب ١٣٨٧هـ.

٣٢- التنبيه والأشراف - لعلي بن حسين المسعودي. ت سنة ٣٤٦هـ. ط. دار الصاوي ١٣٥٧هـ. مصر.

٣٣- تهذيب الأسماء واللغات - ليحيى بن شرف بن مري - النووي- ت ٦٧٧هـ. ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٤- تهذيب التهذيب - للحافظ ابن حجر - تقدم - ط. الأولى بمجلس دائرة المعارف حيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ. تصوير لبنان.

٣٥- توضيح الأفكار - لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني. ت سنة ١١٨٢هـ. نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

حرف الجيـــم

٣٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري. ط. مصطفى البابي الحلبي الثالثة ١٣٨٨هـ.

٣٧- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ت (٦٧١هـ) ط. دار الكتب المصرية ١٣٨٠هـ.

٣٨- الجرح والتعديل - للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم. ط. دائرة المعارف حيدر آباد الدكن ط. الأولى ١٣٧٢هـ.

٣٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لشيخ الإسلام ابن تيمية ت سنة ٧٢٨هـ. مطابع المجد التجارية - الرياض.

٤٠- جوامع السيرة - لابن حزم الأندلسي - علي بن أحمد ت سنة (٤٥٦هـ) دار إحياء السنة - باكستان.

حرف الحـــاء

٤١- حاشية الصبان - لمحمد بن علي الصبان المصري . ت سنة ١٢٠٦هـ. ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر.

٤٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - للحافظ ابن نعيم الأصبهاني - أحمد بن عبد الله . ت سنة ٤٣٠هـ. تصوير دار الكتاب العربي عن الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

حرف الخـــاء

٤٣- الخصائص الكبرى - للسيوطي. ط. مطبعة المدني.

حرف الـــدال

٤٤- الدرر في المغازي والسير - لابن عبد البر . ط. لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٦ القاهرة.

٤٥- الدر المنثور - للسيوطي. الناشر محمد أمين دمج - بيروت .

٤٦- دراسة في السيرة - لعماد الدين خليل - مؤسسة الرســالة ودار النفائس ط. الثالثة ١٣٩٨هـ.

٤٧- دلائل النبوة - للحافظ أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي. ت سنة ٤٥٨هـ. ط دار الكتــب العلميــة - بــيروت - الأولى ١٤٠٥/١٩٨٥م.

٤٨- دلائل النبوة - للحافظ أبي نعيم - دار المعرفة - بيروت.

٤٩- دول الإسلام - للذهبي - ط. مصر.

٥٠- ديوان حسان بن ثابت – تحقيق وليد عرفات – دار الصادر بيروت ١٩٧٤م.

حرف الراء

٥١- الرسول القائد – اللواء الركن محمود شيت خطاب. ط. الشركة الإسلامية للطباعة والنشر – بغداد ط. الأولى ١٣٧٧هـ.

٥٢- الروض الآنف – لعبد الرحمن السهيلي. ت سنة ٥٨١هـ. ط شركة الطباعة الفنية المتحدة ط. ١٣٩١ مصر.

٥٣- روضة الطالبين وعمدة المتقين – للنووي – ط. المكتب الإسلامي- بيروت ١٣٨٦هـ.

حرف الزاي

٥٤- زاد المعاد – للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر. ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبيب ط. ١٣٩٠هـ. مصر.

٥٥- زاد المسير – لعبد الرحمن – ابن الجوزي – المكتب الإسلامي ط. الأولى ١٣٨٥هـ.

حرف السين

٥٦- سبل السلام – لمحمد بن إسماعيل الصنعاني – المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٥٧- سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني – دار الحديث – سوريا – الأولى ١٣٩٤هـ.

٥٨- سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد القزويني – توفي سنة ٢٧٥هـ. ط. دار إحياء التراث ١٣٩٥ بيروت.

٥٩- سنن الترمذي – للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أحمد الأئمة الثقات الحفاظ ت سنة ٢٧٩هـ. تصوير لبنان ١٣٩٨هـ.

٦٠- سنن النسائي – للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي. ت سنة ٣٠٣هـ. دار إحياء التراث – لبنان.

٦١- سنن الدارمي – لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن – ت سنة ٢٥٥. ط. دار المحاسن – القاهرة.

٦٢- السنن الكبرى – لأحمد بن حسين البيهقي. ت سنة ٤٥٨هـ. دار صادر بيروت.

٦٣- سمط النجوم العوالي – لعبد الملك العصامي المكي – ت سنة ١١١١هـ. ط. السلفية ١٣٧٩ مصر.

٦٤- سير أعلام النبلاء – للإمام الذهبي. ط. مؤسسة الرسالة – الأولى ١٤٠١هـ. بيروت.

٦٥- السيرة الحلبية – لعلي برهان الدين الحلبي. ت سنة ١٠٤٤هـ. تصوير بيروت ١٤٠٠هـ.

٦٦- السيرة النبوية – لعبد الملك بن هشام الحميري. ت سنة ٢١٣هـ. ط. مطبعة مصطفى الحلبي الثانية ١٣٧٥هـ. بيروت .

٦٧- السيرة النبوية دروس وعبر – لمصطفى السباعي. ت سنة ١٣٨٤هـ. ط. المكتب الإسلامي. الرابعة ١٣٩٧هـ. بيروت.

٦٨- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة – لمحمد أبي شبهة – ط. دار الطباعة المحمدية ١٣٩٠ القاهرة.

٦٩- السيرة النبوية – للندوي – المطبعة العصرية ١٤٠٠هـ. بيروت.

٧٠- السياسة الشرعية – لشيخ الإسلام ابن تيمية – ط. دار المعرفة – بيروت.

٧١- السياسة اليهودية – لمصطفى السعدني – ط. لبنان.

حرف الشين

٧٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب – للمؤرخ الفقيه عبد الحي بن العماد الحنبلي ت سنة ١٠٨٩هـ. المكتب التجاري- بيروت.

٧٣- شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد – لمحمد بن أحمد السفاريني النابلسي الحنبلي ت سنة ١١٨٨هـ. ط. المكتب الإسلامي الثانية ١٣٩١هـ. بيروت .

حرف الصاد

٧٤- صحيح البخاري – لمحمد بن إسماعيل البخاري إمام المحدثين ت سنة ٢٥٦هـ. ط. المكتبة الإسلامية – تركيا.

٧٥- صحيح مسلم – لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت سنة ٢٦١هـ. ط. دار الفكر . الثانية ١٣٩٨هـ. بيروت.

٧٦- صحيح ابن خزيمة – محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري ت سنة ٣١١هـ. المكتب الإسلامي ط. الأولى سنة ١٣٩١هـ.

٧٧- صفات المنافقين – لابن القيم – تقدم – ط. المكتب الإسلامي – الرابعة ١٣٩٩هـ. بيروت.

٧٨- صفة جزيرة العرب – للحسن بن أحمد الهمداني ت عام ٣٣٤هـ. دار اليمامة ١٣٩٤هـ. الرياض.

٧٩- صفوة الصفوة – لابن الجوزي – تقدم – ط. مطبعة النهضة الحديثة ط. الأولى ١٣٩٠هـ. القاهرة.

٨٠- الصلة – لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال ت عام ٥٧٨هـ. ط. الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦م.

حرف الضاد

٨١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي. ت عام ٩٠٢هـ. مكتبة الحياة.

حرف الطاء

٨٢- طبقات الشافعية الكبرى – لأبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي ت عام ٧٧١هـ. ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي. الأولى ١٣٨٣هـ. مصر.

٨٣- الطبقات الكبرى – محمد بن سعد. ت عام ٢٣٠هـ. دار صادر ١٣٧٦ بيروت.

حرف العين

٨٤- عارضة الأحوذي – لابن العربي. ت عام ٥٤٣هـ. ط. مطبعة الصاوي – تصوير مكتبة المعارف – بيروت.

٨٥- علوم الحديث – لابن الصلاح – عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري. ت عام ٦٤٣هـ. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٨٦هـ.

٨٦- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير – لابن سيد الناس أبو الفتح اليعمري. ت عام ٧٣٤هـ. دار المعرفة. بيروت.

حرف الغـــين

٨٧- غزوة الأحزاب - لمحمد أحمد باشميل – دار الفكر ط. الثالثة عام ١٣٩١هـ. بيروت.

٨٨- غزوة بني المصطلق – للشيخ إبراهيم بن إبراهيم القريبي. ط البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

حرف الفـــاء

٨٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجـــر – تقـــدم ط. السلفية – مصر.

٩٠- فتح القدير – للشوكاني – تقدم – ط. الحلبي – مصر.

٩١- الفتح الرباني – لأحمد البنا – الشهير بالساعاتي ط. مصر الأولى.

٩٢- الفتوحات الإلهية – لسليمان بن عمر بن منصور العجيلي الشهير – بالجمل- ت عام ١٢٠٤هـ. ط. الحلبي مصر.

٩٣- فقه السيرة – لمحمد الغزالي أحاديثه تخريج محمد ناصر الدين الألباني دار الكتب الحديثة ط. ١٩٧٦م. مصر.

٩٤- في سيرة الرسول – لمحمد عزة دروزة – ط. عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤هـ. مصر.

حرف القاف

٩٥- القواعد المفيدة في معرفة أسماء الرجال المذكورين في جامع الإمام البخاري – مكتبة ابن تيمية القاهرة.

حرف الكاف

٩٦- الكامل في التاريخ – ابن الأثير – تقدم ط. الثانية ١٣٨٧هـ. تصوير دار الكتاب العربي – بيروت.

٩٧- الكاشف في أسماء الرجال – للذهبي – تقدم ط. الأولى ١٣٩٢هـ. دار النصر للطباعة – مصر.

٩٨- كشف الأستار عن زوائد البزار – للهيثمي – علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفي سنة ٨٠٧ – تصوير عن الطبعة الأولى ١٣٩٩- مؤسسة الرسالة – بيروت.

٩٩- كشف المشكل من حديث الصحيحين – لابن الجوزي – ط. دار الوطن الأولى ١٤١٨هـ.

حرف اللام

١٠٠- اللباب في تهذيب الأنساب – لابن الأثير – تقدم – دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ.

١٠١- لسان الميزان - ابن حجر - تقدم مؤسسة الأعلمي ط. الثانية ١٣٩٠ بيروت.

حرف الميم

١٠٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ الهيثمي - تقدم ط. مصر تصوير دار الكتاب العربي ط. الثانية ١٩٦٧م.

١٠٣- المحرر الوجير في تفسير الكتاب العزيز - للقاضي ابن عطية المتوفي عام ٥٤٦هـ طبع في المغرب.

١٠٤- المدينة بين الماضي والحاضر - لإبراهيم العياشي - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢هـ.

١٠٥- مروج الذهب - لعلي بن حسين المسعودي - تقدم ط. الرابعة ١٣٨٤هـ. المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

١٠٦- مختار الصحاح - للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي ت عام ٦٦٦هـ. دار الفكر - بيروت ١٣٩٢هـ.

١٠٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل ت عام ٢٤١هـ. ط. الثانية ١٣٩٨ بدار الفكر.

١٠٨- مسند الحميدي - عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي ت عام ٢١٩هـ. ط. مكتبة المتنبي ١٣٨٠ القاهرة.

١٠٩- مسند الروياني – أبو بكر الروياني – محمد بن هارون – ت سنة ٣٠٧هـ. والمسند مخطوط صورته بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم ٥٧٥.

١١٠- مسند عبد بن حميد بن نصر الكسي أبو محمد ت. عام ٢٤٩هـ. والمسند مخطوط صورته بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١١١- مسند أبي عوانه – يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد النيسابوري. ت عام ٣١٦هـ. تصوير لبنان. الطبعة الأولى مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر أباد الدكن ١٣٨٥هـ.

١١٢- المصباح المنير – لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. ت عام ٧٧٠هـ. ط. مصطفى البابي الحلبي.

١١٣- معجم البلدان – لياقوت الحموي. ت عام ٦٢٦هـ. دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ.

١١٤- معجم الصحابة – لابن قانع.

١١٥- معجم قبائل العرب – لعمر رضا كحاله – مؤسسة الرسالة ط. الثانية ١٣٩٨هـ بيروت.

١١٦- معجم المؤلفين – لعمر رضا كحاله – دار إحياء التراث – بيروت.

١١٧- معجم ما استعجم لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي. ت عام ٤٨٧هـ. ط. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط. الأولى ١٣٦٦هـ.

١١٨- المعارف - لابن قتيبة الدينوري ت عام ٢٧٦هـ. الثانية ١٣٩٠هـ. دار إحياء التراث – بيروت.

١١٩- المعجم الكبير - للحافظ ابن القاسم سليمان الطبراني. ت عام ٣٦٠هـ. الطبعة الأولى – إحياء التراث الإسلامي ببغداد.

١٢٠- المعرفة والتاريخ – ليعقوب بن سفيان الفسوي. ت عام ٢٧٧هـ. ط. مطبعة الإرشاد – بغداد ١٣٩٤هـ.

١٢١- مغازي الواقدي – محمد بن عمر. ت عام ٢٠٧هـ. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.

١٢٢- المغانم المطابة في معالم طابة – للفيروزآبادي – تقدم – دار اليمامة ط. الأولى ١٣٨٩هـ.

١٢٣- المغني في ضبط أسماء الرجال – لمحمد بن طاهر الهندي. ت عام ٩٨٦هـ. الطبعة الهندية.

١٢٤- منحة المعبود – لأحمد البنا – تقدم – المطبعة المنيرية بالأزهر ط. الأولى ١٣٧٢هـ.

١٢٥- المواهب اللدنية – لأحمد بن محمد القسطلاني. ت عام ٩٢٣هـ. دار الكتب العلمية – بيروت .

١٢٦- ميزان الاعتدال – للذهبي – تقدم ط. الأولى ١٣٨٢هـ. دار المعرفة.

حرف النون

١٢٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – ليوسف بن تغرى بردي. ت عام ٨٧٤هـ. دار الكتب المصرية ط. ١٣٥١ الأولى.

١٢٨- النحو الوافي – لعباس حسن ط. الرابعة دار المعارف بمصر.

١٢٩- نهاية الأرب في فنون الأدب – لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. ت عام ٧٣٣هـ. ط. دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ.

١٣٠- النهاية في غريب الحديث – لابن الأثير – المبارك بن محمد بن محمد عبد الكريم الشيباني المعروف – بابن الأثير الجزري مجد الدين أبو السعادات. ت عام ٦٠٦هـ. وهو غير صاحب أسد الغابة والكامل – دار إحياء التراث – بيروت.

١٣١- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين – لمحمد الخضري بك- الطبعة الخامسة – مصر.

حرف الـــــواو

١٣٢- وفاء الوفا – لعلي بن عبد الله المعروف بالســـمهودي ت عـــام ٩١١هـــ. ط. مطبعة الآداب والمؤيد ١٣٢٦هـــ. مصر.

١٣٣- الوفا بأخبار المصطفى – لابن الجوزي – تقـــدم – ط. مطبعـــة السعادة بمصر ط. الأولى.

حرف الهـــــاء

١٣٤- هدي الساري مقدمة فتح الباري – لابن حجر – الطبعة السلفية – مصر.

فهرس
الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

٣- فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
أنس بن مالك	١٩١
أيمن الحبشي	١٥٥

حرف البـــــاء

حرف الثـــــاء

حرف الجيم

حرف الحـــــاء

العلم	الصفحة

حرف السين

العلم	الصفحة

العلم	الصفحة
عبد الرحمن بن رافع	١٤٥
عبد الرحمن بن زيد	٢٦٨
عبد الرحمن بن مهدي	٣٣١
عبد الرازق الصنعاني	٥٣
عبد العزيز بن أخي حذيفة	٢٤٢
عبد العزيز الدراوردي	١٩٢
عبد العزيز بن صهيب	١٩١
عبد الكريم الجزري	٣٠٥
عبد الله بن أحمد بن حنبل	١٢١
عبد الله بن أبي بكر الأنصاري	٤٧
عبد الله بن أم مكتوم	٢٨٦
عبد الله بن جعفر بن المسور	٩٥
عبد الله بن الزبير	٢٣٩
عبد الله بن سعد	٤٠٩
عبد الله بن سلام	٩٦
عبد الله بن شبيب	٢٢٨
عبد الله بن كعب	٩٨
عبد الله بن المبارك	٢٣٨
عبد الله بن عمرو بن عوف	١٦٩

العلم	الصفحة

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

العلم	الصفحة

حرف الياء

الكنى

تابع الكنى

من نسب إلى أبيه

تابع من نسب إلى أبيه

تابع من نسب إلى أبيه

المنسوبين إلى القبائل والبلدان

تابع المنسوبين إلى القبائل والبلدان

تابع المنسوبين إلى القبائل والبلدان

النســـــاء

التراجم التي لم أجدها

فهرس
الأماكن والبلدان

٤- فهرس الأماكن والبلدان

تابع فهرس الأماكن والبلدان

فهرس القبـائل

٥- فهرس القبـــائل

فهرس الأشعار

٦- فهرس الأشعـــــار

فهرس
الموضوعات

٧- فهرس الموضوعات